

الْمُلْكُ لِلَّهِ كُلُّ شَيْءٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ

الْيَزِيرِ الرَّابِعِ

أَصْفَوَةُ السَّلْفَكَنْ

رقم الايداع
٢٠١٠/٢٤٠

الْمُذَكَّرَاتُ

جَانِبٌ

مَحَمَّدٌ كَرِيمٌ عَلَيْهِ

لِلْأَوَّلِ الْأَنْتَجِ

أَصْنَاعُ التِّسْلِيفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دارِ أضواءِ التَّلْفِيق

للنشر والتوزيع

صاحبها

الرياض - الربوة - الدار البيضاء - مخرج ١٥ ص ١٢٨٩٢

المرنة ١١٧١٦ - ٢٣٢١٠٤٥ - ٥٥٤٨٠٣٩٨



محمد كرد على

المذكرات

— ♦ —

الجزء الرابع

تصفو الحياة بجاهل أو غافل عما مخى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسوّها طلب الحال فتقطع
«المتنبي»

—

السياسة في مصر

قال لي أحد أصدقائي من أعيان المصريين وعلمائهم يوم ثالت مصر استقلالها ببعض القيود : لبت من منحونا هذا الاستقلال تريثوا عشر سنين أخرى ربنا تنضج تربتنا السياسية ونستعد الاستعداد المطلوب .

رأي قد يستثم منه بعضهم رائحة الغرام بحكم الأجنبي ، وليس قائله من يرمى بالخلال الوطنية وقلة العلم والمعرفة ، وغاية ما يوجه إليه أنه لم يمارس السياسة العملية ، وإن علمه كان أقرب إلى الكتب والدفاتر منه إلى درس التقارير والأذابير ، ولعل حكمه هذا منبعث من معرفة النقص في أخلاق بعض مواطنه وضعف تركيبهم السياسي يوم إعلان الاستقلال .
كان صاحبي يعرف أن الاستقلال يتناقضى مصر جهداً حتى تعناد الحياة النيابية ، وتندوق طعم الحكم الدستوري ، ذلك لأن الأئمة كانت غالباً على القطر ، ويبعد اليوم الذي تزول منه ، ومع الأئمة يتذرع تطبيق الأساليب الحرة في الحكم . وكان يعرف إلى هذا أن بعض من كانوا يتولون الأمور من المصريين قد أفسدهم حب الانتفاع من الغريب ومصانته حتى أصبحوا فئة لا تؤمن على شيء . أما الفريق المقاول فيدرك أن النقص لا تسلم منه حتى الأمم العريقة في الحكم النيابي ، ولا بد من مرور زمن حتى تنشأ طبقة راقية تعرف ما لها وما عليها .

بعدأربعين سنة قضتها مصر في نزاع شديد مع الاحتلال لم يسعه إلا أن يجعل وثائق المصريين ، فأصدرت بريطانيا العظمى التصريح المعروف بتصریح ٢٨ فبراير (١٩٢٣) واشترطت فيه أن تبقى مسيطرة على طرق موصلاتنا ، وهي تدفع عن مصر كل اعتداء أو تدخل أجنبي ، وتحمي مصالح الإنجليز وتحفظ لنفسها بالسودان ، وبذلك رفعت الحياة عن مصر فأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

وظهرت مصر في عهدها الجديد بظاهر من التعلق ، وسنت لها دستوراً اقتبسته من أحدث الدساتير ، وأخذت ترتب أمورها وتلم شفتها ، وبذل صونها يسمع في الاندية السياسية ، وأنثبتت في مواطن كثيرة استعدادها لمارسة الحكم بدون مراقبة أجنبية ، ونبغ فيها رجال يدركون كراسة الغرب ، كيف يطالبون بحقوق أمتهم ، وأنقذوا في حقبة قصيرة ما نعلم به حال الغرب في الزمن الطويل .

وما كان هذا الاستقلال محض منحة تفضلت بها انكلترا على مصر ، بل كان فيه شيء من معنى الرجوع الى الحق ، واعطاء وادي النيل بعض مطالبه . وما فتى المصريون منذ سنة ١٨٨٢ ، وهي سنة الاحتلال ، يطالبون بجريدة ديارهم ويغلون الثمن في الوصول اليها ، يلحف أعاظم رجالهم في تلمسها بالطرق القانونية فيسجنون ويشردون ويغرون ويعاملون معاملة اللصوص والقتلة لا معاملة وطنيين شرفاء يطالبون بفك أمر بلادهم من يد المعتدي عليها . وعلى كثرة ما لقي رجال مصر من عذاب السلطة المختلفة ما يئسوا ولا أحجموا واستهلهوا كل صعب في سبيل تحقيق امازيمهم . وكان الشباب يؤلفون الجمعيات السرية وينوون عن أساليب الدعاية لانتقاد وطنهم ، وكثير منهم تركوا مدارسهم وما عادوا اليها فساء مستقبلهم ومستقبل بيوتهم في سبيل مصلحة بلدتهم . وقام معظم الطبقات بدعاية واسعة في الصحف والجمعيات والاعنديات في مصر وخارج مصر ليقعنوا العالم بعدهلة مطالبهم . ومن لم يخدم مصر بقلمه وجرأته وخطبه خدمها بالله . فأنفقت في هذه السبيل ملايين من الجنيهات ، والقوم يعتقدون أن كل ما يبذلوه هو بعض ما يجب عليهم . واستمرت في هذا الجهد الاكابر جميع طبقات المصريين ومنها النساء المثقفات وبنات السيدة .

وكان من ثور مصر حين أخر ، ونهر بالذى ثور من أجله ،
وتقى عزٌّ الفجايا من زهرة أبناءها ، ويظهر الشباب المتفق ، وبعضاً
من أبناء النعيم أهل الرفاهية والغنى ، بظهور من الوطنية يفاخر به .
وكان من أبناء تلك التربية الناعمة من يفتالون كل مصرى رفع في

نقوشهم أنه يخون قضية مصر ، كما يفتالون بعض رجال الاحتلال من
يعتقدون أن في أهلاً كهم عبرة لغيرهم ، حتى ترجع دولتهم عن تشدهما
في اعطاء مصر حقها .

واستعمل الانكليز أفعى الشدة لصد المصريين عن المفي في مطالبهم ، وبينا كان الوطبيوت عزلاً من السلاح كانت الحامية تطلق النار على الشعب فيتقاها بصدره صابراً حتىساً . وما حدث في ثورة سنة ١٩١٩ وفي غيرها من التورات كان برهاناً جلياً على أن الانكليز يعمون ثورة من يناصبهم العداء بشدة بالغة لا هوادة فيها . وقد استعمل النازرون المصريون العنف في أكثر مظاهراتهم . وتحملت الحكومة المصرية الفرامات الباهظة لمن قتلوا من الانكليز ، فخسرت مصر من مادياتها وربحت بعنوياتها رجحاً أظهرها أمام الأمم الراقية في مظهر أمة متمدنة لا تنام عن حقها ، وتفادي بكل عزيز للبقاء على وطنيتها وقوميتها .
لأنه لا تنجح الثورات على الاكثر ، فثورة عرابي أخفقت لأنها أسفرت عن احتلال الانكليز مصر ، وثورة سنة ١٩١٩ نجحت لأنها أدت إلى تصريح ٢٨ فبراير . وكان في مطالبة مصر باستقلالها اعتدال وكياسة ، يرافق المفاوضة مع المحتلين أناس ان اختلقو في أحزفهم فما اختلقو في تحقيق غرضهم الشريف وهو خلاص وطنهم من يد الغاصب . دأبوا على المطالبة وما فترت لهم همة ، وكانتوا أجياناً يعلقون على الزمن تحقيق رجائهم في حل مشكلتهم المعقّدة . وكان منهم من يتلطف في الطلب ، ومنهم المتشدد في شروطه ، ومنهم من كان في حالة بين بين . وكلهم يطالب بالجلاء ، وهو مدرك أن خصم ضخم لا يقبل إلى استخلاص شيء منه بالقوة ، وكان المفاضل المصري اذا لم يصل إلى ما يريد من المفاوض بالبريطاني يحوقل ويسترجع ولا يقطع أمله من بلوغ بغيةه بمعاودة المفاوضة . كانت حجة البريطانيين في مشروعية الاحتلال إعادة الأمان إلى نصايه ، وتوطيد عرش الخديوي ، والاشراف على دبوت الدول ، وكانت بلغت سعة وتعنف مليون جنيه ، منها ما هو لإنكلترا . وكان الانكليز من أول

يوم يدعون أن اختلام موقت ؟ ولكن طال أمد هذا الموقت حتى صدق فيه المثل الإفرينجي « لاشي يدوم كاكا يدوم الموقت » .

وفي الحق أن هذا الاستقلال الناقص أفسر عن فوائد عظيمة لمصر ولغيرها فأصبحت تقدم وتؤخر في سياسة الشرق الأدنى ، وكان لها الشأن الأول في جامعة الدول العربية السبع (مصر وسورية ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن) .

ومن الطبيعي أن تكون الصدارة لمصر بين الدول في هذه الجامعة ، لأنها النظام منذ عهد محمد علي الكبير ، وأن لها من أرضها ما يضمن لها القوة ويتعهدها بالحياة على ما تتمتع بها المالك الكبير ، وأن أهلها كانوا من أسبق الأمم العربية إلى معاناة السياسة والأخذ بالمدينة الحديثة ، وأن لها مركزاً هاماً بين المالك العربية ، وتعد لاعتبارات كثيرة بروزها بين الشرق والغرب ، وهي بجموعها أرقى المالك العربية وأكثرها سكاناً فإذا لم توفق مصر حتى الآن إلى تحقيق رغائبها في الاستقلال الكامل فما ذلك لقصور منها في اتخاذ الأسباب ، ولا لضعف في سيادتها ، وما السبب فيه إلا أن الانكليز يخافون أن رفعوا القوة العسكرية من الترعة وردوا السودان للسودانيين والمربيين ، أن يكون من ذلك اختلال مواصلنام . وأصحاب السلطان في مصر يؤذكون أن جيش مصر قادر على حماية الترعة من كل اعتداء أجنبي .

إن ما خافه صاحبي الحصيف على مصر في طورها الجديد للا نسف فيما لا نحمد عقباه هو اجتهاد منه ساقه إليه اعتقاده بأن ما سيجري قد يحمل خيراً وشرأ . وهو يتفادى الشر ولا يجب مناجزة دولة لا يصطلي بنارها . أما مصر فما أغنى عنها عن هدفها الأسنى منذ ثانى وسبعين سنة إلى يوم الناس هذا ، وتحجج الفرص لطالبة انكلترا بوعدها الذي قطعته على نفسها بالجلاء التام ، وامتاع مصر باستقلالها الحالي من كل قيد .

عتاب أحباب

عتب على الاستاذ ماسنيون اطعني في المذكرات باستعمار فرنسا ، ونعي على ظلمها المسلمين في شمالي افريقيا ، وعجب أن ختمت صدافي مع دولته بهذه الحلة المنكرة التي ما كانت تتوقع مني . وأنا أيضاً آسف أن يضطريني ظلم الظلمة الى استعمال هذا اللسان مع فرنسا ، خصوصاً وأنا أحبها ، وأحب شعبها ولغتها وأدبها وعلماءها ، ولهم أصدقاء أباهي بمحبتهم ، ولا أنسى لطفهم ووفائهم ، وفي مقدمتهم العلامة ماسنيون .

وأنى لي أن اختار السكوت عن أعمال الفرنسيين في بلاد الاسلام ، والعالم المتمدن ، ومنهم بعض أهل فرنسا ، تأملوا يوم ضرب جندهم دمشق ، وخرروا دار ندوتها ، وكانوا تحببوا وتأت انعقاد مجلس النواب فقدفوه بجحدهم ليقضوا على المجلس ومن فيه ، دع ما أتوه من الفظائع في سائر مدن هذه الديار ، وكل ذلك ليكرهوا سوريا على قبول معاهدة تنافي مصلحتها . ولا أعرض هنا لما ارتكبه جيشهم في الثورة السورية ، فقتلوا الابرياء في بيوتهم وحقولهم وفي الشوارع والساحات ، وخرروا بقتابلهم وقدائفهم جزءاً مهماً من مدينة دمشق ، ودكوا كثيراً من معالمها التاريخية ودمروا اقرابها وأريافها ، فكانت الحسارة عظيمة لا تعوض .

سار الفرنسيون في حكمهم المسلمين على خطوة واحدة في الظلم ، لم يغيروها منذ هبوا يعتقدون على الشعوب الضعيفة ، يزهقون أرواح السكان بلا رحمة ، ويستصفون أرضهم بغير الحق ، وينعنون التعليم عنهم ليقوم بهائم في صور آدمية . ومن هنا أنت كراهية المسلمين للاستعمار الفرنسي ، ولعنهم زبانيته في السر والجهر . ومنى أحب المظلوم ظالمه ؟

ومنى صفا قلب المستعبد لمستعبده ؟

خالفت فرنسا في الجزائر أبسط قواعد الإنسانية ، منذ وضعت قدمها فيها ، وكانت سياستها من أول الفتح إلى أن خضم لها القطر خضوعاً كاملاً تدور على نزع الأموال من أصحابها ، واعطانها من لا يحسن استئثارها من الفرنسيين ، ارتكبوا التحقيق هذا الغرض من انواع الظلم ما ترتجف الأفلام من كتبه .

وما أنما الجنرال بليسيه من أهلاك قبيلة بنسائهم وأطفالها حرفاً بالدار داخل الغار الذي التجأوا إليه ، يشبه ما أنما الجنرال أوليفار وجه في دمشق يوم ارتحالهم عنها في المهد الأخير . حقائق لا يجهلها السيد ماسبنون فيها أحبب ، وليس هو بمحم الله من المكلابرين .

وما قول صديقي أيضاً في آخر وقعة لستعمرى أمنته في الجزائر وهي الفتنة التي دكوا فيها أحدي وأربعين قريه (تموز ١٩٤٥) لاتهام أنها بقتل بعض الأوربيين ، فأهلقت السلطة في الحال ستين وجلا من سكانها رمياً بالرصاص ، انتخبتم على ما اتفق بلا تحقيق ولا محاكمة ، ودمرت قراهم بالطائرات من الجو والوحدات البحرية من البحر ، وقدر عدد من قضوا بهذا الطيش الاستعماري من ١٢ الى ١٥ الف (وفي رواية ٢٥ ألفاً) هذا اذا فرض أن نصف السكان اعتصموا بالجبال (ص ٧٣٧ ج ٣ من المذكرات) .

رأى المستعمرون في هذه العقوبة الجائرة فرصة لإبادة جانب من الجزائريين ، ولو كان مقصدهم النأدب واحفاظ الحق لسلّموا المتهمين إلى القضاء وأخرجوا الفاعلين من بين هؤلاء الآلوف من الأبراء ، ولكن الاستعمار الفرنسي قام في كل عصره على الظلم ، وليس مستعمرة القرن العشرين في بغيهم أقل من مستعمرة القرون قبله .

وآخر ما نقلهلينا البرق من أخبار استعمارهم الموقت ما كان يوم ٣٠ حزيران ١٩٥٠ في تونس وقد أدى سمو بايه صلاة الجمعة في المسجد الكبير فاجتمع المسلمون بمحبونه وبطالبون باستقلالهم ، فما كان من السلطة

الا أن أمرت الحامية بمهاجمة المسلمين داخل المسجد وخارجه ، وأخذوا يقذفونهم بالقنابل المسيلة للدموع ، ثم انقضوا عليهم بدافعهم الرشاشة فقط مئة وعشرون قتيلا ، عدا الجرحى ، في باحة المسجد وأمام بابه وفي الساحة الواقعة أمامه ، وصرع عدد من النساء والأطفال برصاص مسدسات الجندي . ومن غريب ما أتته حكومة تونس المستعمرة في تطاويس ابلاغها مؤخراً قبيلي الطرافقة والمخالبة وجوب قلع اشجارهم واجلاء أراضيهم المجاورة للبيبا ، واعتقلت آئمة المساجد واقتضى معتقل تطاويس بالوطنيين الآباء ويجري الآن تعذيبهم والتنكيل بهم ، واجبارهم على الاعمال الشاقة وحمل القذارات ويتركوهم بدون طعام .

أدون هذا والجيش الفرنسي المحتل في مراكش يضرب بداعمه وقناطيله أرباء المراكشيين ، وسلطانهم شبه معتقل ، وقد سلب حريرته وحيل بينه وبين رعيته ، لأن امته طابت باستقلالها . ويكفي ان يجري اسم الاستقلال في الألسن حتى تزحف أرواح المئات والالوف من الوطنيين . والى ساعة نشر هذا الفضل لم تعلمحقيقة ما ارتكبه المستعمرون من ضروب المهمجية والقتل الذريع . وقد سبق لهم في شهر نيسان من سنة ١٩٤٧ أثناء زيارة السلطان محمد الخامس مدينة طنجة أن أطلقوا مدافعهم الرشاشة فبحصتها ٥٦٣٠ من أهالي البلاد . نعم ٥٦٣٠ قتيلا . ولو أحصي من قتلوا في هذه الأقطار الثلاثة المنكوبة بالاستعمار الفرنسي لبلغوا ألوان الالوف . فما قول السيد ما سنينون بهذه الفضائح التي لا تزال تتكرر في مستعمرات جهوريته . وكثيراً ما شاهدت عقلاه فرنسا أنفسهم ينتقدون هذه السياسة فكيف بي ان امتنع عن الجملة على رجال الاستعمار وقتلهم أبناء جنبي . واني لأعتقد أن ما كتبته في هذه « المذكرات » ، وفي « الاسلام والحضارة العربية » ، وفي « القديم والحديث » ، في موضوع استعمار القوم ، يواافقني عليه ثلاثة أربع سكان فرنسا ، ولا يتخرج المتصف منهم من القول ان معاملة المستعمرین بجماعة المسلمين هو العدوان المستديم والظلم الذي فلما

شهدت البشرية أفعى منه . وان استبداد فرنسا في الجزائر ثم في تونس ثم في مراكش كان من أشد ما عهد من ضروب الاستبداد ، وما كان لأمة أفعى جيش اعدائها القتل فيها أن تتنامي سيناته ، لأن فيه بعض قواد فطرت قلوبهم على الرحمة ، وما وقع على المغلوبين من حيف لم يصدر عن رأي الرحاء منهم .

أحسن علماء فرنسا للإنسانية ، ورجال الاستعمار من أبناءها أساموا لأهل الإسلام خاصه ، ولكل بلد شرقي دخلوه عامه . حقيقة لا ينazu ففيها منصف . وأنا اذا لم أغض الطرف عما ارتكبه أقل ديننا الأزرار من ظلم العرب مدة استئثارهم أرضنا وكتبت في «خطط الشام» وغيره من تاليفي ما يجب على المؤرخ تدوينه ، فمن باب أولى أن أنكر ظلم دولة لا تربطني بها رابطة جنس ولا دين ولا لغة . على أني لم أتكلكا في هذه المذكرات أيضاً عن الأفراد بجميل الدولة المتذكرة في إهلاض سوريا ، ذكرت حسناتها يوم أحسنت ، وعدت عليها باللائمة عندما أساءت ، وما باليت بمحنة أرباب المدارك من السوريين ، نوشت بالجليد من أعمال فرنسا أيام انتدابها على ديارنا ، وفي سبيل القيام بالواجب لم أعبأ بغضب من غضب ، وجادلت من جاداني فيها أعتقدت صحته ، لعلمي بأن في السكوت عن حسنات المحسنين غلط حق وانكار جميل ومدرجة الى امتناع المحسنين عن العمل الصالح .

وما أخال عزيزي ماسنيون وسائر أحبابي منبني قومه الا عاذرين لي على النهج الذي انتهجه في تقرير الحقائق التي لا يروق أحباب الاستعمار للتعریج بها . ولو كان أحدهم في مکانی لجرى على طريقي ، ولو أغضب عشرات الآلوف من الناس . وعلى النافدين علي في بجاورة المستعمرین بما جئت أبديهم ألا ينسوا أني عربي وتمني مصالحة العرب قبل كل شيء .

قرآن حميد

ذكرت جريدة «أخبار اليوم»، أن وزارة الخارجية المصرية طلبت إلى وزارة خارجية فرنسا السماح لها بإنشاء قنصليات في طنجة والدار البيضاء وغيرها من بلاد المغرب الأقصى وتأسيس مدارس مصرية هناك، وأن الحكومة الفرنسية لم ترد على هذا الطلب، وأنه عرضت على المؤمن الدبلوماسي بالقاهرة مذكرة تضمنت افتراضًا يرمي إلى التهديد باغلاق المدارس والقنصليات الفرنسية بصرفي حالة عدم تحقيق طلب الحكومة المصرية في مراكش. وذكرت هذه الجريدة أن القسم المغربي لمجلس شورى الحكومة، وهو أحد مجالس البرلمان المراكشي، دعى للجتماع لاستئناف بيان الحكومة عن التعليم، فوجه أحد الاعضاء الوطنيين سؤالاً إلى الجنرال جران المندوب السامي الفرنسي في مراكش عن سياسة الحكومة في التعليم و موقفها من العون الثقافي الذي تستعد مصر لتقديمه إلى المغاربة لإنشاء مدارس مصرية ومراكز للثقافة العربية، فرد المندوب السامي الفرنسي على ذلك بقوله: «يسومني أن تظل فئة من المغاربة تنظر إلى مصر والدول العربية مثل هذه النظرة»، ويسومني أيضًا أن تنتظر مراكش علينا ثقافيةً من هذه الدول في حين أن العكس هو الذي ينبغي أن يكون. فالمغاربة إذ يتسمون العون من الشرق يتبعون أن المغرب أكثر رقياً وثقافةً من مصر، وإن الاتجاه إلى الشرق هو أكبر خطأ ترتكبه المغرب، ويجب أن تتجه إلى أوروبا بدلاً من أن تتجه إلى إفريقيا والقاهرة.

وقد ردَّ العضو المراكشي على ذلك بقوله: «ليست هذه أول مرة تحاول فيها فرنسا المقارنة بين مراكش ومصر والتعریض بالعرب»، فقد سمعنا شيئاً لهذا الكلام من مندوب فرنسا في مجلس الوصاية. ومضى

يقول ومصر التي يحاول المندوب السامي الفرنسي أن بوهمنا بأنها دوننا ثقافة قد أنشأت خلال عشرين عاماً أنت عليها في الحرية أربع جامعات وأعلنت مجانية التعليم الثانوي والابتدائي بينما لا تزال أمميتنا الفالية ان تستطيع اقناع الحكومة بانشاء لا أقول جامعة او كلية ، بل مدرسة ثانوية نوافد إليها أبنائنا . وختم العضو كلمته بقوله : أما الى اين تتجه الى الشرق أو الى الغرب فامر قد درسناه واذعناء . لقد قلنا اتنا من الشرق والى الشرق ستجه ، ونحن عرب والىعروبة تنتسب . وهدفنا الذي يعلمه المندوب السامي هو الاستقلال والانضمام الى الجامعة العربية .

هذا منطق يمثل فرنسا الاكبر في المغرب الأقصى وجواب احد ابناءه عليه . وهذه السياسة في تعليم المراكشيين هي عين السياسة التي اتبعتها فرنسا في كل بلد اسلامي احتله . وكلام مندوب فرنسا في جلسة مجلس الشورى المراكشي كلام من يحاول انكار الحقائق الظاهرة ، ومن لا يخجل من التصريح بالكذب على رؤوس الاشهاد ، والف برهان يكذبه . مراكش ارقى من مصر؟ هذه دعوى من اسفى ما سمع ، لا يقول بها عاقل . وكيف تدعى بلاد ليس فيها ، بعد احتلالها اكثرا من اربعين سنة ، مدرسة ثانوية واحدة ، اتها ارقى من مصر ؟ وبعد فانا كلام اردنا تجنب الكلام عن سياسة فرنسا مع المسلمين في هذه المذكرات تراثا مدفوعين بعامل انساني وفومي الى تزييف خططها ونقد مناهج سياستها ، ونعتقد اعتقاداً جازماً ان الكذب الذي يجري على السنة رجال الاستعمار وفي صحفهم كل يوم لا يأول بغير احتقار العالم والعبث بالحق جهاراً . ان مصر على ما رأينا مصرة على فتح مدارس لها وقنصليات في ارض مراكش فإذا لم تجحب الدولة الخالة على هذا الطلب المعقول تغلق مصر المدارس الفرنسية في وادي النيل . وما دامت فرنسا تحتفظ بطريقتها السقيمة في استعمارها على حين تخلت اكبر دولة استعمارية وهي بريطانيا العظمى عن الاستعمار ، ما دامت على ذلك وهي عاجزة عن المحافظة على السلام في مملكتها الأصلية انى لها أن تدبر مالك عظيمة كالجزائر وتونس ومراسكس تخالفها في جنسها

ودينها ومدينتها ، وهي لم تر من ساستها منذ احتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ .
سوى الشر والضر .

هذا وقد وافقت حكومة إسبانيا على إنشاء معهد الدراسات الإسلامية في مدريد عاصمتها كما وافقت فرنسا على إنشاء معهد إسلامي في طنجة وهي منطقة دولية حرة من أرض مراكش وليس منها في العرف الدولي وبقي طلب مصر عند هذا الحد .

لِرَأْيِفِ وَلَا نُشْرِ

تحدث إلى صديق صرفت معظم حياتي معه في نفاذ المطبوع من أكثر كتبني ووجوب إعادة طبعها ، وخفف الوسائل الآن إلى تحقيق هذه الأمانة . فكان رأيه أن من كتبني ما حفظت نسخ منه في الخزائن العامة والخاصة ومني مست الحاجة إلى تكثير أعدادها في الأيدي يتقدم من يطبعها . والأولى فيما أولفه من جديد إلا أنكلف طبعه ، وأبقيه في مسوداته ليطبع بعدي . هذا ما أرتاه الصديق العالم ، وهو يقصد بما يقول راحتي من عناء النشر ، بعد أن تعبت في التأليف . قال : أني قمت بما يجب عليّ من هذا القبيل ، فالاجدر بي الاكتفاء بما ألفت وطبعت وهو كثير . وقال لي صديق قديم عرف الأيام والناس أني وفقت بما وضعته من الكتب واستحسنها من وقعت عليهم وقرأوها وإنما انتشرت مقدرة لها الانتشار ، فمن أخير الآن إلا أفكر في غير صحي ، والاحرجي أن أمنع عن التأليف بعد يومي هذا .

رأيان لحبيبين عاقلين يعلمان أني لا أقصد من وضع الكتب إلا ما أعتقد النفع المعنوي منه . وأنا أرى أن واجبي لا يكمل إلا يوم تكمل انفاسي . وذمت عامل طبيعي يحفزني إلى المفي في التأليف ،

مادمت أتمن من مسك القلم ، وأصبر على التهديق في الخطوط التي أخطها ، لا أكتب ما أرى فيه بعض الفائدة من تجاري في الحياة رجاءً أن يكون بما أنشر القيام ببعض الواجب ، ولا أكتب لاتسلي أو أنا شهرة أو مظهراً ، وربما كنت امتنع من التأليف ، وبصفة عني التكليف فيه ؛ لو سمعت أن في المؤلفين اليوم من يعانون ذا الضرب من الكلام الحر .

ولا أمثل لما يدعوني إلى معاناة ما أعنيه إلا بتألتين صرفت فيها جانباً من اهتمامي منذ وعيت على نفسي ، وعما الاستعمار التركي ببلاد العرب والاستعمار الفرنسي في بلاد الإسلام ، فقد عرضت لترحيف الأول فاستاء بعض رجال العهد البائد من العثمانيين لطعني بما أتوه هم واجدادهم خلال اربعة قرون في الولايات العربية ، ثم انتهت أيامهم فأصبح ما ارتكبوا في ديارنا من حق التاريخ أن يحكم فيه ، والتاريخ يقضى بالعدل بين الترك والعرب وبين العرب وغيرهم من الأمم . والمأساة الثانية غضب رجال الاستعمار الفرنسي بما أرددوه في الأحايين من عفهم ، ومن مصلحة المستعمرين أن يكتتموا عن العالم ما يبيتون لل المسلمين ولغير المسلمين .

أنا الآن لا كلام لي مع الترك فهم اليوم وراء حدودهم ، والعرب يرجون لهم كل خير على إلا يقاومون في زائف وحدتهم السياسية . ولكن الفرنسيين ما بروحت أحکامهم نافذة في شمالي إفريقيا وأوسعها في نحو خمسة وعشرين مليوناً من أهل الإسلام ، فمن الواجب أن أثبت أخبارهم بقدر الامكان . ويدعوني إلى ذلك في الأكثر أن العالم العربي في غفلة ، وأهل كل قطر منصرون إلى ما يهمهم فقط . ولم يبلغنا أن أحداً من المفكرين المعاصرين أهتم لما يقع من العظام في الجزائر وتونس ومراكمش ، اللهم إلا ما يكتب الحين بعد الآخر في بعض الصحف السيارة من أخبارها المؤلمة ، ويلقى من الغد في سلة المهملات . فأصبح من المتعين علي وحالته هذه أن أعني بسائل أحفيتها درساً ، وألا أتواني في ذكر مصائب أخوانني الإفريقيين .

فهذا يكون الحرف من بطش الطعام دافعاً يدفع من يرجى منهم انكار ظلم فرنسا في مستعمراتها الى اهمال هذا الأمر الانساني والقومي . وفي الناس من يدهن الدولة ما دامت قائمة ولا يجسرون على نقد سياستها الا يوم تصبح من الدول المنقطعة او تكاد .

فمزاح هذه المذكرات اذ يقيم النكيو على الفرنسيين في قسوتهم على المسلمين يقوم بواجب ، وبعد نفسه جد سعيد اذا وفق الى اسماع صوته بعض عقلاه الجمهورية الفرنسية ، وهو يقوم بهذه الخدمة حتى الممات لا يبالي بما يعترض سبيلها من العقبات .

رئي لي بعضهم لاتهاب نفسي في معالجة مسائل شائكة كانت علي أن اختار السلامة ولا أخوض فيها ، حتى لا استهدف لغضب الدول والافراد ، وأنا ما جوزت لنفسي هذه الخطة الا بعد أن رأيت ما رأيت من تخاذل الامة العربية ، وبعد في تخاذلها سكوت القادة على الكلام من أهلها في انكار ظلم المسلمين في شمالي افريقيا ، ومن آثار تفاصيل العرب ضعفهم الباديء اعراضه مما كان منه سقوطهم من أنظار أعدائهم ، والسكوت موت أو ما يشبه الموت ، وأعداء العرب لا يطلبون . منهم أكثر من هذا .

التمويل البارد

انفع للسوريين أن رجال الكتلة الوطنية او الحزب الوطني ، وفي خواتيم امرهم خاصة ، ما انوا الا ما فيه نفعهم على الاكثر ، وانهم غادروا في الانتقام من خصومهم بما لا تكاد ترتكب مثله حكومة مع معارضيها . ولا ادرى بعد ان ظهرت سيناتهم للعيان كيف يقنعون الامة بأنهم نفعوا الوطن ثم بحاولون الرجوع الى الحكم بالمؤامرات والثورات والمظاهرات ، على حين ظهر العدو والصديق انهم قلما شرعوا بأمر نافع وآتوه ، وانهم ما انهم تخفيف كربة الرعية وتحسين حالتها الاقتصادية والاجتماعية ، وكانوا الى الغبطة ما غرفت بيومتهم في التعميم ، ويعدون من القوة انهم يهيجون الشعب كلما بدا لهم ، وينغلقون الحوانيت ؟ ويعطّلون التجار ، ويلقون الملكة في هرج ومرج فتسوء سمعتها في الخارج وتتأثر اقتصادياتها أنت الكتلة الى الحكم وفي خزانة الدولة نحو مئة مليون ليرة سورية من الوفر فانفقتها باسراف في أعمال غير مشرة ، وكانت واردات الدولة عظيمة في ايامهم فصرفوا قسماً جسيماً منها فيها لا يجيء على الرعية ، وتركوا على الجمهورية مائة وخمسة ملايين ليرة ديناً . وكانوا مدة حكمهم يتلمسون طرق التبذير ، وذلك بأن يعتمدوا المبالغة في تقدير الإيرادات عند تنظيم الموازنة ليسوغ لهم التوسع في الصرف من اول السنة ، والموازنة في الحقيقة الى عجز ظاهر .

سخيف لغير الحق من يذهب الى أن معنى سكتوت الرعية عن مساويه حكومة أنها راضية عن حكمها . وسخيف من لا يدرك ان من عادة الدهر التمدد والتبدل وان كل ما خالف العقل ونابذ الشرع والعدل مقتضي عليه بالانهيار في النهاية .

التجارب ، وظنت ان كل ما مختلف فيه المنطق ينطلي على الامة ، وان

فوتاً تبقى لها لا ينزعها أحد ، مادامت السلطة بيدها ، وهي في كل أولئك
تظن نفسها مخلدة في الحكم . وكان من رجالها من لا ترضى حكومة
بتوصيد المناصب العالية اليهم لقلة أمانتهم وضعف تقاومهم .

ولو حلانا حياة البارزين من رجال الكتلة تحليلاً دقيقاً لتجعل للأعين
قيمة حزبهم . وبحكم على الأفراد والجماعات بما تم على أيديهم من خير وشر .
بلغ أكثر رجالهم سن الشيخوخة ، ومن لم يأت الحين على يده وهو شاب
وكهل يستحيل أن ينتفع به وهو شيخ ، ولذلك رأيناهم لما خرج الحكم
من أيديهم طاش سهّلهم وراحوا يحاولون أن يعودوا إليه ، وليس معهم
من الحق ما يوصلهم إلى ما يشتهون ، ولا قوة لهم يتأتى الركون إليها
الإـ قوة من كانوا يتناولون منهم المشاهرات والانعمامات والاعفاءات ،
وهؤلاء تخليوا عنهم يوم الشدة وتناسوهم تناصياً ما كان يؤمل منهم غيره .

مـن تـجـهـيـزـهـمـ

البعض الصارمة

تعاون الحكومة المصرية شعبها جزءاً على الاحتفاظ بخرافاته . ومن ذلك اطلاق الحرية لعاصمتها حتى تختلف كل سنة بولد السيد البدوي وغيره من أوليائهم . ويجري في هذا المولد من ضروب الفتن والتجور ومعاطفه الخدرات والخمور ما لا يكاد يقع أكثر منه في المداشر والحانات .
وانه ليسوا أرباب العقول من المصريين وغيرهم أن نظل مصر الى اليوم على ما كانت عليه منذ قرون محافظة على هذه البدع . ومصر من عادتها أن تجتمع كل غريب وفيها الاصداد مائة ، فهي في آن واحد كهف الشريعة وبيت الدين وموطن البدع والخرافات .

لو كان لي رأي يسمع هناك لافتتحت على الحكومة المصرية ابطال هذه الاجتماعات لما فيها من العار على القطر المصري وعلى المسلمين كافة . وقد يخطر في الذهن أن الحكومة مقيدة بمخاطر بعض رجال الدين من ربوا في الخرافات ونشروا وسط البدع فلا تجرؤ على تحالفهم ، وهم لايفتونها اذا استفتنتهم الا بما يعتقدون وان اعتدوا في باطنهم انهم يخالفون بذلك روح الشرع مخالفة ظاهرة ، يضاف الى ذلك أن من يأيدتهم البت في مثل هذه الامور لم يدرسوا من الدين مايعرفون به مايصح وما لا يصح ، ومعظمهم من الصنف الذي لا يهم لغير راتبه ومرتبته .

امير مرق و وزير

كان رئيس مجلس الوزراء السيد جميل مردم بك يود لو اهتدى الى حيلة نوصله الى اقصائي عن رئاسة المجتمع العلمي العربي مدى العمر كما وفق بعاصدة حزبه ، فابعدوني مرة عن هذه الرئاسة بضع سنين ، وما بالوا بتعطيل أعمال معهد يخدم العلم والادب ويدعو للعربية والعرب . ولا شأن عند السيد جميل الاضرار بالجماعة اذا كان فيه شفاء النفس من رجال يبغضه من غير ماسبب ، وهو يرى كل نفعه في معاضة الرعاع لتأنيتهم في أهل الاحياء يوم الانتخابات ولا يأبه لما يقال له علم أو أدب .

والاصل في هذه العداوة فيها أحباب أني لم أقبل اقتراح أصحابه في عدم الاشتراك في وزارة السيد تاج الدين الحسني ، وكانوا وعدوني ان أنا صدعت بأمرهم أن يوسعوا الي يوم يستلمون الحكم رئاسة المجتمع براتب ضخم . نعم كان السيد جميل مردم يريدني أن لا أشتراك بوزارة السيد تاج الدين ، أما هو فيجوز لنفسه وجوز له حزبه الاشتراك في وزارة السيد حفي العظم ، وهذا مثل الحسني انتدابي ومن صميم الانتدابيين . أى أن هذا السياسي الحنكي اجاز لنفسه وهو غارق في حزبيته ما حرمه على غيره وهو حيادي مستقل لا حزب له .

وأخذ ابن مردم يتقط لي العثرات مدة ولايته من غير ان يتظاهر انه مناوي لي ، على عادته في عدم مجاهرة أرباب المكانة الاقوياء بالعداء ، والاكتفاء بالدس عليهم من وراءهم .

ومن ذلك أنه بعث كتاباً رسمياً الى وزير المعارف يقول فيه أن أعضاء المجتمع العلمي العربي يتخلرون عن حضور الحفلات الرسمية وأنهم ما شهدوا الحفلة الاخيرة التي شرفها الرئيس الاول بحضوره ، وأنه يؤخذ على المجتمع أنه لم يبادر الى اقامة حفلة تأبين للامير شكب ارسلان

فكان جوابي أن ليس في قانون المجمع العلمي مادة تكره الأعضاء على حضور كل حفلة تقام في المدينة . أما تأمين الامير شكيسب فقد تقرأن بمعتض عنده بكتاب يوْلَفَهُ احْدَ الاعْضَاءِ فِي سِيرَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِدِيرَةِ ، وهذا الجواب لم يرض بالطبع رئيس الوزارة .

ما كان هذا الوزير يهم في الحقيقة لغير مصلحته الخاصة لذلك كانت الفرضي ساندة على عهده في معظم الدواوين . وهو في الظاهر على انفاذ مع الرئيس الاول ، وقيل ان هذا كان يرمي الوزير بالانتفاع من منصبه انتفاءاً فيه ما يقال ، الا أنه لا يجرؤ أن يفاته بشيء ، وكل واحد منها مضطر إلى الأغضاء عن صاحبه في مسائل حتى يغضي هو له عن أخرى . ودام رئيس الجمهورية محتفظاً برئيس وزارته والناس غاضبون حتى ثار الشعب وطالب علينا باقالته ، فقتل أنس في المظاهرات وتعطلت أعمال العاصمة أياماً .

ويقول العارفون ان السيد جميل مردم بك بعد أن كان أخلاقاً قبل الوزارة ، وصدرت عليه عدة أحكام بالحبس أو أداء ماعليه لارباب . الديون استفاد من منصبه ووفى ماعليه في برهة قصيرة ، وعاد يقول في مجلس النواب وقد عرضوا له بما يرتكب في حكومته من التلاعب : « مَاذَا أَعْمَلْ وَقَدْ خَلَقَنِ اللَّهُ غَنِيًّا » وفي الحق انه اثبتت غناه بما افتناه في مصر بعد خروجه من الوزارة من اطيان وأسمهم شركات وعقارات .

علم الهمة

قرأت في مجلة «المعلم العربي» ما بذله صديقي الاستاذ عوض العامري من الهمة في انشاء مدارس جديدة في سوريا وماجاها، من الطرق حتى بلغ غرضه من دون ان يزعج الاهلين في جمع الاعانات لبناء المدارس، وبهذه الطريقة الحازمة انشأ مئتين وخمساً وتلائين مدرسة في محافظات حوران ودمشق والفرات.

و لقد كنت تفرست فيه هذه الهمة و اكبورها منذ عيشه مديراً لمعارف حوران ، ولعهدي به كلما قامت العقبات امامه يذللها ببعد نظره وحسن ادارته ، ولو وفق العمال الى ما وافق اليه الاستاذ العامري لدخلنا فيما دخل فيه المتذمرون .

ولو كان جميع الموظفين يفكرون في التبعة الملقاة على عوائقهم لما جوزوا لأنفسهم أكل خبز الامة ثم هم لا يتقابلونها على احسانها اليهم ، ولكن من المأمورين من يرون النجاح في أن يأكلوا ويشربوا وينعموا ويجتمعوا ، ولا أرب لهم في غير ذلك .



صاحب غریب

جرى تعارف بالمراسلة بيني وبين المسيو لشاتليه مدير مجلة العالم الاسلامي الفرنسي في باريس . وكانت آزرت في صحيفته قليلاً فغدا يعذني من أصحابه في الشرق .

ولما وافيت بلاده زائراً أكرم مثواي وتفضل وأصحابي بآديب من أصحابه بطرف بي المعلم التي يصعب عليَّ وحدتي الوصول إليها في عاصمة الفرنسيين . وجئت أودعه في العودة إلى وطني فذكرت له أن من نبيبي أن أزور ألمانيا ان تيسر لي ذلك ، فغضب غضباً شديداً لما سمع اسم ألمانيا . فضمنته أني لن أشخص إليها وإنما هي فكرة عرضاً لي ثم عدل عنها . فرضي بعد ذلك عني ، وبقي على لطفه معي .

و شأن هذا الرجل غريب ، و وصوله الى مقامات العلماء أشد غرابة .
فقد أكد لي بعض المحيطين به من المؤازدين في مجلته أن علمه قليل ،
و هو يستكتب العارفين ما يقوم في ذهنه أن يؤلف فيه من الموضوعات .
و كان في أوليته ضابطاً في الجزائر ، ولم ينشأ نشأة علمية ، ثم تزوج
من امرأة غنية ، كان يستعين بها على الظهور ، وما زالت به حتى
نصب أستاذًا في « كوليج دي فرنس » يحاضر في علم الاجتماع الإسلامي
إلى جانب محاضرين من أعلام العلماء بالعلوم البشرية .

واذكر اني أخذت منه كتاباً في القاهرة لم أهتم الى حل طلسيه ،
ولا قدر صاحب لي افروزي وآديب كاتب أن يحل أكثر مما حالت .
وبقي الكتاب بلا جواب . ولقد حضرت باصراراه عددة دروس له في
« كوليج دي فرنس » مما كان لي الا أن أنه رأسي أمام بضعة مستمعين
مثلي ، ما اخالم كانوا يفهمون من درسه أكثر مما أفهم ، وكان صاحبي
يختلف بدروسه ويدعو من يتصلون به الى حضورها ، واستبان لي وهو يتلو علينا
درسه من فوق المبر ان الابهام كان في قلمه ولسانه ، وأن الرجل صنيعه
النماء وربب أموالهن ، وأعظم بذلك قوة في فرنسا وفي غير فرنسا .

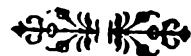
الرئيـس المـهـوـس

لم أستغرب مافقه علي صديق صادق من أخبار وزير اغتصب بصر
بعد انحلال رئاسته ، وظموره بظهور عظيم من البذخ والاسراف ليقيم
الدليل على ما فشا له من نعمة ، وبصدق فيه المثل «أبت الدرام الا
أن تخرج أعناقها» .

لم أستغرب أن يأدب المآدب الإنقة لمن يعتقد أنهم بتعاونه على
الرجوع إلى الحكم لعلهم بوفرة ماجناء من مال ، يوم كان السلطات
سلطانه . وكان بعض الرؤساء يجتالون على الانتفاع من كل مالا يحمل لهم .
وكان أحد الرئيسين يشكر الفقر أبداً والثاني يتبعه بدعوى الغنى وكلما
غير صادق في دعواه .

حقيقة ان المناصب الكبرى تستر بعض عيوب أصحابها ما داموا في
الدست ، فإذا مازحروا عنه يبدو عوارهم جلياً بلا طلاء ولا غشاء .
ونحركت في الرئيسين شهوة الحكم فأصابها ما يصيب المحروم من هذيان ،
وهيئات أن تعود الثقة لمن كبر في غفلة الدهر ، وأدرك قومه أنه
لا يصلح الا للتهريج .

ليس الحكم تجارة تقوم على العرض والطلب ، وما الحكم إلا ثقة
وحظوظة من فقدوها كان من العيب تذرعه برجوعه اليه .



موجزات

من افتضى ساعة من وقته كل يوم ، يصرفها فيما يعود عليه بفائدة ،
بم لم في بعض سنين ما يسمى به على الأفرات . وقتك حياتك فلا
تعرفه الا فيما يفيدك .

مدينة مع فساد قليل أفضل من مدينة ضعيفة فسادها يقل ويكتنز .

ليس من الحكمة القضاء على الاضاع القديمة ، والمعقول ادخال
الاصلاح عليها فلا جديد بلا قديم يسبقه .

لو عادت عادة مصادرة العمال الى ما كانت في معظم الدول الاسلامية
لصلحت حال الحكومات العربية بعض الصلاح .

لا يجيء من الحكم الملكي المقيد ولا من الحكم الجمهوري خير من
تجري عليهم أحكامها ان لم تكن فيهم شروط الحياة موفورة .

الملوك يشكون رعاياهم ، والرعايا يشكون ملوكهم ، فعلى من يقع
الفسط الأكبر من الملامة ياترى ؟

من أصاحت كلمة الفقهاء نافذة في سياسة أمة يخشى عليها الانحلال .

من كان الاستبداد في فطرتهم لا يفعل فيهم نصح ناصح ، فقد انقم
المستبدون من نصحوا لهم بتغييرهم ومصادرة أموالهم وأحياناً بقتلهم .

عجبت لعامل يظلم عماله أيام تولته ، ولا يذكر كيف يدفع البه
حسابهم يوم تتعجب عنه .

ماذا تكون حالة العالم اذا استولت اليابان على الصين والهند وطبعتها
بطابعها ولقنتها مدنيتها ؟

رئيس يدعوه مرؤوسه الى الفوضى وخرق النظام أشبه برجل يشترك
في نقض أساس بيته .

في قضايا الزوجية التي تعرض بالعشرات على المحاكم الشرعية في مصر
والشام صور صادقة من ظلم الرجال النساء ، ومن ظلم النساء الرجال ،
ومن تدني الأخلاق في الجنسين .

اشغل المسلمون بالحديث بما لم يستغفوا بعلم منهـ لهـ من علوم الدين
والدنيـا ، فلما انصرفت الهمـ عنـهـ ، وانصرفوا الى علوم القرآن ، افتـحدـوا
من أوقـاتهم واقتصرـواـ الطـريقـ الىـ المـهـدـيـةـ .

انصرفـتـ النـفـوسـ عنـ درـاسـةـ عـلـومـ الدـبـنـ ، وـكـانـتـ تـدـرـسـ قـدـيـماـ
بعـنـايـةـ فـائـةـ ، وـكـانـ الفـقـهـ أـمـسـ كـالـحـقـوقـ الـيـوـمـ يـوـفـعـ صـاحـبـهـ وـبـوـصـلـهـ
إـلـىـ السـلاـطـينـ .

كـنـتـ أـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ الـعـرـبـ لـمـ يـقـلـ هـمـ مـنـ الـمـفـاخـرـ إـلـاـ الـوـفـاءـ
وـالـكـرـمـ ، وـأـيـقـنـتـ بـأـخـرـةـ بـأـنـ كـلـ الـحـلـقـينـ صـارـ إـلـىـ قـلـةـ حـتـىـ أـصـبحـ
كـهـلـلـ الشـكـ لـاـ يـكـادـ يـُرـىـ .

لو بـذـلتـ الـعـرـبـ فـيـ الـكـهـاـ الشـرـقـيـةـ ماـكـانـتـ بـذـلـتـهـ فـيـ عـمـارـ الـانـدـاسـ
مـنـ الـهـمـةـ لـكـانـ عـمـرـانـ الـاقـطـارـ الـاسـلـامـيـةـ الـيـوـمـ أـضـعـافـ مـاـهـوـ عـلـيـهـ .

تعـوـذـ الغـزـالـيـ مـنـ نـصـ فـقـيـهـ وـنـصـ مـتـكـلـمـ وـنـصـ طـبـبـ ، فـعـلـيـنـاـ
أـنـ نـتـعـوـذـ مـنـ نـصـ سـيـاسـيـ ، ذـلـكـ لـأـنـهـ يـفـدـ أـكـثـرـ بـاـ يـصـلـحـ ، وـقـدـ
نـهـلـكـ عـلـىـ يـدـيـهـ وـهـوـ يـحـسـبـ أـنـهـ يـخـدـمـهـ .

بـوـمـ كـانـ الجـهـلـ غـالـبـاـ عـلـىـ النـاسـ كـانـ العـمـلـةـ يـتـبـلـغـونـ بـاـ يـفـضـلـ بـهـ .

عليهم صاحب العمل ، فلا يرون لهم حقاً يطالبون به ، ولا مطبع لهم في زيادة أجور تنزع إليها نفوسهم .

قل "أن عهد عبقرى" جد أعداء فضله ليحولوا دون ظموره ، إلا أعنوه على انتشار صيته ، وباؤوا بالحزى والخيبة .

بقي الاسلام على بعض نضرته ما كانت النزاع شديداً بين الفرق الاسلامية ، فلما ضفت المناظرات بردت حرارة الابياء .

قد تبدو الكآبة على وجوه بعض الشيوخ لكثره ما شاهدوا في دنياهم من اقبال وادبار ، وما عانوا من محن وشدائد ، وما قاسوا من عمال وأوجاع .

لبت شعري هل استحق المشاهير شهرتهم ، أم كان للزمن والبواعث دخل في استفاضتها ، وما زلت أعتقد أن في الحاملين المغمورين من يوازن المشهورين الناهرين ان لم يفوقوهم .

اجتمعت الى علماء وأدباء كانوا بعلمهم وأدبهم دون شهرتهم ، واجتمعت الى جماعة منهم كانوا أعظم مما يقدرون الناس . تتوقف الشهرة على أمور لا على العلم والأدب فقط .

يطرأ الفساد على البيروت المالكة بعد انقضاء دور الترقى ، وهذا يكون عادة في أيام ملوكها الأول . حكم محمد علي الكبير في مصر ما يباهي به أكثر من حكم عباس وسعيد .

من توفيق الانكليز أن بعض رجالهم في الشرق اذا غمزوا بعض ملوكه وأمراءه غمرة ، لاتثبت أن ترى من الغد وزارات تسقط وسياسات تتبدل ، وزعماء تنهى أو تقتل ، وحرباً تشهر وصلحاً يعقد .

تحرير ايرلندا من حكم الانكليز مثال من تنزع رقبة الضعيف من

أبدي القوي . يأس الشعوب من أخذ حقوقها من غاصبها خوار في العزائم ،
ولا يعيش شعب الا اذا اشتد أبداً في المطالبة بحقه ، وبسم مستقبله
ونفع الخير فيه .

لو توالي ظهور الصالحين في الملوك ما فاضت معظم الأمم على ما وکھا ،
ولما اعتاضت الحكم الجمهوري عن الحكم الملكي ، على ما في الأول من
تلنلة وببلبة .

غلب الانكليز في الحربين العامتين الأخيرتين بثباتهم أكثرها
غلبوا بسلامهم .

اذا اعتقدنا كما يعتقد الانكليزي أن كل ما في أرضه ملكه الخاص ،
وان أقل ضرر يصيب أقصى ملكته بعد اصابة له في بيته وملكته ،
كان كالانكليز بوطنينا وتربيتنا .

مهما بلغ من حرص حكومة على اصلاح ما تشعث من أحوال من
تحكم عليهم ، لانعدم أردباء يتامونها ويحملون علیها . ويتائف جمارة
النافعين من حرموا المفاسد وطردوا من الخدمة .

اذا رأيت ديواناً يعج بغير المسلمين في هذه الديار ، فأیقن أن رئيسه
لا يراعي قواعد الاكثريّة والأقلية .

يختظر ببالنا عندما نقوم بشيء من الاصلاح عظم الجهد الذي بذلهـا
الغرب حتى بلغ ما بلغ من مقومات الحياة .

اغراب العمالة عن عملهم للتهديد ، زعيّج جديد حدث بتقدم الصناعات
ووسعته نعمة أرباب المعامل ، وما نشأت الاشتراكية الا من تجمع العمالة
في صعيد واحد يعطي بعضهم بعضاً بأفكارهم .

لو كان في بطانة بعض الملوك رجال ينظرون الى ما يصلح عليهـا

ملك سيدم أكثر من نظرهم في منافعهم الخاصة ، ما كانت حال مالك الكرم من الندي على مادم له العيون .

عجبت لمن رفعته المصادفات الى مقام ما كان يحلم به ، فظنوا الأيام تساله أبداً ولا تسير الا على ارادته . ما أشد غرور الزعماء والمترعنين !

يوم كان للدولة العثمانية أعظم جيش في العالم بشانه وفرسانه ومدفعيه كانت الامهات في أوربا تخوف أولادها بسلیمان القانوني ملیک بنی عثمان العظيم .

كانت القرون الأخيرة عند مؤلفي العرب قرون الجماعين والمقتبسين ، وان شئت قل السارقين والمستحلبين ، وعصرنا هذا عصر المترجمين والناقلين ، وما كنا في الأول والآخر الا عالة على غيرنا .

ربما لم يصدر في مئة سنة أزيد من مئة تأليف عربي للمحدثين يحمل جدة وطراوة ، ولا يدخل في هذا العدد ماطبوع من كتب الأسلام .

كلما تقدمت أمة في طريق المدنية زادت تطلعًا الى الكمال ، وآباء ترقيمها عدها نفسها أبدًا مقصورة .

عاشرت ثلاثة أجيال من الأصحاب ، ونظرت مليئاً في حياتهم ، مما عهدت أحداً سداً عن صاحبه في شيء ، جاءوا الى الدنيا فكدرؤا وكسروا ، وحزنوا وفرحوا ، وجمعوا وضيعوا ، ثم اذصرفوا على غير ارادتهم ، فحزن أهلهم وأصحابهم عليهم أياماً ثم نسواهم .

في الزمن الذي يكتب فيه تاريخنا أن يدرس تدريساً صحيحاً في المدارس الاولى والوسطى والعلية تقوى الوطنية العربية أضعاف ماهي اليوم .

قال بعضهم هبنا لأمة ليس لها تاريخ ، والأولى أن يقال هبنا لأمة كان تاريخها مطولاً ومشروفاً كناريخ العرب .

مادخلت العرب بلداً وخرجت منه الا الأندلس وصقلية ، ذلك لأن الاستيلاء عليها كان غير معقول بعدهما عن دار المال .

لو نزع التعصب من القلوب ما عبس وجه في وجه .

لا تشفع على من كان هو السبب الأول في زوال نعمته .

استهان المضاربات والمقامرات يؤدي على الأغلب الى ضياع رأس المال .

احرص على أن يكون جل عشرائك أكبر منك سنًا وأوسع عاماً واختباراً ، فالمراه يتعلم من الكبير ما لا يتعلم من الصغير .

فلا مثل بين يصدعون بالحق ولا يبالون ، فإذا ظفرت بطائفة منهم أجمل منهم عشراءك ونصحاءك ، فعشريتهم نطيب ، ونصحهم ينفع .

تحتف وطأة الأحزان بمرور الزمان ، وزولاً ذلك لقضى الانسان عمره في سلسلة من الكآبة لا يدرى أين طرفاها .

من حاول استهلاح كل فاسد كان كمن يحاول ارجاع الثمرة العفنة إلى حالتها أول نضجها .

العمي أشكال وضروب ، ومنه عمى المال وعمى الظفر وعمى المنصب ، وأضرّها عمى المنصب لشمول ضرره المصالح العامة .

لا تختقر القرش الذي تقتصده ، قد تجتمع من القروش مبلغاً يعينك على ضعفك في شيخوختك .

لابحتاج الناس الى حكام ولا الى محاكم اذا قام كل عالم بما يجب عليه لتهذيب العامة .

لأنهاول التوفيق بين شيخ وفتاة ، الاختلاف بينهما طبيعي .

من ينشط ولا ينبط يعده من المفضلين على الجماعة .

اذا سئل كل انسان عن ماله من أين اكتسبه يجري توزيع الثروان
على نسبة عادلة .

يوم تظهر أسرار الرجال والنساء على جليتها يسوء ظن العقول
بالصالحين والصالحات .

لولا حب البنين لكتف نصف العالم عن التكالب على الدنيا .

ي هنا الحلق عندما تتحقق بعض أماناتهم ويختب ما يقال له التمازج .

اذا أتي رزق الانسان بلا تعب يعروه الملل ويصبح في شره أفعى
عم العيش عامل قوي من العوامل التي تسوق الخلائق الى الخمار .

لو لم يكن للعقل هـذا التفاوت المحسوس ما كان للحضارة هذه
الروعـة الآخـدة بـجمعـ القـلوب .

لولا أخذ التالي عن الخلائق لاستمرت المدينة على حالة ابتدائية .

متى تساوت المدارك في معرفة الحقائق بطل معظم المعتقدات .

الجامدون عن عمل الحـير والـمستـحلـون اـرتكـابـ الشرـ أـشـبهـ بالـأـصـنـاءـ ،
من يحيطـهـاـ يـحـسـنـ لـقـوـمـهـ اـحـسـانـاـ لـيـسـ بـعـدـ اـحـسـانـ .

قابل الجميل بمنته ، فالمـيـنةـ صـعـبـ عـلـىـ الـحرـ تـحـمـلـهاـ

لـتحـمـدـ اـمـرـأـاـ الاـ عـلـىـ عـلـمـهـ وـعـمـلـهـ ، وـاجـتـهـدـ أـنـ تـسـيرـ عـلـىـ الطـرـيـقـةـ
الـيـ سـارـ عـلـيـهـاـ الـعـالـمـ وـالـعـاـمـلـ .

مالك لا يتسع للتصدق على فريق عظيم من الفقراء ، فاسع لتهيء لهم
أسباب الرزق الدائم ، وبهذا تبطل الكدية وينتفع المؤمن .

عود نفسك العناية بالبائسين ، أخذك بأيديهم من أفضل القربات .

لا تجعل لل Yas سبيلاً إلى نفسك ، فال Yas آخر الموت ، والمهادن
لا يتعلّم الموت .

قلْ أَنْ افْتَصِدْ رَجُلْ فَنْدَمْ ، وَفَلَمَا أَسْرَفَ إِنْسَانَ بِـاللهِ وَصَحَّتْ الـاـ
حزن وأسف .

سماحة السمج تخرج الحالم عن طوره .

ما أكثر من لا يعرف معنى الكلام الذي ينطق به ومن لا يفهم
كلام غيره اذا أُلقى اليه .

قالوا خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، واليوم يجب أن يخاطبوا
على قدر علمهم وعقلهم .

ما أعظم المدى بين قرية أهلها جلاء وأخرى أهلها متعلمون .

اذا خرج المرء من الدنيا ولم يعمل صالحًا كان حكمه حكم البهيمة .

تدارك بعض الأسر القديمة بيوتهم من الانقراض بالمسارعة الى تعلم
أولادهم ، كأنهم أدركوا أن حكم الجاهل حكم البيت ، والأسرة لاندوم
بيت لا يُنسى .

قد يظن خادمك اذا عاملته بما تقتضي به مكارم الأخلاق انه أصبح
شريكك ، فيبني ارادته عليك ، ويغترض على ما تعطي وتذر .

من الناس من يستخفهم التبسيط معهم ، فعليك بالتوسط في معادنة أمثالهم .

الرحة في غير مواطن الرحة خرق في الرأي .

أعجب بن يذكر الشرف كل حين وهو عار منه .

لأنخط خطوة واحدة مع من عرف بطبع السيرة ، فأنت لا تقدر
منه الا الضر .

بانقان كل صانع صناعته تقل العيوب في الاشياء حتى لازمكاد ترى .
وفي الامر ان الله يحب من العبد اذا عمل عملاً أَنْ يتقنه .

ـ مادمت حياً فأنت في حاجة الى معاملة الناس ، فأحسن جهداً
معاملتهم ، وعاملهم بأقصى ما تتطلبه الأخلاق الطاهرة وان كانوا من محظوظين
في أخلاقهم .

رغيف الفقير أمرأ من رغيف الغني ، ونوم المعدم أهنا من نوم الثري .

ـ المتوسطون في علمهم وقرارائهم أكثر من تخرج المدارس في أيامنا ،
المتوسط يسد بعض الحاجة ، والمتوفّق يسد كل حاجة .

ـ ما تُثْلِجْ لِهِ النَّفوسُ وَيَتَجَلِّ فِيهِ عَدْلُ الْجَمْعِ ، تبرة البري ، وتجريم المجرم .

ـ رزق بعض المحامين حرام لاستحلافهم استعمال كل حيلة حتى تحكم
لهم المحاكم بما يوافق مصلحة موكلיהם .

ـ اقتضى في كل شيء الاقتصاد العقول ، ولتكن اقتصادك من وقتك
بالماء حد التقيير .

ـ كم في أ��واخ القراء من النساء والرجال من هم أليق بسكنى قصور
الأغنياء ، لو أنصف الدهر .

اجهد الا تقع عينك الا على جيل ومنستق فان القبيح او الملوث
يفسد الذوق ويقبض الصدر .

اذا صحت عزيمتك على أن تعلم كل يوم مسألة واحدة وتمضها ،
تعذر بعد حين على أعدائك أن يعذك في الجاهلين .

انفع قومك ما استطعت الى نفعهم سبلاً ، فمن لا ينفع الناس لا يعذ
منهم ، ومن لا يرجي خيره موته وحياته سواه .

لانتفق زيادة على ماتتحمل اتفاقه ، متى جاوزت في الصرف طاقتكم
أشرفت على الانفاس وانت لا تدرى .

من المتذر أن يعد في أهل الاسلام من أغرقوا في اهراق دماء
ال المسلمين ، ولو أفتى بصحة اسلامهم ألف مفت منافق .

يزيد اليوم بعد اليوم عدد الحانات في مصر والشام وال العراق . اغلاق
حانة أفضل من بناء جامع وكنيسة .

اطعام يتيم خير لك من أن تهب ديناراً لشخص يستجدى الأكف
في الشوارع .

من جيل الذوق ألا تطلب من صاحبك أن يسدي إليك من المعروف
ما أنت غير مستعد لأن تقدم له بعضه .

قل في صحف العالم من لا يجوز أخذ معونة من دولة أو حزب أو
شركة ، لأنه ندر في الجماعات والأفراد من لا يستعمل كل مال يعطاه .

الرجل غير المرأة ، والفتاة غير العجوز ، والدينار غير الدرهم ،
والذهب غير الفضة .

اذا أردت أن تعرف دين الوزير العامل عندنا الق نظره على من
بابه تعرف هل هو بابي أو أرثوذكسي أم شيعي أم سني .

من طبع الغربي أن يهم لكل صغير وكبير ، ومن طبع الشرقي
أعمال الأمر الصغير ، مع أن الصغير أصل في الكبير .

لا كانت الفردية من طبع الشرقي سبقه الغربي في باب الاجتماع والتعاون .

اذا أخذت الصين بدنية الغرب دخل العالم في طور جديد .

اذا ضفت الدعوة الشيوعية وتضاءلت الدعوة الديوقراطية استراح
البشر من المروب منه سنة .

ليس في شعوب الأرض من يبغض لذاته ، وفي حكم ما نهم ما يكره
لاصرارها على الاستبداد ، والمستبد ما هم يوماً من الأيام .

من أفضل حسنات المدينة الحديثة جعلها من علماء الأرض على اختلاف
الجنس واللغة والدين والوطن أبناء أسرة واحدة .

اذا فرضنا أن الفساد في شعوب الغرب عشرون بالمائة فليس هو
أقل من ذلك في الشرق .

استبداد فرنسا في الأقطار الإسلامية سيؤدي بها إلى الانحلال كما
يؤدي بالشعوب اللاتينية الأخرى .

بشر المستبد بزوال سلطانه كما قالوا بشر القائل بالقتل .

تفاخر فرنسا باعلانها قانون حقوق الإنسان ، وقد استثنى من الانتفاع
منه على ما يظهر جماع سكان مستعمراتها الإسلامية .

بقدر ما يدرك ما في المدينة الحديثة من لطف وذوق تقع فيها على

ما لا يطاق من عسف وعنة ، والمظلومون فيها أوفى من المرحومين ؛
والمتعون أقل من المحرمين .

لو كان للنصر الثان الاول في الاسلام ما استوى الديامي والفارمي
والتركي والكردي والشركي والبربوري على افطار كان معظم
سكنها من العرب . غاية ما يتطلبه الغلوب من الغالب لا يظلمه ولا يذله ،
وألا يظهر الاسلام وهو من ألد أعدائه .

لكثرة ما شاهدت من تلون بعض ساستنا كدت أعتقد أن هذه الطائفة
أقل الطوائف مراعاة لقواعد الأخلاق وأكثرها نفاقاً ونسباناً للمعروف .

إذا أدارت أيد طاهرة ما يجيء من الصدقات كان منها ما يسد عوز
العجزة والعميان وأرباب العاهات .

يقول الانكليز اننا لا نخلق الفرص ولا نضيعها اذا سمعت ، وتاريخهم
السيامي العجيب ناطق بمحرصهم على الأخذ بهذه القاعدة .

كان الانكليز خلال الحرب الماضية يصرفون كل يوم سبعة عشر مليوناً
من الجنيهات ، فـآل أمرهم على سعة حيلتهم ودقة نظامهم المالي الى حالة
أشبه بالافلاس بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

يا بؤس أمة يقودها جهلاء . الأمية حكمت العالم منذ الدهر الأطول ،
وكان العلم بعزل ، واغتبطت الإنسانية أن أصبح الحكم في العهد الأخير
للعلم وحده والأمية متراجعة .

رأيت وزراء يجوزون لأنفسهم قتل بضعة أطفال حتى تسلم لهم وزارتهم
مدة ، هؤلاء يدعون وزراء آخر الزمان .

تفنى الطليان بما تم على يد ملوكهم موـوليني من ضروب الاصلاح ،

ولما خرجت القوة من قبضته نسوا كل ما قدم اليهم من خير فقتلوه ثر قتلة . وتنفی الطليان بدم هتلر حليف موسوليني أيام انتصاره ولعنوه في هزائمه .

الشعوب التي تعمل أفضل من الشعوب التي تقول ، والعلم العملي أفع من العلم النظري .

قل ، في الملوك من لا يرى استعمال القوة ، وإذا قام في ذهن أحدهم أمر اعتقد به خدمة نفسه ، استعمل في تحقيقه كل ما حظرته الشرائع والقوانين .

يندر تجد دولة من فظيع الاستبداد ، وللنرجاه من عاره تعمد إلى أساليب تصفيها بصبغة قانونية ليشتهر عنها أنها على حق فيما تضي وترسم .

لَا تفلح أمة في عامة شؤونها الا اذا أفلحت سياستها أولاً .

كلا قال قائل ان الأمم يستغنى بعضها عن بعض زادت صلامتها بفعل الحضارة ، ولا يسع لأمة اليوم أن تدعى أنها مستقلة بسياستها بل ولا بأسباب معيشتها .

من لا يحسن تدبير ماله لا يحسن تدبير مال غيره ، وقد يعا قال الحكماء من عجز عن سياسة نفسه فهو عن سياسة غيره أعجز .

عادت المسوانية على بعض من انضموا إليها بنفع طفيف ولم تستند منها المصلحة العامة شيئاً .

قضى فن التمثيل الذي سنته حتى وصل إلى ما وصل إليه من الاتقان وارتقت السينا في نحو خمسين سنة بسرعة تضاهي سرعة هذا العصر في كل شيء .

كان الناس قبل سهولة المواصلات ينقطعون وراء حدودهم ، ويكتفون بما تعطيه أرضهم من رزق قليل ، وما تنتجه أيديهم من الصناعات الأولية ، والآن يرکبون في طلب العيش أميالاً وفراسخ ، وبهذا يكثر سكان العواصم والحضر ويقل أهل القرى والمزارع .

لو كان من خانوا قومهم من الملوك على شيءٍ من الحياة ما ارتكبوا جناباتهم الظاهرة لكل ذي عينين .

من نعم هذه المدنية على العالم أن تذاع أعمال الملوك في زماننا شاءوا أم أتوا ، وكانوا قدئاً يرتكبون كل كبيرة ولا ينكشف أمرهم إلا لفترة صغيرة من المقربين منهم ، وهؤلاء من مصلحتهم الستر عليهم .

من لم تنفذ روح الوطنية إلى قلبه يستحيل عليه أن يخدم وطنه خدمة صادقة .

شهرة تقوم على الدعایات الكاذبة محکوم عليهم بالزوال ، وتجارة رأس ماها ديون وسيلف تؤدي إلى الإفلاس حتماً من

لاتشكوا الإنسانية ضيماً يوم يكون ولع الإنسان بأعمال الخير على قدر وعلمه باستغاثة الغرائب .

من الجهل دعوانا أننا نبغنا في العلوم ، ونحن لم نتبغ في فرع واحد منها حتى الآن .

تسود الدنيا في عيني كلما رأيت الأمانة تحتفظ بهم بعد اليوم ، كان ارتقاء فن السرقة من لوازم هذا العصر الرافي في كل فن .

من يكتب التاريخ بخلاف تأثيراته ، كالطبيب يدرك ما لا يدركه غيره من الخطأ في مرض يداويه .

تفاءل لا تنشام ، فليس في التفاؤل الا ازعاج صاحبه على غير فائدة .

لا تسىء ظنك بكل الناس فالخير مانصب معينه في العالم ، اذا استحكمت فيك مملكة سوء الظن تبللت أعمالك فلا تدربي من ترك ومن تعامل من الخلق .

مما انتفع المرء لا يشغل اكبر من حجمه ، ولا يقدر بغير قيمته .

عندما يستعدى الصاحب صاحبه يقلب محاسنه مساوى له ، ويتناهى كل يد له عليه ، ليقنع من حوله أنه على حق في هذه العداوة .

فاما رأيت رجلاً تولى الحكم ولم يبدل المنصب من معاملته أصحابه ، ذلك لأن الحكم يورث المشارك فيه بأوا وزهوا .

قالوا فلان لا يعجبه أحد فقلت لهم : وهو على التحقيق لا يعجب أحداً .

ان قلت لا أدرى واحتقرك بعض الناس ، أفضل من أن تقول جزاها فتحقر نفسك وتحقرك جميع الناس .

لأنني أعتقد فيمن اعتاد أكل الحقوق أن يعف عنها يوماً ، ويستهين على الموت بالرشوة أنت يظهر منها إلا طهارة موقنة ، ثم يغلبه طبعه فيعود إلى ما أفال .

قال أحدهم ان فلاناً أفلس فأجبته : كان يتوقع له الملاك لا الأفلاس لانه قطع كل صلة له بالشرف والذمة .

متى أشاحت الامة بوجهها عن كل من خانها لا يجد الخائن من يود عليه السلام . نعومة الوجوه فتحت السبل للمدلسين فتاهوا في تدبّرهم بلا وازع

من خرج المرء عن الرضا بالحالة التي هو فيها أنساً يفكر في المستقبل،
والفكر فيه دليل على أنه خرج من المحبة إلى المدنة .

لا تفترض على أحد في طعام نيل إليه نفسه دون غيره ، ولا على
من ينظر في علم أنت تذكره ولا تؤثره ، فالجدال قديم في الأذواق والآلوان .

من لا يشبعه ما كسب من المال الدُّنْيَا لا تشبعه الدنيا وما فيها .

لو تحاسب المتعاديات حساباً دقيقاً ما نحقق لهم في أسباب عداوتم
ما تناولت منه مادة للتبعاد والقطيعة .

من رضي عنه أصحاب الشأن عاش في هناءه ، ومن غبوا عليه بات
فيهم دغم .

بشر المنافقين بافتتاح أمرهم ولو في آخر عمرهم .

قالوا إن بشرة الإنسان تتغير في كل سبع سنين ، أما هو خليق
إذاً أن يغير في مثل هذه الحقبة رأيه واجتماده .

لأنفاس صاحبك إذا بدا منه ما ينافي شروط المحبة ، واعتراض عنده
اعراضاً موقفاً على أن يرعوي من نفسه ، ويعرف بخطائه فلا يعود
إلى مساماته .

من العقوبات الطبيعية أضيق لحال ثروة جمعها صاحبها من رزق العباد .
عاش من تجردت نفسه من المطامع الحسية .

يأبى إخائين إلا أن يظهر بثوبه الحقيقي حتى يعتبر الخواة .

عيوبك مستوره عن عينك لا يرواها إلا إخوان الصدق .

بعد سقوط الأخلاق هذا السقوط المريع لا تتوقع خيراً من أكثـر
الناس ، فـأنت أنت مصدر خـيرك وشرـك .

ما أبـعـج مشـهـد ظـالم يـكـف شـرـه ، وـجـرم يـجـازـى عـلـى جـريـتـه ،
وـكـذـاب يـقـضـح بـكـذـبـه ، وـآكـل حـرام يـهـلك وـمـا جـمـع .

فضـائل الـأـمـمـات تـسـري فـي أـرـواـح أـولـادـهـن مـرـيـانـ الرـانـحةـ الطـيـبـةـ
فـي التـوـبـ النـظـيفـ .

محـبةـ مـنـ يـجـبـكـ بـلـاءـ عـوـضـ وـلـاـ غـرـضـ أـصـفـىـ مـنـ محـبةـ الـأـمـلـ وـالـافـارـبـ .

لاـشـيـ، أـنـقـلـ عـلـىـ القـلـوبـ مـنـ كـانـ سـلـاحـهـ الـوـقـاـحةـ ، وـسـيـلـهـ اـخـبـثـ
وـالـاحـتـيـالـ .

انـ نـمـ بـظـنـ الـأـشـارـاـرـ فـيـكـ قـوـةـ ، دـاسـوـكـ بـأـقـدـامـهـ وـمـاـ حـسـبـوـاـكـ حـسـابـاـ .

يـكـثـرـ الجـفـاءـ فـيـ سـكـانـ الـجـبـالـ ، وـنـكـثـ الـمـيـوـعـةـ فـيـ سـكـانـ السـهـولـ ،
وـلـاـ يـعـدـلـ هـذـيـنـ الـحـلـقـيـنـ إـلـاـ التـرـبـيـةـ وـالتـهـذـيبـ .

الـمـاـنـاصـبـ فـيـ الـعـادـةـ تـوـلـيـ صـاحـبـهـاـ نـصـفـ رـوعـتـهـ ، وـنـصـفـ الـآـخـرـ
يـنـبـعـثـ مـنـ شـخـصـهـ .

عـنـدـمـاـ يـؤـثـرـ الـمـرـءـ السـلـامـةـ وـيـعـتـزـلـ الـإـشـتـراكـ فـيـ أـمـرـوـرـ الـجـمـعـ بـكـونـ كـمـنـ
يـنـادـيـ الـمـوـتـ لـيـروـجـ فـيـسـتـلـ دـوـرـهـ .

اـذـاـ أـنـتـ لـمـ نـفـرـحـ لـفـرـحـ قـومـكـ وـتـحـزـنـ لـحـزـنـهـ عـدـنـفـسـكـ دـخـبـلـاـ فـيـهـ .

تـأـتـيـ عـلـىـ الـمـرـءـ أـيـامـ لـاـ يـلـيـهـ فـيـهاـ إـلـاـ تـرـبـهـ الـذـيـ نـشـأـ مـعـهـ ، اـخـوانـ
الـصـباـ هـمـ اـخـوانـ الصـفاـ .

الكثرون من الثرثرة لا يأتون بعمل ، وقد عما كان الفواليون أكثر من الفعالين .

يكثر المتبطلون في العواصم والمحاضر ، ويكثر فيها الناقدون والنافعون ، رأي سكان الريف في سكان المدن أسوأ رأي ، ولا يقل عنه سوءاً رأي أهل المدينة في الفلاحين .

ما أجمع الناس على استحسان شيء، قط ، اذا وافق فريق من العقلاه على بعض رأيك في الاصلاح فأنت جد موفق ، واذا حصلت على جانب من آمالك فأنت الرابح كل الربح .

غبطت من ساروا على وتبيرة واحدة في معاناة ما اختاروا من صنعة لهم أول أمرهم ، واستمروا على تحسيتها مدة حياتهم حتى كتب لهم النجاح فيها .

السير البطيء الدائم خير من السير السريع الموقت ، والساقة الجارية أعود على الحفل والحديقة من النهر المقطوع .

عود نفسك الانقان فيها كان لك وما كان لغيرك . الانقان تنبسط له النفس ، وهو أصل النجاح في الامور .

لأنهيل اصلاح خلل منها تراءى لك أنه صغير . ثقب صغير في بارجة يغرقها في ثوان معدودة .

من دواعي تقدرتنا ادعاؤنا معرفة مالا نحسن ، الدعوى المرففة يخفق صاحبها آجلاً أو عاجلاً .

لاتطلب المستحيل ، ولا تندفع بغير المقصود ، طلاب الحال كمشاق الحبال عاشوا تساورهم أنواع الآلام .

قد نرني حال امري ، وهو في ذاته محبور مفتبط ، والرضاء
أجزاء السعادة .

أنقق المنافقين من يُظهر لك الحب ويُبطّن العداوة .

من يمسك بيد الضعيف حتى يقوى ، ويلقى الجاهل حتى يتعلم هو
من أعظم خدام الإنسانية ، ومن يعاون على ذكاء الذكي حتى يظهر ،
وعلى علم العالم حتى ينشر ، كان فضله على العالم لا ينكر .

اذا ضعف استعداد المرأة لقبول الافكار السديدة كانت من الصعب
أن يفعل فيه الوعظ والارشاد .

ال العامة كالبعائز دين امامهم ، فليعرف هذا كيف ياقتهم دينهم .

من طبع الانسان الملل من عمله ، انك لن تدفع الملل الا اذا
عمدت الى المسليات المباحة .

متى عزت عزة النفس في رئيس شعب زاد الطغام في دياره .

أعظم ما كانت تتلنج له النفس شهود مصرع أرباب القوة من لم يتلقوا
الا حوك الدسائس .

مها صفت نفوس الرجال والنساء وعرفوا بالقوى والتدبر تبقى فهام
فرحة من البهيمية لا يفعل فيها الدين والتربيه ، واحذف من الفضيحة
يمحب بعض الجنسين وكوب مراكب الفحش .

عجبت من وصول بعض الرؤساء الى مقامات لا يليق بهم عشرها ،
ولما خبرتهم ثبت لي أن العلة في تأخرنا رفع الوضيع الى درجات الرفيع .

من عمال الحكومات من يجوز لنفسه ارتكاب كل عار لنبقى له

ما شاهرته وقد يصرح بذلك ، والانشراف منهم يتشرفون ليوم خروجهم
من الخدمة ليتحرروا من رقها ويفرغوا لأنفسهم .

طالبت بلادي باستقلالها حيناً من الدهر فنزعـت يدها من غاصبـها
الأشداء ، والمتابر على نشـدان حقـه واصلـ اليـه لـاحـالة .

اذا انفق ملوك المسامين على تعلم رعاياهم عشرة بـالـائـة ما يـسـرـفـونـ
فيـهـ منـ اـموـالـ دـوـلـهـمـ يـصـبـحـ المـاسـامـونـ فيـ مـسـتـوىـ الغـرـيبـيـنـ منـ الرـفـيـعـ بـعـدـ أـعـوـامـ .

ما أـسـيـخـفـ منـ يـتوـسـلـ اليـكـ لـتـشـهـدـ لهـ بـجـسـنـ حـالـهـ حـتـىـ يـصـلـ إـلـىـ كـرـسيـ
الـنيـابـةـ عنـ الـأـمـةـ .ـ لوـ كانـ هـنـاكـ ماـ يـسـمـونـهـ بـالـوعـيـ الـقـوـميـ لـكـانـ الـأـمـةـ
هيـ الـنـيـابـةـ تـكـرـهـ الصـالـحـيـنـ مـنـ أـبـانـاهـ عـلـىـ قـبـولـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ الشـرـيفـةـ مـنـ دونـ
أـنـ يـلـعـوـاـ هـمـ فـيـ طـلـبـهـ ،ـ فـطـالـبـ الـوـلـايـةـ لـاـ يـوـلـىـ .ـ

اذا اـمـكـنـ انـ تـبـيـضـ بـشـرـةـ الـزـنجـيـ اـعـتـقـدـ أـنـ طـبـعـ الـثـئـيمـ يـتـبـدـلـ .ـ

يـكـثـرـ فـيـ النـابـةـ مـنـ يـصـطـنـعـونـ الـغـيـرـةـ عـلـىـ الـعـلـمـ وـيـجـاعـدـونـ فـيـ سـبـيلـ
الـاشـهـارـ بـهـ وـمـنـهـ مـنـ لـاـ يـجـدـونـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـظـهـورـ مـنـ الـطـعـنـ فـيـمـنـ
تـقـدـمـوـهـ مـرـاحـلـ .ـ

فـلـمـ اـجـتـمـعـتـ بـلـاغـةـ الـقـلـمـ وـبـلـاغـةـ الـإـسـانـ ،ـ اـذـاـ قـوـيـتـ مـلـكـتـهـ فـيـ رـجـلـ
كـانـ النـابـةـ الـذـيـ يـرـدـ ذـكـرـهـ فـيـ حـيـاتـهـ وـبـعـدـ بـيـانـهـ .ـ

أـضـحـكـنـيـ رـجـلـ خـاـمـلـ حـاـوـلـ أـنـ يـبـنـيـ شـهـرـتـهـ عـلـىـ النـيـلـ مـنـ يـتـعـذرـ
عـلـيـهـ أـنـ يـلـعـقـ بـهـ .ـ مـنـ يـتـنـاـمـيـ أـنـ شـهـرـتـهـ لـاـ يـنـسـجـهـ لـهـ غـيـرـهـ فـوـ غـرـ أـحـقـ .ـ

فـيـ الـرـجـالـ مـنـ لـهـ عـقـولـ أـطـفـالـ وـأـجـامـهـمـ أـجـامـ رـجـالـ ،ـ وـمـنـ
الـاطـفـالـ عـلـىـ ضـآلـةـ أـجـامـهـمـ مـنـ أـوـتـواـ عـقـولـ الـرـجـالـ .ـ

بعض البنانيين كبعض المصريين مولعون بالألقاب . طلب أحدم الى أمير من امراء لبنان المعوزين أن يكدهه الى ثوره ليعرف له أرض ، فرضي بشرطه على أن يخاطب بلقبه أثناء الحرب ، فلا ينادي الا بلقب الامير ، كان يقال له : تلك يا أمير ، بلتغ يا أمير ، عينك يا أمير ، شمالك يا أمير .

ـ قوط المرجعـ

اشهر محمود زكي باشا بأنه من أقدر كتاب الم gio في مصر يحفظ من معاجم اللغة جميع ألفاظ الشتم والقذف . وقد دأب زماناً على الطعن في الأغنياء لأخذ من أموالهم ما يطمع فيه ، شأن معظم أرباب الصحف الأسبوعية في ذلك العهد ، وكانت المحاكم تحكم عليه كلما اجرم حتى اضطر آخر الامر لكتلة ماصدر عليه من الاحكام الى مغادرة القطر ونزل الاستانة . وبعد حين عطف عليه الحزب المتغلب على الدولة حزب الاتحاد والترقي فأنى به الى الشام وعهد اليه بتحرير جريدة « المشكاة » وزين له الطعن على داعي اصحابي ، فأشرت عليهم لا يطالعوا ما يكتبه فيما ولا يردوا عليه ، فانطلق لا يقف امامه شيء ، ولا من يجبيه او يتعرض له ، ثم ضاق ذرعه من عدم الالتفات اليه ، فتوسط لنا حتى نزد عليه في جريدةنا او في جريده او في جريدة جبادية فما أغرتناه التفاتاً . وانتهت مهمة المهاجر في دمشق ، ورحل منها مع من استخدموه في أغراضهم ، فلقيته في بعض شوارع الاستانة وكانت سوريه خرجت من حكم العثمانيين — فافترب مني يهش ويبلش ويمذر متذلاً عما فرط منه معي ، فقلت له : او كتبت في ما تعتذر عنه الآن ، وكن على نفقة اني لم اقرأ ما كتبته ، فكاد يصعق لقولي كانه عده كلامي احتقاراً له وكانت نظرتي اليه في تلك الساعة نظرة احتقار من دون تعمد .

الانحاديون مدة ولا يتم على الدولة العثمانية في آخر أيامها يعدون الشتم
قوة لغزيم ، وسلاماً ماضياً يقانلون به من ليس على رأيهم ، كان كثراً
أرباب الأحزاب في الشرق يعمدون إلى المماطلات والسفاهات في مناقشة
خصومهم السياسيين .

قصصت مؤخراً ما جرى لي مع هذا المجاهد على بعض أصحابي الآباء
فقال : هذا مما يستغرب ، ومن يحاول الجري على طريقتك في الاعراض
عن السفهاء يجب أن يكون ذا اعصاب قوية جداً . فقلت له : هذه
الطريقة في معاملة الشتامين من أفضل ما يعاملون به حتى لا يلغوا مآربهم
من أضاعة أوقات من سخروا للطعن فيهم . والطعن على الأغلب لا ينتهي
إلا سقوط الطاعن ، وقد يعلو قدر المطعون عليه إذا وقف الناس على
مرامي الطاعنين من طعنهم .



المغتربون الشاميون

جاء لبنان وسوريا في صيف سنة ١٩٥٠ مئة وخمسون رجلاً وامرأةً من المغتربين السوريين واللبنانيين في الأميركتين الشمالية والجنوبية، ومنهم المولود هناك والمثقف بثقافة المملكة التي نشأ فيها ولا يتكلم بالعربية، ومنهم من هاجر في صباه ولا يزال يتكلم بلغة بلده الأول، وبينهم أئم من رجال المال والأعمال وهم قلة. وليس جميع أبناء يعرب في أمريكا أغنياء كما يتوم المتهوون، فالاغنياء كما قال العارفون، خمسة بالمائة والمتواضعون ٢٠ والمكتفيون ٥٠ والفقراء ٣٥.

واحتفلت الجمهورية السورية بقدوم أبنائهما الأعزاء، وطافت بهم أبوابها القطر تطعيمهم على ما فيه من عادات ومصانع ومعامل ومناظر وخيرات طبيعية، وأقامت لهم من المآدب أفالخرا ومن الملاهي أطفالها وأنطربا. ورحبت بهم الأمة على اختلاف طبقاتها ومذاهبها. وعادوا إلى موطنهم الثاني شاكرين معبجين. وقبل انهم على عزم أن يشاركون مواطنיהם في المشاريع التي تعدوها حكومتهم للثانية سوريا.

كانوا يقولون إن ثلث المهاجرين من الشاميين يملك في مهاجره، وثلثهم يعود إلى بلاده بعد أن يرتاح، والثلث الآخر تستهويه الأرض التي نزلها فيتأنرك. وتبدلت هذه القاعدة فيما أحسب وما الحال الآن أنه يبلغ عدد العائدين من النازحين عشرة بمائة، فإن الأقطار التي نزلوها صبغتهم بصبغتها وصعب عليهم أن يعودوا ويتركوا ما هم فيه من سعة والمثل العالمي يقول (مطرح ما ترزق الزق) وهكذا كان حال المتدين وغير المتدين في هجرتهم على توالي الأحقياب. ويقدرون اليوم عدد المغتربين من لبنان وسوريا وفلسطين وشرقي الأردن إلى أمريكا وغيرها من بلاد المهاجر بأكثر من مليون مغترب جلهم من جبال لبنان.

دأء اور طال

كان المسلمون يجودون من أنفسهم على الخيرات ، يبنون بدافع ديني الجوامع والمدارس والرباطات والقناطر والمحصون والسبلان وغير ذلك من المكان ومرافق وروح الاستقلال يتجلّى فيها أكثر من الانكال . ولما بدأ الانحطاط أصبحت الاعمال النافعة لا تقوم الا بضغط الحكومات وتدبيوها على الاغلب .

قد تقوم الاعمال عندنا بأيدي أفراد ، فاذا أصبحوا جماعة تضاءلت قوتهم واختلفت كلامتهم ، والمشاريع في ديارنا تبدأ بقوة ولا تثبت أن يجدوا عليها الضعف ، تدرك ذلك اذا اعتبرت همة الجماعة في البداية بأمر وهمهم في آخره ، وهي هنا همة شخص او بضعة اشخاص يعروها الفتور ، وفي الغرب همة جماعة تجمعهم غاية متحددة يتّحمسون للوصول اليها . ومشاريع الغربيين تطرد في رقيها ومشاريع العرب تدور مدة قليلة ثم تميل الى التلاشي . فالجامعات في بلاد السكسونيين مثلًا هي من عمل الرعية فامت بأيدي أفراد ذكاء ، أخذتهم الغيرة على دينهم وأدابهم ولغتهم فتوافروا على نشرها ، ولا تزال العصر بعد العصر تنمو النمو الذي قدّر لها ، ومصر على توفر أسباب النجاح فيها ، لم تستطع الى النهاية أن تقوم بالجامعة التي أنشأتها أوائل هذا القرن ، فتقابلت عنها الى الحكومة بكل مالها من أملاك لتبث أننا قوم انكاليون في كل شيء .

كتب الفيلسوف

في العهد الأخير انصرفت هم بعض من يشغلوت بالفلسفة والاهميات من رجال الجامعات العربية الى نشر بعض كتب قدماء الفلاسفة والمتصوفة ، وكانت بعض النقوس تتشوف لاوقوف عليها يتخيرون أن فيها أسراراً لو ظهرت لكشفت من نواميس الطبيعة ماتتقدم به الانسانية وتصفى الأرواح من كنافتها وينجو البشر من القتل والتزوير والسرقة والكذب والظلم . ولما ظهرت أسفار المتصوفة في حلتها الجديدة من العناية تجلت للأنصار أنها تافهة الا من العبد الذي أحب بشـهـة عشاق الغرائب والمولعون بالجهولات على الأيام ، فضاعت فيها أعمارهم واخاعوا اعمار من استغلوا بها .

حن و الفوضية

اذاع السيد (آصف علي اصفر فيضي) وزير الهند في الشرق الأدنى (١٩٥٠ حزيران) رسالة باللغة العربية وجهها الى الشعب اللبناني قال فيها : ان الهند قاومت تقسيم فلسطين لاعتقادها انه ضار بصالح العرب كما قاومت مشروع سفورزا - السياسي الإيطالي - في تقسيم ليبيا حرضاً على بقاء وحدتها ، ولما في ذلك من مصلحة لوحدة العرب . وقارن بين لبنان والهند مشيراً الى الفارق الكبير بينهما من حيث الضيق والاتساع . ثم ذكر اختلاف الطوائف وتعددتها في الهند كما هي عليه الحال في لبنان .

وقال ان المهاقا غاندي دعا الى الأخذ بالقومية وجعلها في المرتبة الأولى ونبذ الطائفية وجعلها في المرتبة الثانية .. ونصح للبنانيين ان ينجوا هذه السبيل للمحافظة على وحدتهم القومية .

نصيحة ثانية تقدم بها سياسي شرقي الى لبنان وقد شاهد فيه مضره الطائفية وسوء مفتيتها عليه . ولطالما اقترح صاحب هذه المذكرات على اخوانه اللبنانيين تعديل دعوتهم الطائفية لتعذر قيامها في هذا العصر على ما يرجو لها أنصارها . وكثيراً ما توصل اليهم أن يؤلفوا من لبنان وسوريا دولة واحدة فما أظهروا ارتياحاً لاقتراحه فقط ، لأن بعض الأدلة في الجبل مصابة بجمى النعصب الديني على صورة مضحكه ومبكية . ولعل البابالي تهدي الى هذا الامر الخبوي فقد شاهد أهل لبنان ما أصابهم من نقص ثروتهم يوم قت القطيعة الاقتصادية بين سوريا ولبنان ، وتبيّن لمن يعرف ولمن لا يعرف أن حياة لبنان بالوحدة ويستحيل أن تعيش حفنة صغيرة من السكان بانعزالمها عن جاراتها وهي مثلما في كل شيء وكل مواطن في حاجة الى مواطنه ، لا يحييان الا اذا نزعوا من بينهما الاختلاف والتحدا فلباً وقالباً .

القصة

كاد فن القصة او الروايات بظهره الحديث بعد اختراعاً غربياً . اقتبس الاولى من كتاب الغرب عن اليونان والرومان والعرب ما هيأ لهم الأسباب الى ظهور عبقرياتهم في هذا النوع من الأدب ، فقدت القصة من الأدوات التي جمعت بين النسلية والتعليم عند الافرنج ، وازداد مع الزمن مطالعوها من جميع الطبقات زيادة عظيمة جداً .

أردت غير مرّة على أنت أشارك في القصة أكتب فيها او أتقد بعض ما يظهر من أصنافها بأفلام كتاب العرب المحدثين في الشام ومصر، فما طابت نفسي للدخول في موضوع لم يأخذ منها ، وليس لي بد في القصص التي نشرتها أول أمري لأنها مترجمة . وأكبر داعي الى عدم عنايني بالقصة اعتقادي أنها مختلفة ، والاختلاف بما تأباه طبائع من اعتقاد التدقير في النصوص وتشرب روحه بالنقد الأدبي والاجتماعي . فمن العبث أن يُعني من ألف هذا بغير ما ألف وما يكون الاختلاف هو المحور الاعظم الذي يدور عليه الكلام .

نم كانت الروايات آخر ما استساغه ذوقى من فروع الأدب الحديث ، وقلا طالعت رواية بشوق الا روايات الاستاذ محمود تيمور لأنها عربية فيها طابع الشرق ثم روايات مولينير الشاعر الفرنسي ورواية دون كيشوت لسيرفانتس الكاتب الإسباني لما حوت من هزل ونقد .

وقرأت مرتين جميع روايات انطول فرنس كاتب فرنسا في القرن العشرين وأخذت بسحر بيانه وسعة علمه .

الأخلاص لابن عثيمين

سمعت الشيخ محمد بنجيت من كبار علماء مصر يقرأً بعد صلاة العصر في شهر رمضان بمسجد سيدنا الحسين بالقاهرة درسًا دينيًّا لم أفهم أن كان موضوعه وعظًا ورقائق أو فقهًا أو تفسيرًا أو حديثًا . وكان الشيخ تجاوز التسعين فيها أحبب وصوته ضعيف وهو يحرض على تعاميم قوله ، وقد بلغت منه الشيخوخة أن يحمل من سيارته حتى يجلس على مقعده في الجامع ، وقومه لا يملكون عن الحضور عليه والتبرك بما يقول . وكان سيرة الاستاذ كانت تتعي على معظم العلماء من بنى وطنه إنهم جد مقصرين في تثقيف العامة ومن عادتهم إنهم متى أحبلوا على المعاش وتقاعدوا عن خدمة الحكومة يقبعون في بيوتهم ذاهبين إلى إنهم قاما بواجبهم وانتهت مهمتهم في خدمة العلم والدين . أما الشيخ بنجيت عليه الرحمة فظل يكتب ويؤلف ويدرس إلى آخر أيامه .

قلت ذات يوم لصديقي الاستاذ الشيخ عبد الله المنجد شيخ القراء بدمشق : أراك ملئك المزاج فلماذا لا تصطاف وترفع نفسك من عناء الدرس أيامًا ؟ فكان جوابه : إن ما تقوله سديد ، والأمور ميسورة ، لكنني أرى أن أترك الآن لأن تلميذه الشيخ عبد القادر فويدر العربي بقي له من القرآن أمياء بسيرة يجب أن ألقنه إياها وأخاف إذا تغيرت مدة عن المدينة ان تفوت الفرصة وأموت قبل أن يختتم ما أرى تخبيه إياه . ومات شيخ القراء خلال الأشهر القليلة التي مضت على هذا الحديث بعد ان اتم تلميذه كل ما يجب أن يلقنه إياه .

فهل بعد هذا أخلاص أعظم من أخلاق هذين الشيفين العظيمين للدين والعلم ؟

الحجاب والسفرو-

بحثت وأحد أحبابي من أعيان الموارنة في حجاب الملائكة ، فشهدته يمجب من تاجر النساء الملائكة في كشف حجابهن الى اليوم على حين افر معظم نساء الامم . فقالت له : نحن نخادر اذا عمدنا الى القوة في ازالة الحجاب قيام فتنة يستغلها الرجعيون ، وارى ان مسألة الحجاب آخذة بالانحلال من نفسها فهو ضئيل في الريف ، وفي المدن أخذ يتقلص سنة عن سنة ، وبجمع الأذانس اللائي يدرسن في المدارس يخرجون اليوم سافرات ، ولا يرغبن في العودة الى الحجاب بعد النخلص منه ، هذا اذا لم يحملن أمهاتهن وأهلهن على الاقتداء بهن في كشف وجودهن .
نعم يسيء هذا التجدد من نفسه ، ومن دون تعلم ولا أمر حاكم ولا تشريع مشرع ، ويزيد السافرات شيئاً أم شيئاً . وانا نشهد التبرج أيضاً ينقص قليلاً ويرجع المدرارات فيه الى السذاجة وعدم التكلف ، وكل ذلك بداع طبيعي لا دخل فيه للحكومات ولا للجمعيات . ويقال الان عدد المنكرين على السافرات كما كانوا ينكرون عليهن منذ ثلاثين او أربعين سنة ، بل لقد رأينا نساء من كانوا الى أمس يتمسكون بالحجاب من أول من تقدم لكتفه وتظاهرن بأنهن سفن في غفلة ازواجيهن وما سفن الا بوضام .

لم يشترط الاسلام الحجاب على النساء على ما كانت حالي الى عهد قريب وما نزلت آية الحجاب الا في نساء الرسول وفي حالة خاصة . والاسلام يحظر الخلوة والتبدل ويتطلب الحشمة ، حرمة المرأة ومبالفة في تكريها . هذه مسألة معقدة بدأ بحل عقدتها في مصر محمد المرأة قاسم امين المصلح الاجتماعي عليه الرحمة ، ثم زاد النوسخ في حلها انتشار التعليم وشيوع المدنية والاختلاط بنساء الغرب ، وكانت مصر وتركيا من أول الدول التي

بادرت الى غزير الحجابة ، ولا ينكر ان السفور باديء بدء اسفل عن قليل من المفاسد وقد أسرى أيضاً عن كثيرون من المخاطن . وكان النفع منه أوفر من الضر على أي حال . ولا بد في نهضة كهذه من وقوع ضحايا في أول الأمر ثم تصفو المشارب وتتألف التفوس هذا الضرب من التجدد ويصبح كأنه من الأمور المعتادة .

الماضي والماضي

ما دخل حب الربع في أمر من أمور العقل الا أفسده . وللع قدماء الوراقين بالمسكاب أفسد الكتب ، منذ وهموا ، ومنهم الأيمون ، أنهم لا يبحون من النساخة الا اذا قتروا في الإنفاق عليها ، فصار أمر الاستئناف الى العامة ومن في حكمهم من الجهلاء ، وبذلك انتشر الغلط والحفظ حتى كان عامة الناسخين المتأخرین لا يدركون معنى لما ينقلون ، وبذلك كانت جنابة الوراقين على العلم أعظم جنابة .

في التقارير التي كان لورد كرومر عميد الاحتلال الانكليزي في مصر يصدرها كل سنة عن حالة الادارة والسياسة في القطر المصري مثل من العقل الانكليزي ومن مهارة المستعمرين الانكليز . وفي تاريخ مصر الحديث لصديق العلامة عبد الرحمن الرافعي صور من صفاء العقل العربي وكشف جبل المستعمرين .

لما جرد العثمانيون مع حلفائهم الألمان في الحرب العالمية الأولى حملة على الترعة عازمين على فتح مصر ، سألي أحد أغنياء التجار ، وكان عامياً كعظام أبناء حرفه في ذلك العهد ، أن أذكر له رأيي في مصير هذه الحلة . فقلت له : أقول لك ان كنت تكتم . فقال : لك ذلك وأعادتك على الكتان . فقلت : انهم لا يرون جدران مصر ، ولا يستولي العثمانيون

على الترعة حتى بوت عليها آخر انكليزي ، أي ملك انكلترا . فاستغرب الناجر بعد حين كيف صع تقديري ، فرد الماجون عن مصر خامسين .

اجتاز غلادستون من عظاء الساسة الانكليز في القرن الماضي بأولاد يلعبون في زفاف من أرقى لندن ، فوقف منهم موقف الاحترام ورفع قبته مسلما ، فقال له صاحبه : ولم تسلم عليهم وهم أطفال لا يستحقون هذه العناية منك ؟ فأجابه أني أقوم بهذا الواجب رجاء رعايتهم لنا غداً متى استلموا زمام الحكم .

الانكليز من أكثر البشر حباباً للمستقبل .

التعقيد لا تستسيغه جميع الأذواق ، تبدلت أساليب الكتابة العربية مرات في الإسلام ، وما بقي من أساليبها في الآخر إلا الأسلوب الذي لا تكلف فيه وهو حري أن يقبله ذوق كل فاريء .

إلى الترون الأخيرة ما كان طلاب العلم رغبة في غير الفقه ، ذلك لأن معرفته كانت توصلهم إلى الملوك ، ويكون منه لصاحبها مجده وثراه . واليوم تشتد الرغبة في درس الحقوق لأن صاحبها يصل إلى النيابة ، والنيابة مفتاح باب الوزارة ، وفي الوزارة كل الخيرات .

يقل الواغبون في درس الطب والعلوم الزراعية والميكانيك على ما فيها من المكاسب لمن يتلقها . ومن الطلبة من يحاول مع درس الحقوق درس الأدب لاعتقادهم أن في الجماعة بينها تفتح لهم مجالق الغنى .

من الصواب إلا يزهد في القديم وأن يتعاون أبداً بالتحفظ فاجدید نسمة القديم . وقد قال غستاف لبون : « إن الاحتفاظ بأوضاع الماضي الغابر ، والانكليز لعهداً كيف يحققون هذا المطلب » .

أخرج هذا العصر ثلاثة من النقاد أصلاحوا ما عثروا عليه من الاغلاط
الثانية في بعض ما طبع من أسفارنا القدمة ، ففدوها بفضام نقرأ الجيد
والمحتمد ، وكنا إلى أمس نقرأ السالم مخلوطاً بالقديم . انتقل العلم من
جهة النساخ والطابعين إلى أيدي العلماء المحذفين فأدخلوه في نظام من
التدقيق يفاخر به ، وأعظم بها من مرحلة قطعناها .

كان معظم من اشتهروا من المهاجر على عهد الانتداب الفرنسي والإنكليزي
في الديار الشامية والعراقية من صنائع الدولتين يسيرون المشارون على
ما يبدو لهم . فعلينا إذا أحبينا أن نأتي برجال يخدموننا بخلاص
نختار من غير هذه الطبقة التي نشأت على العبودية لصاحب القوة .

✓ « تغيير الأحكام بتغيير الأزمان » من القواعد التي سارت عليها إنكلترا
في سياستها خلال القرنين الثلاثة الأخيرة . كانت تحارب من
توفهم أنهم عثرة في طريق سياستها حتى تضعفهم ولا يبقى أمامها من
الختام . فعل الإنكليز ذلك بالمولانديين والإسبانيين والفرنسيين والالمان
ولما توترت حالة السياسة العالمية في العهد الأخير ، وبدا شبح الحرب في الأفق
بدلت إنكلترا سياستها ، وقد رأت الدعوة الشيوعية تسري في الأرض
مريان النار في الهشيم ، واد لم يكن لها مأرب في قتال أحد الآت
اعترفت بالصين الشيوعية ، ولو شاع هذا المذهب في بلاد الرأسماليين
« بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا » لجعل ثروتهم وتقاليدهم وفاحرم
أنذاً بعد عين .

تجدد الصورة وتنشط النفس بتغيير المناظر وبالتنقل من أرض إلى أرض ،
وبترك العمل اليومي الريتيب إلى آخر بخالفه . من عظماء ساحة الغرب في
أيامنا من يترك السياسة وينصرف ساعات إلى التصوير كل يوم ، ومن
الاطباء من يصرف بعض وقته في الموسيقى ومنهم من يعاني الأدب .
وكم من ملوك وعظماء خصوا جانبياً من أوقات فراغهم بالصناعات البدوية

أو بتربية الازهار والورود والدواجن والجواهر وركوب الجيل وسوق السيارات والقوارب ومعاناة الصيد والقصص والرياضات البدنية العنيفة ، والتسلق على الجبال والتزلج على الثلج . وكان العظام في الدهر السالف يكثرون من لعب الشطرنج والصراحة .

الطب من أصعب العلوم ، وصاحبها قد يصل إلى المجد من غير طريقه .
كان كليانسو من أعظم الساسة المعاصرين طبيباً ومتهماً الحكيم غستاف لبون .
وفي الأقدمين كان ابن سينا والرازي طبيبين قبل أن يكونا فيلسوفين ،
ومن ثم كثير في الأفونج اليوم وفي العرب أمس .

معظم ما في الولايات المتحدة الاميركية من مراافق ومصانع ومخابرات
بالغ حد الغرابة ، فهي غريبة بتكوينها الطبيعي يجدها بحران عظيمان ،
وغربية في تكوين شعبها ونوعه ، كان سكانها سنة ١٧٩٠ ، ٣٩٢٠٠٠ ، فأصبح في سنة ١٩٥٠ نحو ١٦٠ مليوناً . أما نمو ثروتها واقتصادياتها
ومناجمها وزراعتها ومنتجاتها وعلمها وأختراعاتها فأمر يفوق الوصف .
زادت نفوس العالم زيادة عظيمة في القرنين الاخيرين أما نمو أميركا فلا
يشبه غيره ، تألف سكانها من عناصر اوروبية راقية « وأمر كثيرون » ، أي
جعلتهم أميركاً بلغتهم ومنازعهم ، ولم يكتب للغة من لغات الارض
أن تقدمت تقدم الانكليزية فيما نعلم . كان تقدمها غريباً في بابه ، ثم على
وجه لا يشبه انتشار الاسپانية والبرتقالية والالمانية والروسية الا قليلاً .
كان نمو الانكليز يجمع الى اللغة تقافة والمتكلمون بها اليوم لا يقلون عن
٢٣٠ مليوناً وما كانوا يزيدون منذ قرنين على عشرين مليوناً فيها نظن .
ولهذا كان تاريخ الشعوب الانكلاوسكوبية من أدهش تواريخ البشر .

يقول مؤرخ معاصر من الانجليز : لم تستطع الامارات التركية (من السلاجقوسين) في ايران والشام أن تترك سكانها من الفرس والعرب ،

وعلى العكس رأينا الفرس « فرسوا » من نزلوا عليهم من الاتراك ، وعرب العرب الشاميون من احتلوا أرضاً منهم من الترك . وهذا دليل القوة العظيمة الكامنة في العنصرين الفارسي والعربي ، وبرهان على أن العنصر العربي في الحضارة لا سيل لهنور آخر أن يتنبه . القوي يضم الضعيف والضعف لا يضم القوي ، ولا عبرة بكثرة جيوش أمة بل العبرة بما انطوت عليه نفوس من تناقض منهم من حبوبه وأخلاقه .

ذكرت بعض الصحف التركية أن الدستور السوري الجديد من أرق دساتير العالم وأن السوريين أثبتو أنهم من الشعوب الحليفة بالاستقلال ، وهم يعرفون إلى ذلك طريق المحافظة عليه . هذا ما قالته وايس في ذلك غرابة فإن السوريين لما ارتفع عنهم الضغط أثبتو عبريتهم ، وكانت جرائم الرقي كامنة في نفوسهم فلما أزيل عنها ما يعوقها قامت بأحسن ما تقوم به أمة راقية .

كانوا يعييرون على العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي - أشهر كتاب عصره وخدم اللغة العربية العظيم عليه الرحمة - تبييضه كتاباته مرة أو مرتين وبالغة في التنبیح ، وبفضل هذا التدقیق كتب البقاء لما كتبه الشيخ ونتفع فراء العربية به . أما الذين نشروا ما جادت به قرائحهم بادي الرأي وقدموا لطبع المسودة الاولى فما قدر لكلامهم أن يعني الغناء المطلوب ، وذهب ما أثبوا من الوجود كما تذهب صحف الاخبار غداة نشرها .

كثيراً ما كنت أتألم من الشاميین تلاميذ المدرسة الملكية في الاستانة أرقى مدارس السلطنة في عهدها عن صورة التدريس في صفوفها ، وعن أساليب أساتذتها عند الحوض في الموضوعات التي لا بد فيها من استعمال المحرقة كدرس التاريخ ، وكان السلطان يحاذر انتشار الأفكار المحرقة في المدارس ويراقب أساتذتها أشد مرافقة . فمما رواه لي أحدهم أن أسناد التاريخ عبد الرحمن شرف كان يلقى درسه باطلاق نار ، وقد

قال في بعض دروسه : هذا هو الكلام الرسمي الذي يجب أن يلقي
عليكم ، وادركم من الرجال الذين يستقلدون زمام الحكم والسياسة
أرى أن أزيدكم في هذا الموضوع مالا يتسبّب كثانه عنكم ، وأفاض في
هذا الباب افاضة حسنة وباح بأمرار لم تتعرض لها الكتب المتداولة ،
ولا يكاد يعرفها الا بعض الاخاصة من يرجعون في بحثهم الى الوثائق
المدفونة في مستودعات الدولة ، أو تنقل من صدر الى صدر ولا تقيّد في
الورق . وكان أسانذة هذه المدرسة من أعلم رجال الدولة في ذلك الزمن
فيهم أمثال حفي (الصدر الأعظم) وعلي شهاب وعلي حيدر واسمااعيل
حفي وأخانس وعاطف وعبد الرحمن شرف وغيرهم من العلماء رحمهم الله .

فتح العثمانيون الجزائر وتونس وطرابلس وبرقة ومصر والشام والجزيره
والعراق وجزيرة العرب ، وطال حكمهم فيها ، ولو قيض الله لهذه الاقطاع
أن تتمتع بحكومات عربية تعدل وتعقل ، وتحجّم الشمل ولا تفرق الكلمة ،
ما أصيّت بدأء الانحطاط الذي يوحّد بها هذا التبرير .

تطلب شعوب الشرق كل شيء من حكوماتها ، وما شأن الحكومات
إلا حفظ الامن واقامة العدل والتمهيد للعاملين . أما التوفّر على الزراعة
والصناعة ، وتعليم البنين والبنات ، ونشر العلم والدين ، وانشاء الفنادق
والمصانع ، وما ينشأ عن الحضارة من نعيم وسعادة فهو من عمل الرعية
تبرز فيه ما انبعثت همّتها الى أقصى حدودها ، وما أحسن النها ، من
بنيها بعظم ما عليهم من تبعه .

يوم تجتمع حكومة كل السلطات يصبح الرعایا كالعبيد تسيرهم أبدى
موالبهم ، وبعدون بالطبيعة من الامم الاتكالية المنحطة ، وإذا كانت الامة
مصدر كل سلطنة حقاً وصدقأ تعد حكومتها أرقى حكومة وشعبها
أسعد شعب .

من أسف ما صدر عن سبامي مسؤول حمله بعض صنائعه على شم
خالبه شئماً قبيحاً ، وما أدرك ان من يومه اليوم يعادونه عندما يحمل
الدهر وجهه عنه وتقطع صلاته بهم فيقولونه بما لم يقل ويتوسعونه شئماً واهانة.

رأيت بعض من تولوا أعمالاً سياسية كانت فوق اقتدارهم يطعنون
اليوم علينا فيما كانوا أمس يقولون في مدحه جرة ، كأنهم يظنون أن
من سمعوهم بالأمس كانوا من الصم البكم .

كنت أستبعد نشوب حرب أوربية عامة لا وقر في النقوس من
بعد نظر الغربيين في السياسة ، فخاب ظني لما شهدت الحرب العالمية الأولى
وقد جرت على الفالب والمغلوب من الويلاط ما جرت . ثم زعمت أن
حرباً ثانية لن توقد نارها قبل جيلين فكذب ظني أيضاً ، واشهرت الحرب
الثانية في آخر العقدبن الأولين من الحرب الأولى .

إذا فرض ان دب الضعف في الدول الحربية العظمى ، أفنا من الإنسانية
باترى من غواصات الحروب ، أم تقدم الدول الصغرى لتمثل في مجال
السياسة ما كانت تمثله الدول الكبرى ؟

كانت الأولية في سياسة الغرب لاسبانيا والبرتغال فانتقلت الى فرنسا
وبريطانيا العظمى والنمسا وروسيا واميركا ، والظاهر ان السياسة العامة
لانقام لها سوق في الدول الصغرى لقلة سكانها وضيق نطاق بلدانها . فالسويد
والنرويج او الدانمارك وسويسرا لا يتأتى ان تكون كفرنسا او روسيا او اميركا.

قال لي احد اصحابي من كبار رجال القضاء ان الحكومة الحالية
ترى أن تختار الرعية نوابها في المجلس النيابي العبيد من الشباب فقط ،
وكان الاولى أن تقول ان الواجب انتخـاب من يصلح لهذه المهمة بعلمه
وتجاربه ، ولا فرق في أن يكون النائب شاباً أو كهلاً أو شيخاً .

كان بعض من حظيت بلقياهم في حياتي من ملوك الشرق وأمراء وزعماً من الفئة التي تغلب عليها السذاجة القريبة من البلادة ، ومعظمهم يملكون لوعوتهم وشهواتهم . فعجبت كيف تدار مالك كبيرة بهذه العقول الصغيرة .

كلما رجينا ان يصفو الزمن وتنعم بالاستقرار لنعرض ما فاتنا أيام المول يعرض لنا ما يؤخرنا الى الوراء ، كأن الفطرة لا تخنار لنا المدحوه ، ولا نحب أن تُعدنا للسعادة .

لو لم أكره تدخل الأجانب في شؤوننا الداخلية لطلبت اكل وزارة مستشاراً غريباً أتمتع بالسلطة المطلقة حتى لا تكون فوق يده يده ، فيدرينا على العمل الصالح ويعلمنا القيام بواجبنا .

قال لي أحد رؤساء الوزارات في عهد الانتداب : اني لأعجب من حال عمالنا وحال المستشارين ، اذا استدعيت عاملأ لمقاضته في مسألة يهuni الوقوف على ما تعاقد عليها يأتيه لا يحمل شيئاً من المعلومات ، اذا طلبت المستشار يجيء حاملاً جميع ما تعاور على القضية من أول يوم الى آخر يوم . فقلت له : هذا سر من أسرار تقهقرنا ، ولو كنا منهم في العناية بأسفالنا ما احتاجنا الى مستشارين يقودوننا كما يقاد الانغمى في طريقه الى داره .

حدثني أحد ابناء السودان من خريجي كلية غوردون آنـ الانكليز هناك كانوا يقولون انا لا نحب أن نقع في الخطأ الذي ارتكبناه في مصر باطلاقنا حرب التعليم المصريين ، فحصلوا على العلوم العالية وجاءوا بعد يطالبوننا بالتوظيف ، وليس للحكومة وظائف تكفيهم ، فكادوا لنا بأن انضموا الى جماعة المتططعين ، وساروا على طريق المشاغبين . وانتبهنا بعد ذلك فكنا اذا احتاجنا الى عشرة أطباء مثلاً فترجح على كلية غوردون ان تخرج لهم لنا

لبيكونوا على استعداد للخدمة في سنة كذا ، واذا مساحت حاجتنا الى غيرهم من دارسي العلوم الجامعية نطلب كذلك من الكلية تخرجهم ، ونضرب لتعيينهم موعداً يرون بعده مقاعدهم مستعدة لقبولهم من أول يوم يحرزون فيه شهادتهم . وهكذا أفلمنا من المشاغبين بأنحنا من أرباب التعليم العالي كفayıنا فقط .

سألت سائحاً حضرميّاً من ساكني جاوة عن سياسة حكومة هولاند مع الجاوبين يوم كانت تستبدل بمحكمهم أبغض استبداد فقال : ان هولاند كانت الى قبيل الحرب العالمية الاخيرة اذا تعلم بعض شبان اندونيسيا العلوم العالمية في هولاند او في غيرها تفرض عليهم الافامة القسرية في احدى جزائر اندونيسيا ولا ترك لهم مجالاً للاختلاط بأبناء وطنهم حتى لا ينشأ من اجتماعهم أمور لا ترغب فيها الحكومة المستعمرة . قال وقد أصبح عدد المحكوم عليهم بهذا التغريب العجيب ألفاً (وأظن أنه قال عشرة ألفاً) من الشبان المثقفين . وهذا من أقطع ما عرف من تحكم الانسان بحرية الانسان ، ومن ظلم الانسان .

بقي رجل انكليزي اسمه لنجهان يتعبد في مسجد من مساجد دير الزور زهاء سبع عشرة سنة ويعتاش من العاب يعملها من الورق ويبيعها من الصبيان بقطع من الحبز وعندما احتل الجيش الانكليزي دير الزور عين حاكماً مباشراً على المدينة برتبة كولونيل . ما أصبر الانكليز في خدمة امبراطوريتهم .

من أول واجبات الحكومة توحيد كلمة شعبها . الطرق الصوفية من فروض العين اعلان حرب عليها لادخالها الخلل على بناء الجماعة . وما كان من المذاهب الحديثة الا اختراق الصفوف وكانت من قبل متراصة .

يوم فصلت الامم النصرانية الدين عن الدنيا سارت أمورها على مداد .

وما وسع الدول الإسلامية في الفرون الأولى إلا سلوك طريق الدنيا كما سلكت إلى الدين طريقه . وكانت تبتعد عن الخلط بين الطريقتين ما ساعدتها الحال .

قالوا إن فلاناً وفلاناً اغتنيا غنى فاحثاً بخدمة ملوكها فقلت : ليس في ذلك عجب فقد اغتنى في مملكته كل من هان عليه أن يبيع ذمه بعرض قليل . وما دام القول الفصل للأفاقين في مثل هذه الدول فلا سبيل إلى اقتراب أهل الخير من ملوكها ، ولا رجاء الآدن أن تخبطوا ديارهم خطوة تذكر في سبيل الحضارة .

بكتفي في عقوبة من صرف من خدمة عامة ظهرت فيها خيانة أن تنزع السلطة من بيده الائمة ، وهو على التأكيد لن يهنا بما جمع من الدناءات .

مهما أحسنت الظن لا أذهب إلى ما يذهب إليه بعضهم من أن ربنا كان بيده القبض والبساط ، يعني من يرضى عنهم من مال السلطان ، وينسى نفسه فيحررها حقها من الغنائم ، ليختلف الفقر لأولاده وبعيش حياته في قلة وضنك .

رثى بعضهم لاحد الرؤساء لما وقع في حنته وادعى أنه أباع دكاناً له وأشجاراً عليها ثرها ولما ينضج ، ليس ببعض عوزه ، فقلت : لا تصدقوه انه اعتاد الكذب وبرع فيه ، وهذا اختيال منه لاقناع الرأي العام بتزاهته .

أكيد أحد العارفين أن المدافعين عن الديمقراطيات بذروا ينفقون في الشرق الادني أموالاً عظيمة على الدعاية . فقلت له : كن على ثقة أن الحرب العالمية الثالثة سيندلع لهيبها عندما تبدأ الدول العظمى بالبذل الكثير . فقد علمتنا الحوادث أن الغربيين لا يحودون الا اذا أحدقوا الخطرا بأئمهم ، بصرفون قرشاً ليكسبوا ألوفاً . أجارنا الله .

من مذهب المعتزلة أن يتولى الخلافة صاحب الكفاية أيًا كان أصله ورتبته وشرفه ، وهذا ما جلب عليهم نعمة بعض الخلفاء . ولما ضفت رجس بني العباس وأصبح يتقلد الخلافة الجاهل والبليد تعاون عليه السوء وجلة الملوك على المعتزلة وحاربوهم حتى قردوهم ، فنم يبق أمام خلفاء العباسين بعدها عائشة بحول دون قدرتهم بخلافتهم التي أصبح راعيها أشيه بشيغ طريقة او ناظر على وقف .

من التجارات التي كانت تدر أرباحاً على أحد الرؤساء أنه كان إذا أرسل سفيراً عنه في مهمة إلى بعض الملوك يحمله هدية ثمينة يدفع فيها من خزانة الامة ، فإذا قابله الملك على هديته بهدية مثلاها أو أعظم منها أخذ المدينة لنفسه . ومعظم أهداياها معمول بالذهب والبريلز والاحجار الكريمة .

لما عظمت جيوش الترك العثمانيين وصلوا إلى مدينة فينا وسط أوروبا ، ولما ضعوا طردمهم دول الغرب إلى موطنهم الأصلي في آسيا الصغرى . كتب النصر لعلام الترك فاستولوا على زمام عشرين مملكة مختلفة العناصر ومنها بلاد العرب ، ولما تراجع أمرهم كان ساسة الغرب في القرن الماضي يتأمرون على تقسيم تركية الرجل المريض ، يمنون به الدولة العثمانية ، ولو تم اتفاقهم يومئذ لكان تركيا اليوم في عداد الدول المنقطعة .

لفت نظري من لا ينوي بالاختلاق إلى أن المسيحيين في فلسطين وسوريا في الفتنة الصهيونية الأخيرة ، لم يدعوا شرفهم بالتجسس للجند ولا بتسويفهم من البلاد المجاورة كما فعل بعض الساقطين من الوطنيين ، أغواهم الصهيونيون بمال وأقدموا على ارتکاب ما ينفع الأعداء . المسؤول والمسيحيون شركاء في هذه النكبة نكبة فلسطين ، ومن عاون العدو أبان عن جهل وانحلال وطنية .

صباً أحد أجداد طاغور شاعر الهند عن الاسلام دبن آبائه وانته

الوثبة ليسوغ له تولي الحكم . وعزم ثابليون على انتقال الاسلام لما
تخيّل أنه بدينه الجديد تفتح له أبواب الهند . وانتقل الشاه الصفوي من
مذهب أهل السنة الى مذهب التشيع اينشىء دولة العجم .

قال احد رجال الانكليز في الهند : المسلمين يحرمون أكل الخنزير
والمهند يحرمون البقر ، ونحن الانكليز نخلي الخنزير والبقر فنكلات من
الطبيعي أن نحكم الهند ، ولما آذنت ساعة رحيل الانكليز عنها لم يفدم
بجمعهم بين لحم الخنزير ولحم البقر .

لقيت في مصر زمان الشباب مفتى المسلمين في بيكون عاصمة الصين في
طريقه الى الحج فرأيت فيه عالماً جليلأ سالماً من التحريف فيما يظهر .
وكان يتغدر عليه النتكلم بالعربية فيكتب في ورقة ما يريد أن يقوله بلغة
عربية فصيحة وبخط نسخي مقروه ، ويأخذ الجواب على هذه الصورة ،
فكانا تتفاهم في أصعب الاحاديث ، واستفدت منه فوائد عظيمة عن
المسلمين هناك . وتنبأت لو يرحل الى الصين بعض أرباب النباءة من
المصريين والشاميين للدرس أحوالها درساً علمياً لما في ذلك من الفائدة العامة .

لم يثبت للمسلمين في الهند ملك عظيم تطول أيامه مع أنه كان في
جملة فاتحها محمود بن سبكتكين وأكبر خان من أعظم الملوك . وذلك
لان المسلمين فيها قلة ، والكثرة الكاذرة وثنية .

ما رضيت هولاندة أن تكون الجاويين من اطلاق اسم اندونيسيا على
جزائرهم أيام احتلالها لها مخافة ان يكون من احياءهم اسمها تذكيرهم
بذكريات وطنية من صلحتها أن تنسיהם ايها .

قل في الشرق من وسد اليه شيء من أمور السلطان الا واغتنم
الفرصة المتاحة فأنقى الى الوظائف بطائفة من أصحابه وجيشه وحزبه وذري قرباه

وأهل دينه ، ولو كان في استخدامهم الفرر على خزانة الأمة وعلى سير نظام الحكم ، لأن من يُؤْتَى بهم في مثل هذه الحال هم على الأغلب من البضائع الرديئة الكاسدة . أما ذاك المتفضل على صنائعه من مال الأمة فهو مثال السارق المنافق .

ليس من الوطنية التفريق بين أهل الوطن الواحد . فمن قال هذا مصري وهذا شامي وهذا عراقي وهذا حجازي ، وهم أبناء نبعة واحدة كان عدو وطنه الأكبر يسعى إلى تزييق شمله ولا يدرى ما هو صانع .

يختلف أهل بلدين على مسائل قد تعد تافهة وهم يعدونها جوهرية . من ذلك أن مدینتين من مدن الشام تكاد تكون العداوة بينهما ظاهرة لأن الأولى فقدت فريقاً من شبانها تزوجوا من بنات جاراتها ، ورحل نجار من الثانية وتوطنوا في الأولى ، واستولوا على جانب من تجاراتها ، ف تكونت من ذلك عداوة سببها المال والجمال .

بعض رجال السياسة من أقدر الخلق على تضليل قومهم والحط من كرامته خصومهم ، وهؤلاء يكيلونهم الصاع صاعين يوم يتصدرون ويحكمون .

يزعم بعض المفكرين أن الحكومات الإسلامية إذا أباحت الزواج بين المخالفين في المذهب تقدّم نفسها من وحمة التعصب ويقوى أمرها عند دول العالم . ومن عاداك لتناحّل في الدين والجنس لا يرضيه منك شيء ولو تذهب بمذهبك وتختبئ بمحنة بيته .

أول ما يفكر فيه بعض الوزراء إذا صاروا إلى الحكم أن يغتروا بطرق لم يأبهوا العقل والشرف ، والمتوسط الذكاء منهم يدخل وينخرج من الحكم لا يعمل عملاً يذكر لنفسه ولا لوطنه .

عرفت خمسة وزراء في سوريا ولبنان على عهد الانتداب كانوا على جانب من الذكاء ، وعلى حصة موفورة من فبع السيرة ، لو قسمت مسؤولهم على ثلاثة وزيراً لاستحق كل منهم أن يحكم عليه بالسجن المؤبد مع التشفير . وكانت الحكومة المنتدبة على معرفتها بهم تدعوهم إلى الاشتراك بالوزارات . قد يجد المؤرخون أيضاً من لا يبالون الاقتراب منهم .

عملت الولايات المتحدة الاميركية سنتين طويلاً بيد ماونرو القاضي بأن تكون أميركا للاميركيين . لا يتدخل الاميركيون في شؤون دولة ولا يرضون أن تتدخل في أمورهم دولة . وفي الحرب العالمية الأولى أفهمت بريطانيا العظمى جمهورية أميركا بالحروج عن عزلتها ، وأشار كثما في الحرب حتى ظفرت بريطانيا وحلفاؤها ، وسقط قانون ماونرو . دليل آخر على أن مصير كل شيء إلى الزوال في هذا العالم .

كلا تأملت حال بعض المالك العربـية التي أنشئت لأغراض استعمارية وما خلقوا لها ، على ضيق مساحتها وقلة رجالها ، من ملوك وزارات وبجالـس وألقاب وتشيل خارجي ، أضحك وأشند قول الشاعر الاندلسي : أذناب هملكة في غير موضعها .

ينحصر رأس مال بعض رجال السياسة في الإناثة المتكلفة والبزـة الجديدة والنظام والتفاصل وتكافـف الرزانـة وإيهام من يجتمعون بهـم أن في صدورهم اسراراً لا أفسـوها بـدت الأرض غير الأرض .

لابد لكل سياسي من أذناب ينوهون بهـ في الصحف والمجتمعـات ، ومن يقرـظونه مـتبـطـلاً ، وهو يـكـافـهم يوم يجيـهـ إلى الحـكم على تـبرـعـهم بالـدـعـوة لهـ ، ولكنـ منـ مـالـ الدـوـلـةـ لاـ مـاـلـهـ .

ما خجل رجل من رجال السياسة من الدخول في بضعة أحزاب ينافض بعضها بعضاً ، رجاء أن يكون له الظهور أبداً . وحاول مرة أن يخدم دولتين متناقضتين فتبذلته الأولى وتفاولت عنه الثانية .

رفعت الدولة العثمانية رجالاً من أبناء العرب الى أرقى المناصب ولما تزامى له أنها ساند جلي عن دياره انضم الى عدوتها وأخلص في خدمتها . وكان هو في حيبر الدولة التي ربته وعاش بخيروها حتى بلغ الشيخوخة بشتعل سراً بقلبهما ، ويتقرب من الدولة الخالفة بما يخالف شروط الأمانة ، يزعم بعض الأغبياء أن هذا التذبذب في الأخلاق يجوز في السياسة ، أفباع بهذا الحق وهذه السياسة .

ما زاد عدد من درسوا العلوم العالمية في مصر والشام عن حاجة البلدين اى الآن ، وإنما فضل الدارسون عن حاجة حكوماتهم ، ذلك لأن غيبة معظم الدارسين من دروسهم الدخول في خدمة الدولة وهذه لا تستوعب دراوينها كل طالب يعشق التوظيف فيها ، ولا تنبع موازنة عاتين الدولتين لاعطاها كل واحد منها .

لو بذل ما صرف على التعليم العالمي منذ نصف قرن في القضاء على الأمية في مصر والشام لزال منها أثرها ولكن كان يعوز القطر بن رجال الاعمال التي لا يحسن القيام بها الا أرباب الدراسات العالمية .

كانت مجلس صديقي سليمان نظيف بك من علماء الترك أمتع مجلس أختلفت إليه في الاستاذة أيام مقامي فيها في آخر سنة من سني الحرب العامة الأولى . كان يتألف من صفوة رجال القضاء والإدارة والسياسة ، اهتم بتأسيسهم الى أمور كنت أجهل وجودها عند الآتراك وأنا أعاشرهم في الولايات معاشرة رسيبة . وكان أهل هذا المجلس يتوجسون خيفة من عاقبة الحرب على العثمانيين ويدركون أمر ارض دولتهم بتفصيل وبصرحون

بما لا يجوز التصريح به أمام الناس . وكان رب المجلس رحمة الله تعالى يعترض
إلى من لم يعرفي من قبل تعريفاً جيلاً حتى لا يكتنوا شيئاً من الأفكار
المخدودة في صدورهم أمام غريب عنهم .

كانت الفرون الوسطى عند المسلمين من حيث الرقي كالقرن التاسع
عشر عند الغربيين ، ومن كان يظن أن من الرجال عندنا يومئذ من
كانوا يتلقون الحديث وأخذون الفقه عن النساء ، وان بعض مدارس
دمشق أنس النساء ووقفن عليه ورتبته ترتيباً جيلاً خدمة الدين والعلم .

فتشت مدارس أحد العمالات وجئت إلى القصبة وسألت قائم مقامها
عن مدرستها — وكان تولى إدارة تلك المدرسة منذ أشهر — فبدأ الجليل
علي وجهه وقال : الحق أني لم أتفرغ لزيارة المدرسة حتى اليوم . ونظرت
إلى جانب دار الحكومة وإذا بالمدرسة على بعض خطوات منها . وبعد
أشهر جاءني هذا العامل وشكى أني أنت لهم نحوه من عمله وأنه ظلم وأنه
مستقيم ويحمل شهادة أرقى مدارس السلطة فقلت له : أحم الله على أن
اكتفى وزيرك بتنحيتك ولو كنت وزيراً للداخلية لاحتلك إلى الفداء
وعزلتك على ألا تستخدم بعدها ، وذكرته بأعماله وعدم عنائه بالنظر فيها
وسد إليه . وطلبت منه أن يعييني من التدخل في ارجاعه . وكان هذا
العامل على نزاهته من غطى اهتمامه على كل حسنة فيه . قد يبدع في الادارة
الرجل الامي اذا كان ذات نشاط وغيره وذكاء بما لا يتصدر من حامل الشهادات
العليا فان هذا لا تتفقه شهاداته اذا كان مهماً كسولاً .

باغت أحد قوام المقام ذات صباح في مركز عمله فجأة في الساعة
الناسعة صباحاً والخمار باهث عليه ، والنوم آخذ بعينيه ، فانقبضت نفسي
من مشهد ، وظهر ذلك في سجني . وسألته عن الأوساخ المتراكمة
في سوق البلد فقال : نعم انهم كفروا أمس فقلت له : ان السوق لم
يكنس منذ أيام والواجب أن ترفع قمامتها كل يوم سرتين على الأقل .

ومن لا يوجى منه أن يأمر الكناس بكتنس ساحة داره كيف يتوقع منه - وهو كسول ومدمن ويسهر إلى ما بعد نصف الليل ساعتين أو ثلاث ساعات يتعاطى الكأس - أن يفتش المدارس ويراقب الدواوين وسير الحكم وينظر في شكاوى الأهلين وما يصلحهم نظرة سديدة . مسائل صغيرة في ذاتها تتولد منها مسائل خطيرة .

كتب إلى صاحب من نهاية المسيحيين يقول ان الاسلام دخل في قلبه ويريد أن يعلمه لولا ما يحول دون ذلك من العوائق . فأجبته ان الإيمان في القلب فان كنت مؤمناً حقاً فلا يتوقف اسلامك على المراسيم المعتادة والوقوف أمام المحكمة وتلقينك كلة الشهادة والإشارة في السجلات الى انك مسلم . وربما كان من بقائك بين قومك وأنت على الاسلام انفع لك وللمسلمين من خروجك من دينك ، خصوصاً واسمك اسلامك قد يضرك باديائك الآن فيحررك أبوك ارثك منه ، وأبوك شيخ كبير قد يسوءه ما تأتي في مجال عليه . ومتى تهدت الصعوبات فالاعلان بمذور لك كل ساعة . قبل نصحي وعدل عن اعلان اسلامه . وقال لي بعد سنين انه كتب مثل كتابي الى صديق لي فكان جوابه يشبه جوابي على غير توافقه بيديه . وما عرفت ان كان صاحبي بقي بعد ذلك على دينه الأول أو انحفل الدين الذي أحبه .

بقليل من المعارف بتهم المدارس في عقول الناشئة أصبح الصبي يدرك أن المهندس غير النحات والمزین غير طبيب الاسنان والنجار غير الحداد وكان الشخص الواحد في الأيام الحالية يتعاطى عدة صنائع .

فرحت أربع فرحت في حياني ، الأولى يوم ضبط الأتراك في ولايات الشام أوراق الفناصل أوائل الميرب العالمية الاولى ، وقد ظهر فيها أنني

بوري. ما كانوا يتهمونني به من خيانة الدولة العثمانية . والثانية يوم قبل ملك مصر نواد الاول عذري في عدم اجابة طلبه بالانضمام الى عمال قصره . والثالثة عندما نجوت من تقلد رئاسة الوزارة السورية على عهد الانتداب ، وكانت عرضت عليّ مرتين . والرابعة لما ظهرت أخلاق رئيس جمهورية سوريا للغريب والقريب على حقيقتها .

يوم كان أهل دمشق على شيء من الرقي الديني مات خطيب الجامع عندم ولا م يظفروا في بلدتهم بن عاتله أتوا بخطيب عظيم من قرية داريا بخلقه .

شهدت الفلاحين وعامة المدن أمس يغرسون من مراجعة المطبعين ويكتفون بوصفات العجائب وعقاقيير الدجالين ، وشهدنهم اليوم 'يرعون في حالة مرضهم الى الطبيب الاخصائي يقصدونه من أول الأمر . ظاهرة غريبة ندل على ارتقاء الافكار .

شاهد بعضهم معظم ركاب السيارات العظيمة التي تروح وتغدو بين دمشق ومرج غوطتها عند عودتهم مساء الى فراهم وفي يد كل واحد منهم جريدة او مجلة يقرؤها بشوق . وقص على أحدم أنه شاهد في السيارة العامة التي تختلف الى بعض قرى الغوطة الوسطى امرأين تبدآن كل منهما جريدة . فسأل الواحدة عن سبب شرائهما جريدة فقالت له والغبطه بادية عليها ، ان ابنتها يقرأ وهو يقرأها لها ويشرح لأمه ما يفهم من معناها . وهاتان الفلاحتان من قرية اشتهر أهلها بالجهل والبخل . وهذا أيضاً مما يعد في باب الارتقاء الحديث .

قالوا ان أحد الوزراء السالفين لا يستنكف عن بيع الفاكهة التي غرس أشجارها بيده في مزرعته على طريقة بعض صغار الفلاحين والباعة .

فقلت لهم : مافي ذلك غضاضة ، ولا عار الا على من أساء لأمنه يوم كان في الحكم ولم تؤثر له مازرة .

لَمْ يفتحَ الْعَرَبُ مَلَكَةَ الْأَنْدَلُسِ وَيُنَشِّرُوا فِيهَا مَدِينَتَهُمُ اطْلَالَ الْغَرَبِيِّينَ
يَهْمُونَ الْعَرَبَ بِالتَّوْحِشِ ، وَكَانَ عَمَلُ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ يَوْمَنَذِ عَمَلُ دُولَةِ
عَافَلَةٍ عَادَلَةٍ . وَمَعَ هَذَا بَقَى الْبَغْضُ الْجَنْسِيُّ وَالْدِينِيُّ كَامِنِينَ فِي نُفُوسِ
الْإِسْلَامِ قَرُونًا حَتَّى تَبَسَّرَ لَهُمُ الْخُرَاجُ أَعْدَاءُهُمْ مِنْ جَزِيرَتَهُمْ .

لما فتح الترك الفلسطينية انتشر الاسلام في الروم ايالي وما وراءها من الملك ، وكان الاتراك يومئذ يخلصين الاخلاص كام لدينهم .

قال رئيس البعثة العسكرية الأميركية، بعد أن شهد مناورات الجيش التركي الأخيرة ان روسيا تستغرق يوماً واحداً في القضاء على هذا الجيش وسبعة أيام في احتلال تركيا بأمرها ، هذا وما كانت الدولة منذ خلقت الا عبارة عن جيش لانفك من مقومات الدول غيره . فان كان الجيش الروسي يغلب الجيش التركي في يوم واحد فباتطول حسراً تركياً ، على ما بذلت في بث روح الجندية في أمتها . كدت أعتقد أن الروح العسكرية تأهل في الترك ناصل الروح الاستعماري في الفرنسيس ، فضلاً عن كونه على خطأ ، غرني الدعاءيات وكان أكثر ما زعموا انه تم من الاصلاح في ديار الترك بعد القضاء على آل عثمان هو من الدعاءيات التي افتتحت ونجلى الحال في نوبه الحقيقى .

ما وافى دعاء البرة-شانية الى الديار الشامية في القرن الماضي لنشر
مذهبهم بين الطوائف شاعت في لبنان وما اليه من الأفالم قصص
وحكبات عن الرهبات والراهبات لا يكاد العقل يصدقها وتتفاولها الناس
وتفكروا بها على ما كانت تحمل من صدق وكذب .

فـلـُ أنـ شـهـدت حـكـوـمـة طـلـبـت اـعـانـة مـنـ الـاـهـلـيـن فـأـدـوـهـا عـنـ رـفـاـءـاـ مـنـ الـأـعـانـةـ الـيـ فـرـضـتـ عـلـيـمـ فـيـ الثـورـةـ الـأـولـىـ . كـانـ كـلـ سـوـرـيـ يـدـفـعـ ماـ يـدـفـعـ عـنـ طـيـبـ خـاطـرـ وـمـاـ ذـاكـ إـلـاـ لـأـنـ الـقـوـمـ اـهـتـدـواـ فـيـ قـرـارـةـ أـنـقـسـهـمـ أـنـ مـاـ يـؤـدـونـهـ يـعـرـفـ فـيـاـ يـوـفـعـ مـنـ شـأنـ الـجـهـوـدـيـةـ .

سرني ماروى لي أحد أصدقائي قال : كنت حاضراً في مجلس عرفي كبير من رجال السلطان عبد الحميد في الاستانة فالتمس منه أحد ذوي فرباه أن يتوسط له بتقبيله وظيفة ادارية فقال له : ابني أعرف سيرتك العاطلة فيما توليته من العمالات وأنا لن أعينك على الوصول الى ما نطبع اليه بعد الذي بلوت من أخلاقك . وحرام علي أن أزيد بك هذه الامة نكبة فوق نكبتها . وكان هذا العامل يعاقب حمورقة قريبه العظيم هذا فوق رأسه بدار الحكم في كل قضاء تولاه . فإذا أتي بن بيد التضيق عليه حتى يأخذ ماله يقسم برأسي صاحب هذا الرسم قريبه الابد لخلاصه من دفع مئة ريال وكلما كان يتسلل اليه المظلوم لتخفيتها بعود فيغاظ الآيان على زيادة المبلغ مئة أخرى ، وهكذا حتى يدفع النس ما غرم ظلاماً .

عرفت الدولة العثمانية كيف تحرك العرق الديني الحاس في رعایاتها العرب حتى حكمتهم أربعة قرون .

أخذ المسلمون لأول أمرهم من العلوم المادية ما كان لهم من عون على القيام بدعوتهم حتى اذا تم لهم ما طمعوا به من التوسيع في الملك فترت المهمة في المعلوم ، ودامـت العناية بالدين سائرة سيرها العادي ، ثم قوي السواد الاعظم وهم أصحاب الدين على الاقليـةـ وـهـمـ رـجـالـ الـعـلـمـ فـكـانـ منـ ذـاكـ رـجـوعـ الـأـمـةـ الـقـهـرـيـ .

اذا وضعت جامعة الدول العربية منذ اليوم أساس التعليم بما يلائم كل نظر ثم سيرته في طريق الوحدة تنشاكل الافطار العربية بعد جيلين في نكيرها وحضارتها .

بدأ الخليفة الثاني في مصادرة العمال وما زالت المصادرات تزيد مع الزمن ، وكانت قليلة في عهد الامويين كثيرة جداً في أيام العباسين وزادت في عهد الفاطميين والهالبيك والثمانين ، ثم بطلت في أواخر أيام الامراك ، وقد أصبح الكبیر والصغير في دولتهم يسرق من غير كبر . فرأى في الصحف ان لجنة تألفت في مصر للنظر في محاسبة الوزراء والعمال الذين اغتنوا فجأة من أموال الامة لتسرد الحكومة بهم ما سلبوه ومثل ذلك فعات حكومة سورية وأعلنت عن لجنة الفتوى . فكر جميل ، وما أكثر الافكار الجميلة ، ما أظنه يتحقق في أرض هذا الشرق لامنه لا عهد له بهنل هذا التأديب . وأكبر دليل على أن اللجنة المصرية والشامية لم تنتجا شيئاً بعد مرور أكثر من ستين على تأليفها .



قسط^(١) العرب من حضارة أوربا

وقسط أوربا من حضارتهم القدية

منذ مقتل مسلم بن فريش آخر أمراء العرب في الشام بأيدي الاتراك السلاجوقيين لم ينفع أمير من أصل عربي صرف ، من عيار الامير فخر الدين المعن الثاني الذي استولى على لبنان والساحل الشامي إلى أنطاكية في الشمال وارجاء فلسطين في الجنوب . فان هذا الرجل أدرك في القرن السادس عشر وبعد نظره أن الغربيين أخذوا يتفوقون على العرب في مدنיהם ، وان عندهم أشياء نافعة في قيام الامم من علوم وصناعات ليس للعرب منها . ففتح موازي بلاده للأفرنج ، يغشون الديار الشامية وباستزيلون من متاجرهم مع أهل الساحل ، ورخص لهم بانشاء قنصليات وأذن خان كبيراً لتجار الأفرنج في صيدا ، وعمر مدينة بيروت وأقام فيها حدائق حيوانات . وأجاز المبشرين والبعثات الدينية أن يدخلوا الديار أحرازاً يحبب بذلك سنة أهل دينه وجنسه من العرب الذين كانوا في عهد عزتهم وبحدهم شيئاً غريباً من التسامح مع الخالفين .

غضبت الدولة العثمانية على الامير فخر الدين فسافر الى ايطاليا واستتبه كوسوس الثاني كبير دوقات طفكانة في ليغوريا باعتقال عظيم ، وأقام في تلك الديار زهاء خمس سنين متسلكاً بعاداته ومعتقداته . وقد انشأ في البلدة التي أقام فيها جاماً صغيراً ومأدنة ، فكان يقيم الصلوات ويزمه بإمامه . وقد عرض عليه ملك اسبانيا أن يدين بالنصرانية ويلكه على مملكته أعظم من مملكته فاعتذر بلطف . وعقد الامير مع فردینا زد الاول كبير دوقات طفكانة تحالفه دفاعية هجومية في سنة ١٦٠٨ . واطلع على مدينة آل ميديسيس وأراد تقليلهم فيها . ووصف مؤرخه الصفدي ، وكان رفيقه

(١) ألقب هذه المسماة باللغة الفرنسية في المدرسة الالمانية بدمشق .

على الفالب في هذه الرحلة الطويلة ، عادات الظليان وهران بلادهم وتراثهم على مهاراتهم ، مُنجبأً بها اعجاب أميره . وكان هذا استعان بعض المهندسين والبنائين من الإيطاليين في بلاده ، وانصرفت منه الى تنظيمها بالنظام الغربي ، وأن يقتبس ما ينفعها من أسباب التهوض .

ولا يفوتنا النظر أن الإيطاليين كانوا بعد أن استولى الدورميوت على جزيرة صقلية وأزالوا سلطان العرب منها هم الحاكمون على البحر المتوسط ، فاستأثر الطغانيون والجنويون والبيزونيون والبندقيون من الشعوب الإيطالية زمناً طويلاً بالتجارة . وهم من أكثر الأمم الغربية اختلاطاً بالشرق العربي لقرب بلادهم منه . حتى ان سفن الإيطاليين في الحروب الصليبية كانت الم Saul عليهم في نقل جيوش حملة الصليب الى الشام ومصر . ولا نعد بجازفين اذا قلنا ان الامم الاوربية التي اشتراك في الحالات الصليبية قد افقرت وأفقرت بلادها من الرجال وكان من اثر ذلك الحروب المشئومة اغتناء بحارة الظليان وتجار الظليان . وعاون البنادقة المهايلك في مصر على انشاء سفن تخر عباب البحر الاحمر لتصل الى المحطة الهندية للاشتراك في حرب البرتغاليين الذين هبوا يومئذ لاستعمار الشرق والاستثمار بتجارة الهند دون أهل الشرق والغرب .

وبقضاء الدولة العثمانية على الامير فخر الدين المعنى قضت على برامج أعماله في التمدين وترك الاخذ عن الغربيين نحو قرنين آخرين كانت النسبة في خلاتها قد اتسع مداها في الديار الغربية . وكانت الشام ومصر والعراق وغيرها من الولايات العربية بأيدي الترك العثمانيين لا يزيد عمرهم الا أن يتقاضوا من أهلها الضرائب بعيدين عن كل ما يثقف العقل ، والعرب بعيدون عن النور الذي فقدوه منذ قضى البربر في الغرب والتتر في الشرق على مدنיהם . وكان العرب خلال اربعة قرون في تاريخ البشر م الامة الوحيدة بين الامم التي كانت تحمل مشعل العلوم والآداب والصناعات ، وظل الغرب تحت احتكارهم وسلطانهم في هذا الباب ،

يلون عليه ولا يلي عليهم وبعلمونه ولا يتعلمون منه ، على ما كان من اليونان قبلهم حكموا العالم حكماً علمياً ، أي حكموه بعلمهم وأدبهم ألف سنة ثم ذهبوا بقيام دولة العرب .

وتداولت الأيام وفعلت الليالي فعلها في العرب فسلبتهم عنهم بخروج الحكم من أيديهم إلى عناصر أخرى ، فأصبحوا في القرنين السابقين على قرن النهضة العربية لآخرة ، وليس عندهم رجل يذكر في الهندسة والتصوير والنقش والشعر والأشاء والخطابة والفالك والكيمياء والطب . وأصبح التأليف عبارة عن نقل المتأخر عن المتقدم ، والعلوم المادية والفلسفية مجردة أو مهملة ، بعد أن كان أعظم خلفاء الإسلام في قرونها الأولى يغالي في نقلها عن الأقدمين ليجعلها إلى أمتهم ويضيفوا ما فيها من الفوارق التي صدر المذينة العربية . وعرا الضعف لفتهم أيضاً ففسدت بالطبع في نشرها وخطتها وبالمعاني المكررة والصيغ الضعيفة في شعرها وفقدان الحبال الطيفية والإبداع المعنوي الفاتن .

وبينما كانت البلاد متدهورة في أعماق هذا الانحطاط المخزن جاء ثابليون بونابرт في سنة ١٢٩٨ يفتح مصر ويحمل في جملة ما يحمله من المداد والعدد طائفة من العلماء والنوابغ في الرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا والفالك والأدب والكيمياء والاقتصاد السياسي والآثار والمعادن وطبقات الأرض والحيوان والنبات وفن المعمار وهندسة الري والقنوات والجسور والمباني وكأن معه زمرة صالحة من المصورين والرسامين والموسيقيين والنقاشين والمؤلفين وعددهم مائة وستة وأربعون عالماً وفناناً . وأنشا في مدينة القاهرة جمعاً علمياً يبحث في الفنون والعلوم ويدرس الابحاث الطبيعية والصناعية والتاريخية . وأنشا خزانة ضمت أنفس الكتب الفرنسية والعربية ومعهلاً للطبيعة والكيمياء وأخذ يشغل كل واحد بما اختص به ، فمنهم من يجوب الديار ويرسم مصوريتها ، ومنهم من يبحث في النيل وما يتعلق به ليحسن الانتفاع به ، ومنهم من يبحث في طبائع الحيوان والنباتات والمعادن . وكتبوا كتاباً

ضخماً في مصر وما يتعلّق بصر ما زال إلى اليوم مثلاً جيّداً من هم
أولئك العلماء وواسع علمهم . وحلّ شامبوليون حجر رشيد فعل الخط
المثير والغليفي بأولى العلم يدآ لا تنسى له على الدهر كـا كان لنابليون الفضل
الأول في جلب الحروف العربية إلى مصر وبها طبع أول جريدة عربية
وكان الناس يطبعون على الحجر في الشام ومصر .

ومن غريب ما دون في هذا الباب أنه كان في طبعة من اختلطوا
بعلماء حملة نابليون جماعة من علماء المسلمين في مصر اذ ذاك كانوا يعلمونهم
العربية والشرعية الإسلامية ويأخذون عنهم العلوم المادية . ومن أجلهم في
هذا الثان مؤرخ مصر الشهير عبد الرحمن الجبرتي واحد علماء الأزهر
الشيخ حسن العطار الذي تولى مشيخة الأزهر بعد حين وألف في الفنون
والطبيعتين والرياضيات . وكتبه ورسائله مطبوعة مشهورة في هذه الفنون .
وأختلط رجال الادارة والسياسة من أهل مصر برجال الحملة وضباطها فنشأ
بين الفريقين تعارف كان انقطع منذ عهد سان لوبي أحد ملوك فرنسا في
الزورون الوسطى الذي جاء مصر فأخذ أسيراً في دمياط وافتدى نفسه من
الابوبيفين بثمانمائة الف دينار .

وهكذا عرفت المدنية الفرنسية في هذا الشرق القريب وظلت وارفة
الظلال على بلاد الفراعنة . حتى لقد مضى على الاحتلال الانجليزي ثنتان
وخمسون سنة والاوية فيها لغة الفرنسية . وفي حواضر مصر تصدر إلى
اليوم بعض جرائد يومية باللغة الفرنسية ، وليس فيها غير نصف جريدة انجليزية
والنصف الآخر عثماني به وهو يطبع بالفرنسية . ولقد قال احد الوطنيين
العارفين من المصريين : « ائن فشلت حملة نابليون فان العمل العلمي الذي
قام به رجال البعثة العلمية من بحث وفحص وتأليف وتصوير ابقى الى
اليوم اثراً علمياً فاخراً باهراً تطاوئه امامه الرؤوس اجلالاً واكباراً » .
كُتِبَتُ الْاَقْدَارُ لِحَمْدِ عَلَى الْكَبِيرِ اَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى مِصْرَ فِي سَنَةِ ١٨٠٥
فَأَوْحَى إِلَيْهِ ذَكَارُهُ النَّادِرُ اَنْ يَتَعَرَّبَ وَيَنْشَئَ مَلَكَةً عَرَبَيَّةً وَاتَّ يَقْبَسُ

النظم الادارية الحديثة ويدت مصر العربية تدinyaً عربياً فاعتمد على علماء فرنسا في الاكتنر وعلى مدارسها التعليم أبناء مصر فيها . والى رجاله وصنائعه من المصريين يعزى الفضل في ايجاد مصر الحديثة .

اعتمد محمد علي وأبناؤه على علماء افريقيين في تنظيم الحرب وتنظيم الجيش والادارة ، وفتح معامل لصنع السلاح والجذوخ والطرايبيش ودور صناعة لعمل السفن وأنشأ مدرسة لطب واخرى للهندسة وأنشأ دار الآثار وأسس المستشفيات والى اليوم لايزال يرن في وادي النيل اسم سيف وماريت وسامبوليورن وكلارت ودى ليسس وبيسون وهو سار الخ . وان ما كتبه الاعلام من علماء فرنسا في الفنون المختلفة في مصر ليتألف منه خزانة كتب كبرى ما يوحى الى اليوم والى ما بعد اليوم مرجع الباحثين والدارسين وتذكر بالاعجاب من الحصوم والاحباب .

فلوالي مصر محمد علي ولاسرته الــكرية من بعده الاثر الطيب في تمدن مصر ونقل غرائب الحضارة الغربية إليها طيبة جنية . فانهم ما قصروا في السير حسب مساعدة الاخوات لهم بسيرة جدهم الاكبر الذي يحق لنا أن ندعوه محبي العرب والعربية واضح أساس النهضة الجديدة في مصر وفي غير مصر .

وما فنتت مصر منذ قيام الدولة العلوية وقبلها تبع من العالم العربي بضائع علمها وترسل على بلاد العرب أشعه من نبوغ أفرادها . ولو لا مصر وما جدها فيها من التجدد لقذى حتى على اللغة العربية . وائن لم تستطع مصر أن تضم إليها ما كانت تطمح إليه من الافطار المجاورة وإنما غزتها ولا تزال تغزوها بعلها ، ومصر منذ القديم وارثة بجد الامويين والعباسيين كتب لها بما حفت به من الصغارى المحرقة أن تكون بأمن من غزوات الفاتحين ولا سيما التتر الذين لفي منهم المسلمون في القرن السابع والثامن والتاسع والعشر من المجرة ما دك معالم عمرانهم في الشام والعراق والجزيرة وفارس وأواسط آسيا ، فساغ ان نقول ان العرب الذين أوجدوا مدنיהם الباهرة في أربعة عصور صرف أعدائهم التتر أربعة قرون أخرى في دك معالمها .

نعود الى اشاع الكلام قليلاً على مصر فقد قلت في كتابي الحديث ، الاسلام والحضارة العربية ، انه كان من محمد علي وطريقته المبتكرة في التمدن ، الذي افنيه نبهاء أولاد مصر كل ما قرب الامة المصرية من المدنية الغربية . وكان وادي النيل بجميل صنعه المثال الحي الذي دل به العربي بصورة محسوسة على انه ليس في دينه ما يحول بينه وبين الحضارة وأنه حفيد أولئك الفاتحين ان نامت فيه زماناً جرائم النهوض فانها تدب فيها الحياة عند أفق محركها . وفي مصر أنشئت أول مدرسة لتعليم البنات سنة ١٨٧٣ على عدم اسماعيل الذي أخذ من مدينة الغرب بالكبير والصغرى وفاخر بأن بلاده أصبحت قطعة من أوروبا بضمها كما كان ابنه الملك فؤاد الاول واضع أساس الجامعة المصرية واليه يعزى الفضل في احرازها مقاماً عالياً بين جامعات العالم . وكان اخديبو اسماعيل يشبه محمد علي كثيراً ويعنى بالتعليم عناية خاصة وقد أنشأ في أيامه مدارس ثانوية وغيرها . ومنها دار العلوم التي خدمت اللغة التربية اجل خدمة .

من الطوائف الكاثوليكية فأنشأوا لهم مطبعة طبعوا فيها كثيراً من ~~الكتاب~~
العربية القديمة وكثرت بعد ذلك مدارس التبشير تغذّيها أمم مختلفة من أمم
الغرب وأصبحت بيروت مدينة علم بعد حوادث سنة ١٨٦٠ المؤومة وأنشئت
فيها جامعتان أحدهما تعلم بالإنجليزية والآخر بالفرنسية . ورقيت تجارة بيروت
بارتفاع المواصلات البحرية وكانت أصبحت قرية سكانها بضعة آلاف منذ خربتها
الزلزال وكانت فيها مدرسة الفقه في عهد الرومان تخرج قضاة المملكة ولما شان
لا يقل عن شأن مدرسة الإسكندرية .

وتأخرت دمشق عاصمة الامويين القديمة وبعث النهضة العربية الاولى في
باب التمدين ، لأن الترك العثماني لم يكونوا أمة علم وفن كما كانوا أمه حرب
وسياحة وأغضوا عمدأ أو عن غير عمد عن المدارس القديمة التي أنشئت في اربعة
قرون ، وكان في هذه المدينة لما افتتحوها أكثر من مائة وخمسين مدرسة للقرآن
والحديث والفقه على المذاهب الاربعة واربع مدارس لطبع ومدرسة للمندسة
وما كانت جامع ولا مدرسة ولا رباط تخليو من مدرسة فائدة امامها ، يتعلم فيها
الفقراء واليتامى الدروس الاولية ، بحسب عرف تلك العصور ، دع ما كان من
عشرات منها في حلب والقدس وحماه وحمص وطرابلس وغيرها من المدن
الشامية . وكانت كلها تخرج الناس من الامية بحيث كان عدد المتعلمين من أهل
البلاد في ظلمة القرون الوسطى أكثر منهم في القرن العشرين لما غادرها الاتراك
وهكذا القول في مدارس العراق والجهاز واليمن ومصر وما إليها من
شمالي افريقيـة .

وكان في معظم هذه المدارس خزائن كتب وتكثر فيها عامّة المراافق
واسباب الراحة والتشويق للطلبة . كل ذلك اتى عليهـ الحراب ، واكل من
فسدت ضحائم او قافها واحبسها ، ودكوا معالماها فجعلوها دوراً او حوانـتـ
او اصطبات او خرائب محزنة ينبع اليوم في ربوعها ، وتشاهدون منها امثلة
كثيرة في جميع احياء دمشق وصالحيتها وسائر المدن الواقعـة بين صحراء
التبـه والفرات .

ولكن دمشق ، والذكاء مغروس في فطرة أهلها وهم من عناصر راقية تلهم البوقة العربية ، تداركت امرها بعد الحرب العالمية فانشأت لها الجماع العلمي العربي والجامعة الوردية دور المعلمين والمعلمات والمدارس النجميزية - حكومية وخصوصية - واستكثرت من المدارس الابتدائية في المدن والقرى فلحقت في سنتين قليلة ما تقدم غيرها الاستعداد له أعواماً طويلة .

بدأ - كان جبال الشام بالهجرة الى الامير كتفن منذ سنة ١٨٧٦ يطلبون الرزق ، فاختلطوا بالغربيين في ذهبهم وإيمهم وفي حلمهم وترحالمهم ، فكان من لا يعود منهم الى وطنه بمال يذكر يرجع الى أهله بما اقتبس من بساطة المدينة . وكثير بعد ذلك في تونس والجزائر ومصر والشام وغيرها من الامصار التي يتكلم أهلها بالعربية عدد السائرين والمتجرين والباحثين في الآثار وطبائع الامصار من أمم الغرب يزورون ما أبقته المدنities القديمة من العادات الدينية والمدنية ، ومنها ما تقدسه أمم الغرب لأنما موطن المسيح ومظهر عجائبه ومنها ما يدهش له الغربيون كآثار الفراعنة في مصر وكمصانع تدمر وبعلبك وجرش ووادي موسى في الشام وآثار قرطاجنة وغيرها في افريقيا .

وكان من أثر اختلاط الجزائريين والتونسيين والمصريين والشاميين بالغرب ومن أثر أخذ بعض أبناء هذه الأقطار بأساليب المدينة الجديدة أن دخل الاصلاح أيضاً على المدارس الدينية القديمة . فالأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس ليسا اليوم على حالة من الجمود الذي كان عليه من قبل ، لأن التنظيم الجديد دخل اليهما ما أمكن ، فتحسن حال التخرجين فيها أكثر من المدرستين العظيمتين اللتين عاثلتها في انشاء رجال الدين ، عنئت بهما مدرسة النجف الأشرف في العراق ، وجامع الفروين في فاس فانها ما برحنا على قديم حالتها لانفطان عليه كثيراً .

وعلى أثر هذا التمازج بين المدنities تم استبطان أدباء العرب أسرار مatum للغرب من التموض بآدابه . ومعظم الشعب فيه تعلم الناجحين بعض

اللغات الغربية ولا سيما الفرنسية والإنجليزية ، فخلعت الآداب العربية زوبها القديم البالي في عصور الانحطاط وتحلت بثوب جديد ، فتبين فيها بعض شعراء أعادوا إلى اللغة رونقها الذي كان في العصور المئنة الأولى للإسلام . واتخذوا للكتابة والخطابة نطاً جمع بين مئنة القديم ورثافة الحديث ، ودخل التأليف بالعربية اليوم في طور يأخذ بمجامع الآلاب ، فصح أن نقول : إن العربية في المئتين سنة الأخيرة ارتفت ارتفاعاً عظيماً لم تبلغه في عصر من عصورها . ولا نظن أنه كتب لغة من لغات الأرض مثله في هذه المدة القصيرة . فكان العرب أعادوا بذلك تقاليدم القديمة أيام فتوحاتهم في مائة سنة لأول أمرهم معظم العالم القديم ، ونشروا في ربوعها لسانهم ودينهم وأوضاعهم على مالم يسبق له مثيل في التاريخ .

وبقدر ما كان العرب سراعاً إلى الخير في أيام قوتهم أصبحوا إلى تباطؤ في أيام ضعفهم . مثال ذلك أن الغربيين بدأوا بطبع الكتب العربية في أول مطبعة أنشئت في مدينة فانو على بحر الادرياتيك سنة ١٥١٤ ومنذ ذلك العهد هم يحيون من أمهات كتبنا كل مفید . ونحن مع هذا لانبالي بما يصنع الغريب لنا ولا نصنعه لأنفسنا . ومضى أكثر من قرنين والغربيون يطبعون من كتبنا في إيطاليا ثم في هولاندا وغيرها حتى انتبهنا في القرن الماضي لصنع الحروف والطبع بها ، هذا بعد أن انشأت معظم الدول الأوروبية مطابع لها عربية وكانت بدأت منذ القرن الرابع عشر تنشيء مدارس في بلادها لتعليم اللغة العربية وتحرص على جمعخطوطاتنا حرصاً على أهم ذخر تقتبه ، ولذلك كانت خزائن العاصمة في الديار الأوروبية لا تخلو الواحدة منها من ألوف من الخطوطات العربية التي أخذوا أكثرها بالشراء الشرعي من خزائن الشرق بعد أن زهدت فيها وما عرفت لها قيمة أدبية ولا مادية . أما الغربيون وعلماء المشرقيات منهم خاصة ، فما فتنوا إلى الآت يطبعون النفائس النادرة من كتبنا بأمانة وتدقيق يخدمون بذلك العلم عامه والعرب والعربية خاصة .

ولم يكن من نتائج هذا الاحتلال بين المدنيتين الغربية والغربية إلا أن الناس أدركوا بعد زمن أن لا حياة لهم بغير العلم والصناعات على مثال الغربيين لكوني في عظيم شرفه وجزيل فائدته . فقد كان الناس قبل سبعين أو ثمانين سنة يساق أولادهم إلى الكتاتيب في البلاد الشامية بقوة الجند والدرك ، وكان التعليم على عم د محمد علي في الديار المصرية مكررها عند المصريين كرهاً شديداً حتى اضطرت الحكومة المهرية في بعض أدوارها الأولى أن تتخطف تلامذة المدارس من الطريق وأهلاه القرى كما يتخطفون عساكر الجيش ، فزاد اليوم إقبال المتعلمين على المدارس زيادة مستaggerة وغداً أهل كل قرية بل أهل كل قبيل في البوادي يحتالون إلى تعليم أبنائهم بكل حيلة . دع سكان المدن فانهم من ذلك على حصة موفورة .

هذا ما كان من أمر التعليم أما سائر مراقب الحياة فكانت أحط من ذلك أيضاً . فالطلب وأمور الصحة وتنظيم المدن و اختيار المياه الصالحة للشرب كان مما لا يؤبه له كثيراً ، ولذلك كانت الطواعين والأوبئة والأمراض الواحدة تحصد الناس حصداً كلما انتشرت ، والناس لا يعرفون دواماها ولا من يفكرون في تخفيف ويلاتها . ومنهم من يعزز ذلك إلى أسباب ساوية ، يغضب الديان على الإنسان فيرسل عليه هذه المخلقات ، أو يقوى سلطان الجن على الأنس فياخذهم أخذ عزيز مقتدر ، او يجعل بهم تكبد الطاعع فتساورهم النقم وتنحط عليهم النعم . ولذلك كان من الناس من يفزعون في مداواة أمراضهم وجنونهم وألامهم العصبية إلى المشايخ والرهبان ، وكان ل زيارات الأولياء وأديار القديسين نصيب وافر من الإقبال ، لا يجد بعض الناس ملحاً غيرها لمداواة عالمهم وأقسامهم ورقية شياطينهم وأبالستهم التي تلبسهم ولا تستهم ، فان كان في فرنسا « لورد » ففي بلاد العرب منها عشرات . أما اليوم فأهل المدن إلا قليلاً عرروا مسائل الصحة والوقاية وأصبحوا يتطهرون على الأصول ويتبعهم من أهل القرى الأقرب فالاقرب

من المدن ، وصار البدوي والحضري على السواء يعرفان قدر التطبيـ

في الجملة .

ويطول بنا مجال القول اذا أردنا تفصيل ما أخذنه العرب عن الأفرنج فقد تعلموا من أهل الغرب معنى الوطن والوطنية وحب الجنس والتقويم ونقلوا أوضاعه الاجتماعية والمدنية والسياسية كالمجالس التنابعية والحكومات الدستورية وأنخذلوا منهم أصول الصحافة فأنشأوا صحفاً وبجلات لغوى بالآمور السياسية والمالية والأدبية ، ومنها الهزلي والجدي ، ومنها ما يكون في موضوعات اختصاصية ، ومنها ما يصدر لتبليبة الشعب وتعميمه البساط على مثال ما عند الغربيين منها ، فأثرت مطالعـة الصحف في عقول من أكثرـوا تلاوتها ، ودخلـت الأفكار الجديدة أوساطـاً ما كان يخـن أنها تهمـها وتسـفيـدهـها ، وبدلتـ من طرقـ التـفكـير وأصـولـ المـعيشـ ونـظـامـ المـجـتمـعـاتـ ، وعلـمتـ النـاسـ شيئاًـ منـ التـارـيخـ وـالـجـغرـافـياـ وـالـاقـتصـادـ وـالـزرـاعـةـ وـحـالـةـ الـأـمـمـ وـبـاحـكـاتـ رـجـالـ السـيـاسـةـ وـغـيرـهـ فـيـ الـعـالـمـ وـاصـبحـتـ الصحـافـةـ حاجـةـ منـ حـاجـاتـ المـجـتمـعـ لاـ يـسـتفـغـيـ عـنـهاـ بـجاـلـ .

وبفضل الصحف السيارة والدوريات والكتب المؤلفة على الطراز الغربي ودورـسـ بـيوـتـ الـعـلـمـ وـموـاعـظـ الـمـعـابـدـ وـدورـ الغـنـاءـ وـالتـمـثـيلـ وـاسـطـوـانـاتـ الـحاـكـيـ وـإـذـاعـاتـ الرـادـيوـ أـصـبـحـتـ الفـصـحـ منـ الـأـلـفـاظـ الـعـرـبـةـ فـيـ الـأـنـ الناسـ وـعـلـىـ أـسـلـاتـ أـفـلامـهـ وـمـكـتـوبـاتـهـ كـأنـهـ مـنـ الـمـعـارـفـ . وـظـهـرـ فـيـ الـعـربـ رـجـالـ نـاهـوتـ فـيـ الـقـانـونـ وـالـادـارـةـ وـالـجـنـديـةـ وـالـطـبـ وـالـهـنـدـسـةـ وـالـزـرـاعـةـ وـالـكـيـمـيـاءـ وـالـجـمـاعـ وـالـاقـتصـادـ وـالـتـارـيخـ وـالـشـعـرـ وـالـكـنـابـةـ وـالـادـبـ وـالـتـصـوـيرـ وـالـموـسـيقـ وـالـنـعـتـ وـالـنـقـشـ وـالـطـيـارـاتـ ، وـمـنـهـمـ لـاـ يـقـلـ عـنـ أـرـقـيـ الطـبـقـاتـ أـمـثـالـهـمـ فـيـ الـغـربـ . وـعـرـفـ الـعـربـ أـنـ أـعـظـمـ سـبـبـ لـارـتقـاءـ الـعـلـمـ وـالـصـنـاعـاتـ فـيـ الـغـربـ هـوـ الـاخـتـصـاصـ فـأـنـجـذـلـواـ بـخـصـونـ فـيـ الـعـلـمـ وـيـتـقـنـونـهاـ اـقـنـانـاـ حـكـماـ عـلـىـ مـنـالـ مـنـ سـبـقـوهـمـ فـيـهاـ .

لـمـ مـرـاحـلـ الـتـعـلـيمـ وـبـاـ حدـثـ مـنـ طـرـقـ النـدـرـيـسـ الـعـمـلـيـةـ الـجـمـيـلةـ فـدـ

تعلموا أشياء كثيرة من ضروب العلم أصبعوا بها مفخرة بعدهم ، وما كان نسخاً لهم مما يجتمع لقى في الخامسة عشرة من عمره ، ولا بالاطفال من البنين والبنات يربون في رياض الاطفال هذه التربية العملية الصحيحة ولا يربات الرجال ينافن في التعليم العالي الرجال .

كل هذا أتنا من حسنات المدينة الغربية وقبلناه بقبول حن ، والغرب في معاناته ليس قدّعاً كثيراً على ما يظهر ، ذلك لأن العلم كما قال شارل ريشيه في كتاب العالم (من مجموعة أخلاق هذا الزمان) يسير إلى الإمام بسرعه تغير العقول ، ومع هذا لم يزد فتياً غض الاهاب وعلى ما كتب اطاليس وأرخيديس من النبوغ لم يعرف شيئاً مما يعلم اليوم في المدرسة الابتدائية ، وأجهل شاب حاز الشهادة الثانوية يحسن أموراً كثيرة كان جاليله يجعلها بالمرة ، ولم يمض من عهد فرنسيكليف إلى آشتين مائة وخمسون سنة كاملة ، ولم يكن يعرف علم مطمورات الأرض من النبات وغيره ولا علم الجرائم ولا الحaki ولا الضiran ولا السلك الحديدية ولا الحل الطيفي . فعمر الإنسانية العلمي لا يقدر له أكثر من مائة وخمسين سنة ، وهي أربعة أجيال نرى وأنتم ترى أن هذا العمر غير طويل اه .

أخذنا من الغرب طب الحيوان والدواجن ومكافحة الحشرات ، وكان الجراد وحده إذا انتشر في قطر يفقره ويقيقه ، واستعملنا الأسدية الكبارية والطرق الحديثة في الري وحرث الأرض وزرعها وحدد الغلات من الحقول وحملها ودرسها وتذريتها بأدوات ما كنا نعرفها . وهكذا استعملنا المكابس والمعاصر والمحاجج والغازل والمناسج وتعلمنا تمديد الخطوط الحديدية وفتح الانفاق وبناء الجسور والطرق والرافع والخزانات والمنائر وغرس الآبار الارتوازية واقامة الدور ذات الطبقات الكثيرة وتوليد الكهرباء وتمد أنسلاكها وانارة المدن والقرى بها وتسخير عجلاتها في الحوافر والغواصي واتخذنا أصول البريد الجديدة والبرق والهاتف واللاسلكي والمالك البحري والراديو . واقتبسنا منهم تنظيم المدن والبلديات وفتح الشوارع

والساحات ورصف الطرق وجر المياه في قواطع ومناهل وتحجيف المستنقعات . واقتربنا أصول الجندية والبحرية وتدوين الدواوين وأسلوب الجباية وإدارة المصارف والجمارك وأصول الشركات وتأليف الجماعات والمؤذنات وضع الأحصاءات والمفكرات والجزازات والإعلانات وجميع الأصول الحديثة ، وقلنا أكثر صناعات الغرب القريبة المأخذ فأنشأنا معمامل الأنسجة والأصواف والأجوان والجلود والاسمنت وحفظ النهار والبقوں وغير ذلك . كما أنشأنا مدارس على مثال مدارسهم ومستشفيات على صورة مستشفياتهم وقلنا لهم في الحسن والقبیح . وأنثروا فيما بدارسهم وجماعاتهم وأنديتهم ومعاملتهم ومحابيهم ، وشاركتناهم في الانتفاع بأكثر ما اخترعوه وكشفوه الا أنها وبالأسف حتى اليوم لم نز ابداً لعربي واحد معابر اخترع اختراعاً مفيدةً وكشف كشفاً جديداً ، يضاف الى مئات من المخترعات والمكتشفات التي كشفها علماء الغرب وبقينا عن علمهم بعزل وكان أجدادنا على مثالهم "اليوم يفكرون ويبحثون .

وجاء فيهم أمثال الكلندي وابن سينا وابن رشد والفارابي وابن زهر والرازي وابن جابر والبيروني وابن الهيثم وابن باجة وابن خلدون وابن الرومية والبناني وبنو موي بن ساكر وأبناء بختيشوع وأبناء ماسويه وابن جزلة وابن بونس والفرغاني وابن البيطار والخوارزمي والمدايني الى أمثالهم من نبغوا في العلوم المادية . ولا نذكر الا بعض من اشتهروا عند الغربيين منهم . أما علماء الشرع والاداب فأكثر من أن يحصوا أو أن يشار اليهم وفيهم من هو كأفضل الممتازين من علماء الغرب منذ انبعثت هضبة الاخيرة . وعلماء العرب هم الذين نقلوا علوم اليونان والفرس والامبراطور زرادشا عليها ويزدوا في أكثر مظاهرها وهم الذين عرفوا أوربا اللاتينية والإنكلاوسكسونية بالأداب اليونانية والفلسفة اليونانية ، ونشروا أنوار معارفهم في الغرب من أرض الاندلس وصقلية ، فثبتت جزيرة الاندلس نولت نقل الحضارة الى غرب أوربا ، وجزيرة صقلية نقلها الى اواسط أوربا . وفي بلرم عاصمة صقلية أنشأ العرب أول

مدرسة طيبة في العالم ، ولم ينشأ منها في الامم الاخرى الا بعد سنين
وكانت كتب العرب في الطب وفيرة تقرأ في جامعات الغرب بل عليها
المول مدة ستة عشر سنة .

نعم كان أجدادنا العرب كذلك في العلم والعمل على ما بخط ذلك
جنة من العلماء أمثال دوزي ودروري وسیديليو وابون وغونتيه وسنيوروس
ورنان وهواد وريون ودي كاستري وميجون ولافيں ورامبو . قالوا
ان العرب بزوا في علم الفلك لامهم امتازوا بالرياضيات واخترعوا أساس
حساب المثلثات . وقد كتبوا أول كتاب في الجبر وكشفوا الأفكار
فدونوا كل ما يفيد علم الجغرافيا وقالوا بـ^{كروية} الأرض ، واخترعوا
البارود وعمل ابرة السفينة ، وعلموا أوربا صنع الكتاب والورق ،
وعرفوا طريقة عمل الجلود الصناعي ، ولم يستندوا فيها كتابوه في
الميكانيكيات والسائلات والبصريات على مجرد النظر ، بل اعتمدوا على
المراقبة والامتحان بما كان لديهم من الآلات . وذلك ما هيأ لهم سبيلاً
ابتداع الكيمياء وقادهم لاختراع أدوات التصفية والتبيير ورفع الانتقال
ودعاهم الى استعمال الربع والاصطراك في علم الاهيئه ، واستخدام الموازنـة
في الكيمياء وصنع جداول للجاذبية النوعية وعلم الاهيئه . ورسوا خرائط
النجوم المنظورة في فلكهم وعرفوا حجم الارض بقياس درجة سطحها ،
وعينوا الكسوف والكسوف ووخلعوا للشمس والقمر جـداول صحيحة
وقدرـوا طول السنة وأدركـوا الاعتدالـين واستعملـوا أول الناس الساعـات
المـتنوعـة ولا سيـما الساعـة الرـفـاظـة وكـشفـوا أـجزـاء مـهمـة فيـ الكـيمـيـاـ، كالـحامـضـ
الـكـبـيرـيـتـيـكـ وـحـامـضـ النـتـرـيـكـ وـالـكـبـولـ فـاستـخدـمواـ الـكـيمـيـاـ فيـ الـعـاجـاتـ
الـطـيـةـ ، وـكـانـواـ أـولـ منـ نـشـرـ تـرـكـيبـ الـادـوـيـةـ وـالـمـسـتـخـضـرـاتـ الـمـعـدـيـةـ ،
وـقـرـرـواـ نـوـاـمـيـسـ سـقـوـطـ الـاجـامـ وـكـانـ لـهـ رـأـيـ جـلـيـ فيـ طـبـيـعـةـ الـجـاذـبـةـ
وـرـأـيـ سـدـيدـ فيـ الـقـوـاتـ الـمـيـكـانـيـكـيـةـ وـاـصـطـنـعـواـ فيـ نـقـلـ الـمـوـائـعـ وـمـوـازـنـتـهـ
الـجـداولـ الـاـولـىـ لـلـجـاذـبـةـ النـوـعـيـةـ ، وـأـصـلـحـواـ فيـ عـلـمـ الـبـصـرـيـاتـ خـطاـ
الـبـوـنـانـ بـكـونـ الشـعـاعـ يـصـدـرـ مـنـ الـعـيـنـ وـيـحـسـ الـمـرـئـ فـيـ ظـهـرـهـ ، فـقالـواـ

ان الشاعر من المرئي للعين ، وأخذوا ارتفاع القطب ودور كثرة الأرض المحيطة بالبر والبحر وحققوا طول البحر المتوسط الذي قدره بطليموس بائنتي عشرة درجة فأرجعوا الى أربع وخمسين درجة ، ثم الى اثنتين وأربعين درجة أي الى الصحيح من مقداره تقريرياً .

وعرفوا النشر ، والارتفاع ، فكانوا يدرسونه في مدار سهم ، واكتشفوا مرض النوم وكانتوا يتدرون في الاندلس الى معرفة الجرائم على ما يفهم ذلك من كتاب ابن خاتمة الاندلسي في الوباء ، واكتشفوا منابع النيل قبل أن يتصدى لها الافرنج ، ووصلوا الى أماكن من بحافل افريقيا ونشروا فيها دينهم ، قبل أن يبلغها الغربيون بقرون . وأدركوا أن في الارض أقطاراً لم تكشف قبل أن كشف كولبس وفاسكودي جاما ما كشأه من الارض بمعونة بحارة من العرب . وبالاستفادة بما كتبه علماؤهم في الجغرافيا والفلك والرياضيات .

وسبق العرب الى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة وبدرا في الاندلس بالطيران ، حاوله عباس بن فرناس حكيم الاندلس وهو أول من استبطن صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك الموسيقى ووضع الآلة المعروفة بالمقاييس لمعونة الاوقات ، ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها تنبلاً يخيل للناظر أنه حقيقة .

وعرف العرب الطبع بغير الحروف قبيل مخترعه جوتنبرج بأربعين سنة ، وهم الذين عرروا عنع الشمع والجوخ وعلموهم أهل أوروبا ، وما علموه في الزراعة والرى واستخراج المعادن المختلفة وكل ما ينفع التجارة من دور صناعة ومرافقه بجرية في كل أرض حلوها مثال من مدinetهم الباهرة . وإذا أردنا أن نحكي عليهم بآثارهم تكفي نظرة قليلاً على ماتركته الأيام منها في الاندلس ومراكبش وتونس ومصر والشام وغيرها وبها تتبين جمال ذوقهم في الفنون الجميلة وانهم أمة شعر وخيال كما انهم أمة علم وعمل .

كان يقرأ الفلك والرياضيات والعلوم الطبيعية في أوربا في كتب

العرب ، وظل فانون ابن سينا في الطب يقرأ في جامعات الغرب حتى
القرن التاسع عشر ، ولذلك نرى مئات من الالفاظ الطبية والفلكلورية والبحرية
وغيرها دخلت في لغات أوروبا ولا تزال برهاناً على مدينة أعطى فيها
القديسي الصعب بعض ماليك . وأفضل العرب على جامعة مونبليه وجامعة
بادو لاتنكر ، وكثير من كنائس فرنسا هندسها مهندسون من العرب
ولاسيما كنيسة نوتردام دي باري في باريس ، فإنه ثبت انه عمل فيها
مهندسو من العرب . وربما كان ربع اللغة الإسبانية من اصل عربي
وكان ذلك دخل مئات من الالفاظ العربية في البرتغالية والفرنسية والإيطالية
حتى ان لغات شمالي أوروبا نفسها قد دخلتها كثيرة من الالفاظ العربية ،
وأهم ما نشره العرب بين الأمم وما كان لهم به عمد على ما يقول
غوستاف لبون هو « التسامح » و « حسن الأخلاق » فدلوا بذلك على ان
الحافظة على الدين في الإنسان لاتنفعه من ان يتقبل كل فكر جديد نافع .
أرانا نكاد نخرج عن موضوعنا الذي رسينا في أول المخاضرة ، وهو
حظ العرب اليوم من اقتباس مدينة الغرب ، وما كان تعرضنا لما أخذته
الغرب عن العرب الا للتدليل ، والتفصيل في ذلك قد كتبته فيه كتب
مطولة في لغات العلم الحديث وكل من درسوا الحضارة العربية من
الغربيين يجمعون على الاعجاب بما أنتهى العرب بتجاربهم في الصناعات والطب
والكيمياء والأقربادين وفي تبلييد الأشجار والازهار وغير ذلك .

كان من أهم الدواعي في تراجع الحضارة العربية أن أعظم عظيم في
العرب كان يرى من الطبيعي أن يعمل بيده في صناعة من الصناعات
وأن يعني بزراعته ويعمل فيها بنفسه ، فلما ضعفت الأخلاق وانغرس روح
الإنكار في أهل الاجيال التالية وأخذوا يعتقدون أن الصناعات البدوية
ومذاهب المعاش الطبيعية لا تورث صاحبها شرفًا كما يورثه التجدد الذي
بنائه الرء في أعمال الحكم والقضاء والجندية سقطت حضارتهم وزاد فقر
أهلها وأصحابهم في هذا المعنى ما أصحاب الإسبان لما قضوا على العرب في
بلادهم ، ثم فتحت أمامهم أمريكا ، فكان المال يأتيهم بدون تعب ،

واستنكروا بما أصابهم من الغرور عن تعاطي الصناعات فأمسوا أقرانه في الغرب ، وربما عدم بعض الباحثين كالفيлизوفين الفرييد فولبيه وغودساف لبون من أخطاء الأمم الغربية ، وأنا أجسر وأقول إن مصر العربية اليوم أرقى من إسبانيا في كثير من مظاهرها .

اندلت سبورة رجال الدين المتعصبين في الإسلام بعد القرن الخامس من الميلاد بما كان لهم من النفوذ في قصور الملوك المستبددين الجماهير فضبت منافذ العقل على الباحثين ، فبدأ الانحطاط يتسلل إلى أوضاع الشعب العربية . والامة التي لا ترتقي تتراجع . وكان نسبه الترقي في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر عند أمم الغرب كانت على مقدار التدلي في كل شأني في البلاد العربية . ومن أم ماقذف بالأمة العربية من حالي كون من استولوا عليها كانوا من عناصر غير عربية ، اهتموا بدوام سلطانهم أكثر من اهتمامهم بالمحافظة على تراث العرب العظيم ، فأكلوا من ثراته وانتفعوا ببقياته ، فلما نضبت هلكوا واهلكوا من حكمهم .

علل بعض الباحثين في ان الملة في الانحطاط العرب كانت دينية ، والحقيقة أن الدين في سذاجته الأولى لم يخل دون العرب والأخذ بكل جديد في الفلسفة والفكر ، وما تسرب هذا الضعف إلا بما دخل على الدين من الأوهام فأخذ بعضهم يعبد ديناً وما هو به . مثل الطرق الصوفية التي أحملت النفوس وأخلت العقول . وهذه الارضاع هجت عليهم من الاعاجم والآريين من الهندوس ، فصاروا في بعض الاصقاع بفکرهم في الآخرة على الصورة التي صورتها لهم طرقهم أكثر من تقديرهم في أمور الدنيا التي لا تستقيم الا للعامل والباحث والمفكر ، وبالانphasis في هذه المعتقدات — التي يقضي عليها العلم والتربية الحديثة اليوم — زهدوا فيما عندهم وعند غيرهم من طرق النجاح وأحالوا مسائلهم على الالقدر وكان الاعتقاد بالقضاء والقدر على وجهه المعقول ، من موجبات ارتقائهم لأعلى عدهم ، وأصبح أيام ضعفهم من دواعي تخاذلهم وفشلهم .

مها قبل في سبورة الكنيسة في الغرب فرونّا طوبلة حتى تحررت الشعوب من سلطانها فانه كان منها أمر واحد لا مجال لشك في قائدته وأنغي النظام المشدد على رجالها حتى لقد حرمت الكنيسة عليهم الزواج وما كان في اهل الدين حرماً على رجال الدين حتى لا يدخل خلل في نظيق الانظمة المرعية ، وبهذا وجهت المهم الى مقصده واحد معين مما كان في سبيل تحقيقه من الماءعـ فهو من حيث النتائج نافع لأنـه يعلم الناسـ في الاعمال والذوبـ عليها ويلقـنـ الناسـ حـبـ النـظامـ والنـدـقيقـ ، وهذا ما حرمـ العربـ لأنـ لا رـهـبـانـيةـ في دـيـنـهـمـ ولـيـسـ لاـحدـ عـلـىـ اـحـدـ سـلـطـانـ الاـ ماـفـضـيـ بـهـ الشـرـعـ العـامـ .

اما ما قبل من ان المدنية هي ابنة الارض الباردة ، فلا يصدق الا الى حد معين ، ولو كان الامر كذلك ما قامت مدنية العرب قياماً بالباهر ، وهي من صنع عرب الجزيرة اولاً ، ثم من صنع من انضم الى لوائهم من الفرس وغيرهم من العناصر التي انصوت لهم ، واقتلت بالرفي معتقداتهم وأوضاعهم . بل لو صح ذلك لما قامت مدنية الفراعنة او المدنـياتـ القديـنةـ كلـهاـ فيـ قـطـرـ نـصـفـ سـنـةـ حرـارةـ وـريـاحـ سـهـومـ . لاـ جـرمـ انـناـ نـشـاهـدـ الـيـوـمـ فيـ الغـرـبـ اـهـلـ الشـهـالـ منـ كـلـ اـمـةـ أـرـقـىـ وـأـنـشـطـ منـ اـهـلـ الجـنـوبـ فيـ عـدـةـ اعتـبارـاتـ مـاـخـلـاـ الجـزـائـرـ الـبـرـيطـانـيـةـ الـيـ لـاـ يـكـادـ يـخـتـلـفـ شـمـالـهـاـ عـنـ جـنـوـبـهـاـ بـهـوـانـهـ وـسـيـانـهـ . وـلـكـنـ هـذـاـ النـظـرـ أـبـضاـ يـخـتـلـفـ ، وـيـنـخـلـفـ اـذـ درـسـنـاـ حـالـةـ رـقـيـ اليـابـانـ وـعـارـضـنـاـهاـ بـالـخـطـاطـ الطـارـيـهـ عـلـىـ الصـيـنـ ، وـلـوـ صـحـتـ نـظـرـيـةـ الـبـرـودـةـ وـالـحـارـرـةـ فيـ اـرـتـقاءـ الـاـمـمـ لـكـانـتـ سـيـرـيـاـ أـرـقـىـ منـ فـرـنـسـاـ وـأـمـانـيـاـ وـإـنـكـلـترـاـ ، وـلـوـ جـازـ أـنـ يـقـالـ اـنـ للـعـقـدـاتـ اـنـرـأـ ظـاهـرـاـ فيـ تـدـلـيـ الشـعـوبـ لـنـاقـضـنـاـ ماـ فيـ اـدـيـانـ الـبـرـاهـمـيـهـ وـالـبـرـوـذـيـنـ منـ اـشـيـاءـ ، وـقـدـ رـأـيـنـاـ فيـ تـارـيخـ مـنـ يـدـيـنـونـ بـهـ اـدـوارـاـ مـهـمـةـ منـ اـرـتقـاءـ لـاـ يـسـعـ مـنـصـفـ اـنـكـارـهـ .

المدنـيةـ الـعـرـبـيـةـ فيـ بـجـمـوعـهـاـ وـلـيـدـةـ الـبـحـثـ وـالـدـرـسـ وـالـنـظـامـ وـحـنـ الـادـارـةـ وـهـذـاـ مـاـ نـطـمـعـ بـهـ الشـعـوبـ الـعـرـبـيـةـ وـاخـذـتـ نـقـبـهـ وـتـنـمـيـهـ ، وـنـأـيـ عـلـىـ ذـلـكـ

يرون قريب اذا نظرنا الى الشعوب العربية التي خلت ولم تتمثل الحضارة كأهل البين والجهاز ونجده اذا قد وباهل مصر والشام وتونس الذين ملوا وتعلموا . وفي اليوم الذي يدخل العلم حراً طليقاً على عامة الشعوب العربية والمستعربة ترقى كلها الى الدرجة التي تتداول اليها من الاخذ بقطع وافر من المدنية ، ولا يكون حظها على الاقل في هذه السبيل اقل من حظ الشعب البلقانية ان لم نقل اكثر من حيث الاخلاق والتربية وصحة الفكر والتقدير .

(١)

في خدمة العربية

هل وفت العربية بعرضها

اذا تدبرنا ألفاظ الكتاب والسنة وألفاظ الشعراء والخطباء ، وأمعنا النظر في بنية الكلام العربي منظومه ومنتوره ، منذ كانت اللغة العربية لغة شعر وخطب الى أن غدت لغة شريعة وأدب الى أن درجت لسان علم وسياسة ، ثم نظرنا فيها أبانت عنه هذه الالفاظ ، وما ترکب منها من أغراض ساذجة أو مرکبة — اذا تدبرنا كل هذا يعرض لنا سؤال يستلزم جواباً ، وهو هل وفت العربية بما تقي به لغة عظيمة خــلال هذه الفرون الطويلة ، أم عصت على القيام بالفرض المطلوب لما تم لما عهد الجاهلية ، ويقدر بئنة وخمسين سنة وقد خرجت من جزيرة العرب الى الاقطار التي رحبت بالاسلام .

وعرفنا من سير هذه اللغة وسيرتها أنها كانت في جاهليتنا وعاليمنا سواء ، تؤدي المقاصد وتوفي على الغاية ، كانت كذلك وهي بعزل عن العالم ، وكذلك صارت لما عرفت لها معان اقتضتها وضع ألفاظ ومدلولات

(١) فيما يلي نوfrage من الخطب التي القيناها في جمع مؤاد الأول لغة العربية في القاهرة

واصطدمت يوم امتحنت بالاجانب ، وسرت اليها لوقات أغلاطهم وأساليبهم وفهمائهم ، كما مرت اليها طرق تفكيرهم والهجج بأساليبهم بالجدل والمناقشة العربية ما خارت قرائتها يوم أربيدت على نقل علوم اليونان والفرس وغيرهم ، بل زادت قوته عندما ضمت الى متنها كلامات وكلاماً ماعرفها ابداً ابن الجاهيلية ولا ابن الصدر الاول ، زفت كل ما دخل عليها وما انكرته فعاد كأنه أصل فيها غير دخيل عليها . وطريقها أن تشتق من أصلها ما استطاعت استقاقة فتضع له لفظاً يقارب ما تقصد اليه من معنى ، وما لم تجده له في بحثها الطامي مقابلة من الانفاظ تنبعه أو تشذبه حتى تقربه من ذوقها فإذا أعجبها كل أوائلها اقتبست اللفظ كله وان خالفت بعض حروفه حروفها ، وبعد بأسلوبه قليلاً من أسلوبها . وهذا من بعض الادلة على أنها مستعدة للتجدد غير جامدة ولا راكرة .

مضت اللغة على هذا النحو تقوى بانتشار العلم وتضعف بضعف أهلها والضعف ينالها من زهد أبنائها في العلوم والتجانف . إن دراسة الآداب دراسة تبحر . ولقد كاد يذهب من يشخص أعراض أمراضها زمان التراجع الى أنها من اللغات الميتة المحكوم عليها بالانقراض ، فلا تثبت ان تكذب ظنون اعدائها وتعود فتهب هبة جديدة ملؤها صحة ونشاط . ويرجع الفضل في ابلالها من اعتلالها ابداً لاحتفاظها بكتابها الكريم ثم لاستعمالها بآثار المجددين من بلغاء السلف .

قضت هذه اللغة في الاسلام نحو نصف حياتها في استعمال الاسجاع والجناسات فأوشكت ان تضيع رشاقتها بهذه البدعة في نسج كلامها ، وما زالت تهوي ففسد ملكتها وتخرج عن طبيعتها حتى قيس لها آخر القرن الماضي من نسلها من سقطتها وعاد بها سيرتها الأولى من ترك التكلف والرجوع الى الطبيع . ورحنا نشهد كتابتها أشبه بكتابه القرن الرابع ، وزرى شعراها ينبعون من احي شعرا ، الحضارة في العصر العباسي الأول والثاني ، ومن قرأ مقالة ما تنشره الصحف والمجلات أو فصلاً من تأليف حديث صدر من قلم رجل درس العربية دراسة نظامية او قصيدة من

فَصَانِدُ الْمُعَاصِرِينَ، يَدْرُكُ بِأَدْنِي تَأْمِلَ كَيْفَ أَخْذُ الْكِتَابَ وَالشِّعْرَاءَ يَحْسِنُونَ رَصْفَ الْكَلَامِ الْبَاعِيْغَ وَيَقْدِرُونَ الْأَلْفَاظَ بِقَدْرِ الْمَعْنَىِ، وَكَانُوا إِلَىْ عَهْدِ فَرِيقٍ يَحْصِفُونَ الْأَلْفَاظَ صَفَّاً لَا يَنْمِيْ عنْ ذُوقِهِ، وَيَكْثُرُونَ مِنَ الْمُتَرَاوِهِاتِ لِيَتَأْلِفُ مَعْهُمُ السُّجُونُ وَالْأَزْدِوَاجُ وَتَسْتَقِيمُ الْقَافِيَةُ وَالْوَزْنُ. أَيُّ أَنَّ الْمَعْنَى آتَتْ فِي النَّصْفِ الثَّانِيِّ مِنَ الْقَرْنِ الْآخِيْرِ وَرَأْسَ مَا هُمَا الْفَاظُ لَا يَعْرِفُ مَا لَكُوْهُا كَيْفَ يَتَعَرَّفُونَ فِيهَا. وَالْأَلْفَاظُ مَهَا تَنْوِيْقٌ فِي اِخْتِيَارِهِ لَا تَبُرُزُ فِي قَالِبٍ مَقْبُولٍ إِلَّا بِجُودَةِ التَّرْكِيبِ، فَالْبِلَاغَةُ فِي التَّرْكِيبِ وَالْفَصَاحَةُ فِي تَخْيِيرِ الْأَلْفَاظِ. وَهُمَا حَاوَلُ الْكَاتِبُ اِحْسَانُ الْقَوَالِبِ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَىِ التَّنَاهِيِّ إِذَا كَانَ الْمَعْنَى فِي ذَاهِنِهِ مِبْتَدَلاً، مَطْرُوفاً. وَالْمَعْنَى كَمَا قَالَ الْمَارِفُونَ صَوْغُ الْعُقْلِ وَالْفَظُ صَوْغُ الْلِّسَانِ.

وَحَاوَلَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بَعْضُ الْمُتَحَذِّلِقِينَ الَّذِينَ لَمْ يُعْنُوْنَا بِدِرْسِ أَدْبِ هَذِهِ الْلِّغَةِ أَنْ (يَفْرَنْجُوا) الْأَلْفَاظَهُمَا وَتَرَاكِيْبُهُمَا، فَعَمِدُوا إِلَىِ اسْتَعْمَلِ كُلِّ سَاقِطٍ مِنَ الْقُطُّ وَالْتَّرَاكِيبِ يَعْبُرُونَ عَنْ أَفْكَارٍ لَا تَسْتِيْفُهَا أَذْرَافُهَا، يَرِيدُونَ بِهِمْ ذَهَبَ الْبَدْعَةِ أَنْ يَسْتَرُوْنَا نَفْصُومُهُمْ بِدُعَوَاهُمْ أَنْ كَتَبَتْهُمْ عَصْرِيَّةُ، وَشَعْرُهُمْ عَصْرِيُّ، وَأَنْهُمْ يُحِبُّونَ الْلِّغَةَ إِلَىِ أَهْلِهَا بِهَذَا الْإِسْلَوبِ الَّذِي ادْعَوْا لَهُ الرِّشَاقَةَ وَمَا هُوَ إِلَّا السَّيَاجَةُ بَعْيَنِهِما، وَكَيْفَ لِعَمْرِيْ تَصْبِحُ دُعَوَامَ وَمَمْ مَادِرُسُوا أَدْبِ الْعَرَبِيِّ وَلَا أَدْبِ الْأَفْرَنْجِيِّ يَلْوُنُ مَا لَا يَحْصُلُ لَهُ، وَيَضْعُونُ جَمِلاً لَوْ سَأَلُوهُمْ تَفَسِّيرَهَا لَعْبَزُوا وَجَمِيعُهُمْ.

حَاوَلَتْ غَيْرَ مَرَةٍ أَنْ أَنْقَذَ إِلَىِ رُوحِ هَذَا الْأَدْبِ الْعَصْرِيِّ الَّذِي جَهَدَ
 رَأَيَ كَوْدُ عَلَيَّ
 الْبَنَا الْمَفْسُدُونَ فَلَا وَرْبَكَ مَا تَقْهِمُهُ وَلَا تَنْدُوْقُهُ، وَرَجَعَتْ بَعْدِ الغَنَاءِ
 قَهْ شَعْرُ الْمُعَاصِرِينَ
 شَحْوَرُهُنَّ الْأَوْزَانِ وَبِيْدِيْ شَعْرُ غَثَ بَارِدٌ تَجَرَّدُ عَنِ الشَّاعِرِيَّةِ وَخَرَجَ أَحْيَانًا عَنِ الْأَوْزَانِ
 خَالَ مِنْ كُلِّ جَزَالَةِ، مَعْقَدٌ غَامِضٌ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا عَمْنَ يَهْذِيِّ. هَذَا
 أَدْبُ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِي صَدَّعُوا بِهِ الرَّؤُوسَ، وَعَتَبُوا عَلَىِ دَهْرِمَ انْ
 كَانَ الْمَقْبُلُونَ عَلَيْهِ أَقْلَى مِنَ الْقَلِيلِ. وَلَقَدْ قَرَأْنَا أَدْبَ الْأَفْرَنْجَ فَأَعْجَبَنَا بِهِ
 وَاسْتَفَدْنَا مِنْهُ، وَقَرَأْنَا طَائِفَةً مِنْ أَدْبِ الْأَمْمَ الْأُخْرَىِ مُنْقُولًا إِلَىِ لِغَةِ

الافونج فهدينا به الى اشياء كثيرة ، اما هذا الادب العصري فهدرناه
عمرآ متبناها رأينا له بلة ولا طلاوة ، وحرنا وقد أزعجتنا دعوى
اذيعانه وصفهم في أي رف ندحه وفي أي كوة نده .

انهم يحاولون ان يأتونا بلغة يبتدعونها على هواهم ، ويرغمونها على
ان تشبعهم بأنما لغة عربية ، والفصحي يخالف روحها ذلك وبأنها ، العربية
تزدلي من يعقها ويزعم أنه بار بها ، العربية خلقت كما قال العلامة ونان
كاملة من أول نشأتها خلافاً لأكثر اللغات التي كان الأيام يد في تكميلها ،
نكيفها حاجة الناطقين بها ويعمل الزمن في تدميتها . وقد جرت اعتقاداً
منذ عرفت على نظام واحد وجاءت تامة بصيغها ومبانيها تتجدد .. وهي
التي تدخل عليها والالفاظ التي تستدعيها تلك المعاني .

وقد رأينا ادب العرب في الاندلس والغرب كأدبهم في فارس والشرف
للتقاوت بينها في القواعد والروابط والالفاظ والتراكيب الهم الا ان
كانت هناك مسحة أنت من بعض صور المعاني المنبعثة من عدم المؤلف
أو الكاتب او الشاعر ومصطلحات افلمية وعادات أهله . وهذا لات
المصادر التي يستقي منها أهل الحافظين واحدة وما حدثت نفس أحد ابنائه
اللغة ان يخرج عنها قيد أملة ، وأن يخرق اجماع العارفين الذي تسلل
أكثر من خمسة عشر قرناً . ولو لم تصب العربية بحقيقة التكليف والاسجام
ل كانت صور الاداء في القرون التي سبقت الاسلام كصورها في القرون
التالية الى يوم الناس هذا . كانت الالفاظ اذا لوحظ فيها الابتذال في
بعض العصور بضعف ملكة الادب يقوم أناس يرجعونها الى محاجتها المرسومة ،
ويجيرون من معالمها ما تعود به اشد رضاـانة ، ويبيعون من شواردها
ونصفها ما اماته الجهل وقلة العناية .

نعم كانت اللغة اذا مرضت جيناً من الزمن لاتثبت ان تبرأ بظهور
أمة من البلغاء يكتشفون اسرار فقها ، ويقومون مناد الالـن والاقلام
ويتوفرون على « التوسيع في علم اللغة خاصة » لتكثر الالفاظ عند « من
بطاب الترسـل وفرض الشعر وعمل الخطـب » ، « ولـيعرف العـلوـي من
الكلـام فـيـستـعملـهـ والـعاـمـيـ فـيـتـقـيهـ وـيـجـتـنبـهـ » .

و جاء عصر منع الفقهاء في بعض الأقطار العربية فرامة النصير زاده
ان بقراءة تفسير القرآن يموت السلطان وما يموت في الواقع إلا المهرج
وما حاول العابثون بذلك الا ابقاء الناس في عمالة والتزلف من السلاطين
ويستعمل على من لم يحفظ القرآن وينتدرج معانبه وينظر في احكامه
متزلة في البلاغة وعلوم الشرع ، وهذه العلوم لا يكتف بها من يحيى بن سعيد
من الكلام العربي ، وهل القرآن الا كتاب ادب العرب كما هو
شريعتهم ؟ وفرق بين فقه يدونه فقيه يكون على شيء من تصور
وفقه يكتتبه فقيه ليس من البلاغة على عرق ، وهكذا احتمل في
العلوم . ولو كتبت جميع علوم الاسلام بلغة بلغة ما انتهت به
الاعوام الطويلة .

وما خلد ما كتبه نصارى العرب وغيرهم من ادبائهم
ظهروا في عصر الاسلام الذهبي اي في القرآن الثالث والرابع من امجاد
الا لانهم كانوا يدرسون القرآن على انه المصدر الاول في احكام اللغة
العربية ، ولا نقل الا ببابي اسحق الصابي وحنين بن اسحق وبحببي ابن
عدي من كتبوا تأليفهم مؤمنين ببلاغة القرآن وان لم يؤذنوا به اياهم
المؤمنين من اهله .

وبعد أن دخل الفساد على اللغة اواخر القرن الأول للاختلاط بالأعجم
غدا أهل اللسان يتعلمون لسانهم في الكتب ، ويتخرجون بجهادة اسنانه
تخرجأً لمنابذة العامية والبقاء على الفصحي . ومن قعدت به الملة عن
اختيار الجيد من المفردات والجيد من المركبات فهو العي كل العي ،
وإن قضى أعوااماً في درس الصرف والنحو والبيان والبديع .

ما اللغة الا مفردات وقوالب لا دسائير وتعديلات ، وكم من حافظ
للقواعد عاجز عن البيان العجز كله ، وما ن الحال الجاحظ وابن المقفع حفظاً
من مطولات النحو ما حفظه بعض علماء النحو وما كان الأحمدان أحد
ابن يوسف الكاتب وأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية كان المتر
والعسكرى في معرفة الجنس وزخارف البديع ، وتقوا أن الباقي

والبعضى والمتى ما عرفوا علم العروض كما عرفه اقل العروضيين ، وان القافى على بن عبد العزيز وتلميذه عبد انقاير الجرجانى ابدعا ببيان ما لم يبدع بعضه من وضعوا قواعد هذا الفن . ولو حصر اهل البلاغة فربما في الحدود الضيقة التي حددها البيانيون لما اوضوا انفسهم ولا ارشوا الادب ، ولرجع هذا اللسان الفهرى فأجدب بعد احصاب ، وشجب بعد النفرة . لا جرم ان اللغة كانت تضعف اذا ظن الامنان عاليها ان حفظ القواعد وحدتها بما يقيها عوارض الاخلال .

كانت اللغة وافية بمحاجة اهالها اذا كان المتذبون انفذاية يقولون لهم على جانب من المحافظة على الرسم الذي وضعه البلغاء يجحدون جدهم في نسبة نورتها من الالفاظ والمعانى ، مراءين حالة جسمها وروحها ، وجدها الالفاظها وروحها معانها . واذا كان معظم اللغات الاوروبية يشتغل من اللاتينية واليونانية ما يعززه من الالفاظ الجديدة فان العربية تستقي من مادتها الثرة التي لا يكاد ينضب معينها على الدعم .

والى هذا ما كانت العربية لغة بدأوا حتى يوم كانت لا تعرف غير الجزيرة موطننا ، بل خصت على اختلاف الأزمان بدقة التصوير ووجاهة التعبير فبرزت لغة حضارة قبل أصناف المعانى ، بقدر ما يتسع له صدرها وتشتد اليه حاجتها . ولو كانت العربية لغة بادية جافية جاسية ما وقفتا في الم العلاقات السبع وغيرها من الشعر الجاهلي على أخيلة عجيبة ، وحكم بارعة ، ومعان لا تصدر الا عن مجتمع يتسامي ببلاغته ، ويُرْزَعُ هي بآدابه ، وفي معلقة زهير بن أبي سلمى مثال ظاهر يؤيد هذه الدعوى . وهل يتأتى أن يقول مثل هذا الشعر الا رجل شاهد ما شاهد فووصف ما وقعت عينه عليه وهذا ما يحدونا على أن نؤكد أنه لا عيب في اللغة بل العيب في الدارسين لتخلفهم عن اعطائهم استحقاقها من النعم ، كما يبذل طلاب اللغات الاجنبية جهداً فائضاً لازفانها . ورأينا في القديم أهل فارس وخوارزم يُرْزُون في تعلم آداب المرب حتى كادوا يبذرون أصحاب هذا اللسان

أنفسهم ، وجاء منهم بلغاء عز نظيرهم في العرب الافتتاح . وأنى التراث
بعد الفرس فكلاوا عنهم جهة مقتربين ، يصرخون مشائخهم أعمادهم في دراسة
العربية ولا يفصحون بها . وما عرفنا منهم على طول أيامهم وهي سباتة
سنة كابياً جزلاً ولا شاعراً فحلأ بلغة العرب ، على حين بعد بلغاء
الأعاجم بالثات ، والسبب في هذا النقص فساد طريقة التعليم عندم
على ما نظن .

وأكثر ما خلفه الترك من آثارهم بالعربية يدور على التفسير والفقه ،
والكلام والتاريخ والنحو والصرف والبيان وبعده لا يخلو من العجمة ،
ويوشك ألا يفهم الناظر فيه إلا بعناء وجهد . وكل من طالت عشرته
لكتبهم يدخل الضي على بيانه العربي ولو كان عرباً بحثاً . نعم كان
معظم من تعلموا العربية من قدماء الامراك لا يحسنون النطق بها ،
ولا يفرون على سبك جملة مقبولة خلافاً للأعاجم من علماء المشرقيات اليوم ،
فإن في وسع المتوسط من المستعربين منهم أن يكتب جملة مغمومة وينطق
بها على وجه الصحة ، وربما كان في فهم التصوص يمكن لا يقل عن أبناء
عدنان وقططان .

ولقد رأينا المندو والافغانيين يتقنون العربية ويكتبونها برشاقة تکاد
توازي رشاقة البلغاء من أبنائهم الحلص ويعترفون ضمئاً أن اللغة الاوردية
والافغانية ولغة الملدو لا تتسع لما يتسع له صدر العربية ، ولذلك كانوا
يعتمدون على اللسان العربي في التأليف ، وندر في الفرس من كتبوا
تأليفهم بالفارسية وكانتوا يفخرون بوضع تأليفهم بالعربية ، ولو لا أن
رثت في العالم نسمة القوميات في القرن الماضي فحاول أهل كل جنس
أن ينشروا لسان بلدكم عادين ذلك من الوطنية ، لرأيت الفرس والمندو
والافغان والامراك والجاوين والصينيين وغيرهم يكتبون إلى اليوم
تأليفهم بالعربية خصوصاً وبعض لغات الأعاجم ليست من الالسن المكتوبة
كالطاغستانية والجركية والسودانية والكردية والبربرية . ويحاول دعاة

فوبتها مع هذا أن بضعوا لها الآن معاجم وقواعد لتصبح لغة مكتوبة
كما هي لغة حكمة (٢).

ومنذ القرن الرابع قال أبو هلال العسكري : ولا نعرف اليوم عما
جاءهياً ولا اسلامياً الا وأهله عربون ومتعربون يكتبون باللفظ العربي
والخط العربي . وقال أبو الريحان البيروني : والهجو بالعربية أحب إِيَّاهُ
من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قوله من تأمل كتاب عِلم قد قيل
إِلَى الفارسي كيف ذهب رونقه وكشف باله واسود وجهه، وزال الانفاس
بِهِ إِذْ لَا تصلح هذه اللغة (أي الفارسية) الا الأخبار الشهرونية
والاسماء الإبلية . وقال في مناسبة أخرى : وإلى إشان العرب نقلت
العلوم من افطار العالم فازدادت وحلت في الأندية ، ومررت محاضن
اللغة فيها في الشرايين والأوردة .

روى حمزة الأصفهاني عن علماء الأزادردية اي الاحرار انهم الفروا
جميع لغات الأمم في الكمية على ما كانوا ناطقين بها ، وعلى الجبلة في
 بهذه النكوب لاتولد فيها الزيادات ، وانهم وجدوا العربية على الضد من
سائر لغات الامم لما يتولد فيها مرة بعد اخرى ، وان المولد لها قرائع
الشعراء الذين هم امراء الكلام بالضرورات التي تمر بهم في المضائق التي
يدفعون إليها عند حصر المعاني الكبيرة في بيوت ضيقة المساحة . فان
كان هؤلاء الاحرار يقصدون بقولهم هذا غمز اللغة العربية من طرف
خفي وبعدون من ضعفها ان يضع لها الشعراء الفاظاً جديدة فهو عند
العارفين كال لها ، ذلك لأن التوليد والاستفاق والتعريب في اللغة دليل
جيئها لا مونها وقوتها لا ضعفها .

والغالب أن أحرار فارس نسوا يوم رموا العربية بهذه السبة أن
لتهم في القرون الأولى للإسلام كانت جافة خلوها من اللفاظ العربية
فاضطرب نصها إلى أن فتحوا بابها على مصراعيه لقبول اللفاظ العربية

(١) راجع في كتاب « الإسلام والحضارة العربية » الفصل الذي عقدته لذكر
 مواطن العربية واثرها في اللغات الشرقية والغربية .

فأصبح القدر الذي دخل الفارسية من العربية أكثر من الألفاظ الفارسية الأصيلة فيها . وهكذا الحال في لغة الترك ولغة الاوردو والملابس وغيرها من لغات الشرق . فلا قبول هذه اللغات لو ما من الألفاظ العربية بها بعد نقصاً فيها ولا مرأة الدخيل والموارد الى افتنا بها يحب عليها . وقد قال أبو جبان التوحيدي ان اللغة جارية على التوسيع كما هي جارية على التضييق ومن نهاية التضييق فزع الى التجديد والتشديد ومن ناحية التوسيع جري على الافتخار والاختيار .

لاجرم أن العربية من أوسع اللغات وفيها من الخصائص التي يقل أن تشاركها فيها لغة شرقية ، وفي تعلمها تنافس المسلمين على تعلیم عناصرهم وعصرورهم مأخوذين بسحر القرآن على ما أخذ به بلغاء العرب العرباء .

الاستعمال محمد

لو حلفنا للعامة بكل محرجة من الإيان أن كلمة سيارة ودراجة وقاطرة وساحنة وسفينة أرق وأطف ودخل في موازين اللغة من أوتومبيل وبيسكليت ولو كوموتيف وفاغون ووابور ما استجابوا ولا صدقوا . ولو قلنا لهم أن لفظ برق وبريد وهاتف أرسقى من بوسطة وتلفراف وتلفون ، وجسر خير من كوبري ، ومستشفى من اسبتاليه أو خستخانه ومعمل أطف من فاوريقة أو فابريكة ، والشّوي أحسن من السلاملك والمثوى أفعى من بانسيون ، والحساء من شوربة ، والشطيرة من سندويتش والذرور من بودرة ، والجعة من بيرا ، وعقود من كنترات ، ويانصيب من لوريا ، ووقاد أحسن من عطشجي ، ومصرف من بنك ، ودار الندوة ودار الآثار ودار الكتب أحسن من بارلمان وانتكخانة وكتبغانه ما سمعوا ولا أزعروا .

وحينا انقلبتم في مصر وأنتم الى المتكلمين في مدنها وأرباها يتراوح الى أسماعكم نوزجات غير جملة من الأسماء التركية ، حتى لتسمع في بعض البيوت القديمة الى اليوم لفظة ابله ، انشته ، داده ، تيزه ، ثانا ،

فأصبح القدر الذي دخل الفارسية من العربية أكثر من الألفاظ الفارسية الاهمية فيها . ومكذا الحال في لغة الترك ولغة الاوردو والملابي وغيرها من لغات الشرق . فلا قبول هذه اللغات لو ما من الالفاظ العربية بما يهد نقصاً فيها ولا مرارة الدخيل والمولد الى لغتنا بما يحب عليها . وقد قال أبو حيان التوسيي ان اللغة جارية على التوسع كما هي جارية على النضيق ومن ناحية التضيق فزع الى التجديد والتثبيت ومن ناحية التوسع جري على الافتدار والاختيار .

لاجرم أن العربية من أوسع اللغات وفيها من الخصائص التي يقل أن تشاركها فيها لغة شرقية ، وفي تعلمها تنافس الملايين على ثبات عناصرهم وعصورهم مأخوذين بسحر القرآن على ما أخذ به بلغاء العرب العرب .

الاستعمال محكم

لو حللنا للعامة بكل محرجة من الآيات أن كلمة سيارة ودراجة وقاطرة وشاحنة وسفينة أرق وأطف ودخل في موازين اللغة من أوتومبيل وبيسكليت ولو كوموتيف وفاغون ووابور ما استجابوا ولا صدوا . ولو قلنا لهم أن فقط برق وبريد وهاتف أرشق من بوسطة وتلغراف وتلفون ، وجسر خير من كوبري ، ومستشفى من استباليه أو خستخانه ومعمل أطف من فاوريقة أو فابريكة ، والشتوي أحسن من السلاملك والمنوى أتفع من بانسيون ، والحساء من شوربة ، والشطيرة من سندويتش والذروه من بودرة ، والجعة من بيرا ، وعقود من كنتراتات ، وبانصيب من لوتريا ، ووقاد أحسن من عطشجي ، ومصرف من بنك ، ودار الندوة ودار الآثار ودار الكتب أحسن من بارلان وانتكخانه وكبخانه ما سمعوا ولا أزعوا .

وحينما انقلبت في مصر وأنتم الى المتكلمين في مدنها وأربايفها يتراوی الى أسماعكم غزوجات غير جملة من الأسماء التركية ، حتى لتسمع في بعض البيوت القديمة الى اليوم لفظة ابله ، انشته ، داده ، تيزه ، نانا ،

بابا، فرشه، طقم، طربه، بقجه، شنطه، شلن، بشمق، ظلمه،
ساده، بويها، بعها، ماشه، قولنق، كلام، تخته، خوجه، جزمه،
شادر، شاكوش، أرمان، بشاوره، بشكير، خرده إلى عشرات غيرها.

وفي الشارع تسمع كلمات طليانية ورومية وافرنسية وتركية فتream
بنولون في المطاعم مستاردا ، كومبوستو ، روستو ، فيتو ، فلتو ،
كونثيت ، اوبليت ، سبكيتي ، ترشي ، بلاو ، خولة ، بخني ، كفته ،
اوزي ، صلاطة ، صلصة ، جاتو ، فروتو وعشرات منها ، مقابل
في لقنا و هو أسهل وأسلس على النطق من اللفظ الأعجمي .

نسمع من أفواه المتمدنين والمتمدنات في الصباح والليل كالماء فانورة ، مابيفانورة ، فورمة ، مزورا ، موضة ، بروتسنر ، استقطو ، كابو ، مناورة ، بلاج ، كابين ، كابينه ، كاباريه ، بو فيه ، اوبرج ، كورنيش ، فرنيش ، مايو ، كلون ، كومينيزون ، شورت ، سبور ، لوكاندة ، اونيل ، اوسته ، فانتيزي ، ياقه ، باترون ، مارمتون ، جارسون ، بيتردوبيل ، روب ، روب دي شبر ، بيجاما ، جاكبيتة ، بالطو ، بطلون ، ساتين ، موساين ، اشارب ، ماتينه ، سواريه ، كريم ، بودرا ، درج ، مانوكور ، نواليت ، فيترین ، بانيو ، صالة ، صالون . ولهذه الألفاظ كلها ما يقابلها من العربية وقد يعرفها العامة دع الاخاصة ، ولا تخدنهم أنفسهم باستعمالها زكارة بهذه اللغة وكيدا لأهلها ، أو حتى يقال عنهم على الأقل أنهم متمدون ، والألفاظ الافرنجية أقرب الى أذواقهم من الألفاظ العربية وما شاء الله كان .

وليت شعري مني . يبطل في مصر ما تأصل فيها من الالفاظ التركية في الجيش والحياة العامة ورسخت في الانس والافلام وليس هناك من بنكريها مثل صول ، قول ، صاغ ، ييكباشي ، بوزباشي ، باشكائب ، باشمندس ، سواري ، بيادة ، طوبجي ، الى كثير غيرها ، وقد قيل أن الفاظ الجيش بحدتها تبلغ ألفي كلمة ، وكان بجمدنا عدد الى رصيفنا

العلامة الشيخ احمد الاسكندرى رحمه الله النظر مع خبير عسكري في وضع اسماء عربية تقابل تلك الاسماء التركية فوضعا ما وضعا لها من الالفاظ ، ولا همل كالم نعد نسمع خبراً عما تعبا في وضعه من المفردات ولا تعال مصر الى الآن مقصورة عن العراق والشام في تعریف الفاظ الجيش وكان المأمول ان تتوحد هذه المصطلحات في هذه الاقطاع النيلان .

مساكين علماء اللغة يكدون أذعانهم وينعيون عيونهم في البحث لايجاد كلمات لا يقبلها الجمهور الا اذا وافقت هواه واستهل النطق بها وعرض له عوارض تذكر بها في كل شارفة وبارقة . وال العامة على ما يظهر تحثار من الالفاظ ما يطرق سمعها بادى الرأي وتحفظه لاتحفظ غيره . وصعب اكرامها على استعمال الفاظ بعينها اذا رأت في مأثورها ما يجزي عن ويعبر عن حاجات النفس . وثقوا أن كلامي الجريدة والمجلة التي وضعها العلامة احمد فارس اتابه الله لو لم يكن أرباب الصحف انفسهم هم الذين دللا عليها ظلمانا الى اليوم نطلق اسم بولتين او رفو او مكازين على المجلة وجود نال او غازيتها على الصحيفة او الجريدة ، ومع هذا الانزال نسمع كثيرا من خاصتنا الى اليوم يقولون الجورنال ومن العامة من يقول جورنان باللون .

وضع هذا المجمع وجمع الشام ألفاظاً لسميات أفرنجية ولم تنشر كلها الانشار المطلوب لقلة العناية بطرق نشرها ، ولا أكتتمك أني يائس من شيوخ بعض ما وضناه لناطحات السحاب مذ قلنا (الصريح) ومذ اطلقا (الطزر) على البيت الصيفي و (المشعب) على السيفون و (الأردن) على البالوعة الواسعة و (المشن) على الدوش و (الوبيعة) على حظيرة الشجر حول الكرم والبساتان ، و (الوفيقية) على تلك الحرقه التي يبعها الكاتب قلمه من المداد و (الدرية) على بارفان و (المشوش) على السرفيت و (الهدل) على خدم القهوة أو الكارسوفات و (الابرج) على المخضرة و (العنابيات) على المكشطة .

وليت شعري كم يقتضي من الزمن حتى تنشر كلمة (المجددة) التي وضناها لنوت على نحو ما انتشرت الجزازة والاضمارة للاعراب عن فيش ودوبه ومثل ذلك قولوا في (الارض) التي وضعت للبساط العظيم الذي يفرش في الاجاء والردهات و (التحذيف) لتصنيف شعر المرأة وقص أطراقه و (النوار) (لفربيه) أي المصباح الكبير الذي يعلق في الشوارع والحدائق العامة و (المرصدة) التي وضعت لتلسكوب (ومصوات) بيكروفون و (الاجية) وهي الاجية للملاريا .

ويمكن فلا ينبغي لنا أن ن Yas من نشر ما يعنيانا من الألفاظ ، فقد حاولت أن أنشر بعض الفصيح المنسي منذ بدأت أكتب في الصحف فكنت أستعمل لفظة أو لفظتين في المقالة الواحدة أو الفصل الواحد فاصبح ما استعملته مأولاً بعض الشيء في البيئة التي عملت فيها ، وحصلت بها أنسة للقراء فلم تفر منها الأسماع . فلو كانت وسائط النشر أوسع لدى لصافت تلك الألفاظ من الرواج بالضرورة أكثر مما صادفت ، وبخاصة إذا بتناها بعض رجال الصحافة فإن منهم من عاونوا على إشاعة بعض الألفاظ حتى كدنا نعاشرها لكثرة ما رددوها في كل موطن مثل لفظ (أجل) و (نعمب) و (الميل والميلمان) .

نعم يجب أن يكون أحدثنا كالطبيب المداوي لا ينقطع عن معالجة برضه ولو كان الأمل في شفائه واحداً في الألف ، فص على أحد زملائي في المجمع العلمي العربي أنه كان في بعض العشایا ماراً في زفاف وكانت تلك الليلة من ليالي المرافع (الكارنفال) فسمع ولدين في نحو العاشرة من عمرهما يسأل أحدهما صاحبه أين كنت الآن قال كنت في القمع Bal masqué فدعش صاحبي من سريان هذه اللفظة الفصيحة إلى لسان الفتىين .

ومن الحزرم أن يعوّل على الفتیان والفتیات في تقبل الفصيح بلقائهم إله آساندتهم منذ عهد الكتاپیب الى آخر مراحل التعليم في الجامعات

حيى اذا غنكت من ألسنتهم انتشرت بحكم الطبيعة في العامة ومن قرب
من طبقاتهم وعندئذ يتعدى على العامية أن تقتل الفصحى .
ولابد أن يأتي يوم يكثر فيه استعمال ما نصبه أو يضله غيرنا من الفصحى،
ويقضي على الاسماء الاعجمية ، ويجب على كل حال أن نذكر المخطوات
الناجحة التي خططناها منذ خرين سنة لاحلال الفصحى محل العامية المتلونة
كل عهد بلون .

لا جرم أننا مقصرون في الدعاية لما نضع من اللفاظ ، ومن هذا
التقاضى ما يمكن تلافيه ، ومنه ما دعت إليه أسباب قاهرة . فقد حالت
الحرب دون نشر مجلتنا وهي أداتنا الوحيدة في الإعلان عن بضاختنا ،
فما طُبّقت قاعدتنا في نشر اللفاظ التي نحاول احياءها أو استفاقها من
أصوافها ، وقاعدتنا هذه لا تصبح اللفظة الجديدة معمولاً بها إلا إذا
أنى على نشرها في المجلة حول كامل ولم يرد اعتراض عليها . ولذلك
يكون يوم عودة مجلة المجمع إلى الصدور من الأعياد السعيدة ، وعاصه
يطرد ارسالها هذه المررة إلى القاصية والدائنة تتناولها أيدي عشاق العربية
في الآفاق . نحن في حاجة لدعائية واسعة النطاق لما نحييه من المفردات
ونقرره من القواعد لتسهيل اللغة . نحتاج إلى نشر ما نضع في الصحف
والمجلات وفي نشرات ورسائل نوزعها على من ينتفع بها بالمجان في أوقات
معينة لاخذ بها وإذا استطعنا ان نقنع الحكومات بتعاونتها في هذا
الشأن يزيد ما نريد نشره في الناس انتشاراً كثيراً ، وبقليل من العناية
يمكن الاستغناء عن مئات من الاسماء الاعجمية وذلك بأن تصع عزيمة
الحكومات على حل الفنادق والمقاهي والحانات مثلاً على استعمال الفاظ
عربية فتحظر على أصحابها استعمال اللفاظ الافرنجية بتاتاً . وما أظن
ما نسمعه في كل يوم في المقاهي مثل (اوناسكينتو) و (اونافاريليكى)
و (اونامتربو) الى غير ذلك من الاسماء يرضى الناطقون به ان ينادي
به مناد بالعربية في مقاهي بلادهم وحاناتها وفنادقها . هذا ونحن نرى التهاري

البلدية تنادي على هذه المشروّبات بالفاظ عربية منقاء جميلة تسمع غرذجات منها في مقامي سيدنا الحسين وغيرها من مقاصف الاحياء .

ولو ان حكومة مصر ازوت هذا المجتمع على بث الصحيح لما انقضت سنة الا واكثر الالفاظ الاعجمية تجيء من الميدان ويطويها الفسوان فلا يعنى عليها الا في معاجم لغاتها وتحل محلها الالفاظ العربية في قطر هو عربي خالص منذ ثلاثة عشر قرناً .

اما ان ترك ما تعنتنا في وضعه للطبيعة تنشره او تغمره فنطبع من بحثنا بضعة ألف ونوزع منها مئات ونخزن الباقى في المستودعات يا كلها الفار ويسودها الغبار فهذا تقصير أخى أن يكون داخلاً في نقص القادرين على التمام .

اما ولم يبق أمامنا الآن عائق يعوقنا عن اقام عملنا فواجبنا ان ننشط وندخل بعض التعديل في أساليبنا والזמן يدعونا الى ذلك ، فقد كان ابن القرن الماضي يكتفى بحفظ الفين او ثلاثة آلاف كلام يقلبها في وجوه استعمالاته ، وابن هذا العصر يحتاج الى استظهار الوف من الالفاظ ما كانت تخطر ببال ابناء الاجيال السابقة ، فالمصلحة اذا في نشر أكبر عدد يمكن من الالفاظنا العربية والموضوعة وآخر ارجها في معجم صغير يكبر مع الزمن ثم يجعل منه ما يفي بحاجة المبتدى والمتوسط والمتقد .

يشتد عوز الامة العربية الى نشر معجم صغير قبل كل شيء . وهنا أبيه نفسي من تمة أدبية همس بعضهم بها وهي أني كنت من جلة الرافضين نشر معجم رصيفنا العلامة فيشر . أنا لم أرتكب هذا الجرم وإنما قلت يومئذ انه كتاب ينفع خاصة المشتغلين باللغة فهو (الدوكس) ونحن نطالع أولاً الى البسيط العادي واني أفضل الامم على المهم ، والامم نشر معجم الجمع الذي طال الوعد باصداره ، واني لا قصد لي الا فصدقكم ولن أحيد عن خطركم ، والمصلحة في الامر اعترض أعمالنا على العالم ، والزمن لا يتحمل التسويف وعصرنا عصر السرعة والمقاجآت ، وعملنا لا يكله النجاح الا بالدعایة بكل أسلوبها على ما تجري عليه كل دعاية سياسية ودينية ، والله المادي الى ما فيه خير اللغة العربية .

من عوالم المجمعين

رأيت ألا ينفرط عقد هذا الحفل الكريم قبل أن أحذركم حديثاً
يهم له من يحرص على سلامة العربية ويسر لانتشارها ووفائها بأغراض
أمة متحضرة .

آتكم بثالث ما يعمل أعضاء مجمع فؤاد الأول لغة العربية لا أقصد
به الذود عن قصور قد ارتكبناه ، ولا أن أباهاي بما تم على أيدينا . وما
أشار إليه الاستاذ الرئيس والاستاذ أمين السر يجزئ في هذا الباب .
وأريد أن أقرر فقط أن عمل المجمع لا ينتهي في عقود قليلة من السنين
لأنه عمل شاق طويل . وكما يحتاج تحسين العلم إلى أعوام يقتضي للانتاج
فيه أعواماً وأعواماً . وتجويذه كل عمل موقوف على أمور كثيرة وقد
يعرف صاحب العمل نواصيه أكثر من غيره .

المجالس في العادة تتفاوض في المعاني ونحن معاشر المجمعين أو الغوين
قضت علينا صناعتنا أن ننصر مناقشاتنا في الألفاظ ، والسعيد منا من
يأتي بكلمات تستيفها الأذواق جائعاً ، وتدخل في الكتب المدرسية من
يسير سبيل نصل إلى عقول الناشئة ، وكل لفظ تسارع الصحف إلى تبنيه
يكتب له الرواج ، وعمل الجمع محدود المهمة في نحت الألفاظ ، وعليه
ترك البناء للمهندسين والبنائين ، ولسان حال كل واحد منا (على نحت
القوافي في معادنها) فنحن إذا نحاتون لا بناؤون نستخرج من الانفاس
أو المقالع ما يحسن استخدامه في البنية الجديدة ، أعنان الله على ما نلقى
من عنق وتعب .

لاترون رصيفاً من رصفائي يدخله اليأس من الظفر بطلبيته منها سقت
الشفة لمبلغ المقصد ، بل تشهدونه مغتبطاً مسروراً بما يرجو أن يقع
عليه في مناجم اللغة وركازها . ونحن بعد ذلك إذا وفقنا إلى تحقيق
جزء صغير من أمانينا في بث الفصيح ونبذ العامي والاعتجمي عددنا أنفسنا
محترعين ولكن لا من عبار مخترع الراديو والراديوم مثلًا .

فالواحد منا اذا تعلقت همه باججاد كلمة تقابل الكلمة الافرنجية الشائعة في لغات العلم على عهدها ولم يوفق الى ايجادها يندب سوء حظه ويفس حيران (وقوف شجاع ضاع في الترب خانق) واذا غتر على لفظ ظنه موافقاً لنفرضه في أداء المعنى الذي يريد أن يقابل به ذلك بفرح ولا فرحة الحب بلقاء حبيبه وقد طال افتراقها . وأجل ساعات الجموع ساعة ينشاش فيها أعضاؤه في وضع كلمة ، ويتعجب بأصوات الموالين والمعارضين وكل واحد يتصدى للادلاء برأيه بما يستخرج من محفوظه من الآيات . ومع ما يلاقي المجمعيون من العناوين في تحقيق غرضهم الشريف يعرض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ويهزأ بعلمهم كل من يريد له ان يتسلل ، والكل بطابلونه بالكمال المطلق ، كأن أعمال المجمع كلها كملت ولم يبق منها ناقص الجهاز الا هذا المجمع الحديث .

ويحـ المـجمـعـ كـمـ لـقـيـ مـنـ سـخـرـيـةـ بـعـضـ الصـحـفـ الـيـ مـاـنـعـفـتـ عـنـ آنـ تـغـزـهـ الـفـيـنـيـةـ بـعـدـ الـفـيـنـيـةـ لـتـضـحـكـ قـرـاءـهـ ، وـقـدـيـماـ كـانـتـ الـجـامـعـ الـعـلـمـيـةـ مـوـضـوـعـ دـعـابـةـ لـأـيـذـرـهـاـ عـلـىـ بـطـئـهـ فـيـ اـخـرـاجـ أـعـمـاـلـهـ الـرـاسـخـونـ فـيـ الـعـلـمـ بـمـ صـفـتـ نـفـوسـهـمـ عـنـ الـأـغـرـاضـ وـحـبـ الـأـنـصـافـ الـيـهـ .

وـغـفـرـ اللـهـ يـيـ بـقـدـرـ مـاـدـافـعـتـ عـنـ الـجـمـعـ فـيـ مـصـرـ وـالـشـامـ لـنـبـرـتـهـ مـنـ النـهـمـ الـتـيـ الصـقـوـهـ بـهـ ظـلـاماـ وـنـسـبـوـاـ إـلـيـهـ وـضـعـ لـفـظـ (ـ الشـاطـرـ وـالـشـطـورـ وـالـكـامـنـ بـيـنـهـاـ)ـ لـكـلـمـةـ سـنـدـوـيـشـ .ـ وـأـعـتـرـفـ أـنـيـ مـاـشـكـنـتـ مـنـ اـقـنـاعـ مـتـفـتـ لـاـنـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ الـمـلـصـقـةـ بـالـجـمـعـ هـيـ عـنـدـهـمـ مـنـ الـاـدـلـةـ عـلـىـ عـدـمـ مـعـرـفـتـهـ اوـ عـلـىـ الـأـقـلـ عـلـىـ قـلـةـ ذـوقـهـ .ـ وـمـاـ زـالـتـ النـهـمـ بـجـاهـاـ حـتـىـ شـهـدـهـاـ تـسـلـلـ مـنـ الصـحـفـ إـلـىـ الـكـتـبـ ،ـ لـنـثـيـرـ دـعـوـاـمـ عـلـىـ عـدـمـ اـضـطـلـاعـ الـجـمـعـ بـهـ وـسـدـ إـلـيـهـ .ـ وـكـلـ مـنـ أـحـبـ أـنـ يـتـنـدـرـ إـلـيـهـ يـغـمـزـنـاـ غـمـزةـ خـفـيـفةـ لـبـذـكـرـنـاـ حـفـظـهـ اللـهـ بـهـ اـرـتـكـبـنـاـ مـنـ اـثـمـ بـوـضـعـ هـذـهـ الـفـظـةـ (ـ الـوـحـشـ)ـ وـالـلـهـ يـتـوبـ عـلـىـ الـعـاصـيـ اـذـاـ تـابـ ،ـ اـمـاـ بـعـضـ الـآـدـمـيـنـ فـقـلـ اـنـ يـتـسـاحـوـاـ بـهـفـوةـ يـهـوـمـاـ اـنـسانـ وـهـ يـتـغـانـمـونـ عـنـ جـمـاعـ حـسـانـهـ .ـ وـغـيرـ نـكـيرـ اـنـ بـعـضـ الـلـفـوـيـنـ قـدـ لـاـيـرـاعـونـ الـمـقـامـ فـيـ اـسـتـهـالـ الـفـاظـ

استظهوها يفرضونا على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر . وأذكر أن أحد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية أسبوعية حشاما بكل ما في معاجم اللغة من عواصيم الألسن . وكانت يومئذ آخذة الأدب عن الشايغ فدفعت العدد الأول منها لأسدي وكان اماماً في اللغة فقال لي : هذه الجريدة لاتفهم بغير شرح ونحو لنا فصدعك بالأمر . واتفق أن كانت هوامش الجريدة منسعة وواسعة بها على شرح الكلمات اللغوية حتى أصبحت صفحات تلك الصحيفة تشبه وشرحها مثلاً من كتب الأزهر بين الصفراء اختلط رأسها بذنبها وابتزعن حواشيا الأربع بنصها وفصها . حقيقة أن مجرد الجريدة الزراعية لم يبرأه فائقة في اللغة ولكن كم كان ياترى عدد من فهموا من أهل القلب ما خطته يمينه وأملته فرجحته .

وأذكر أن أحد المستقلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتي فيه بالفاظ الزمخشري وابن منظور والفيروزبادي . ولفت نظره إلى عقم طريقة في وضع الفاظ أمام أطفال لا يفهمها أكثر أبناءهم ففضض . والغالب أن معظم الغوريين يحاولون لأول أمرهم أن يسيروا على طريقة العلامة الشنقيطي أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات ، ثقبة كانت أم خفيفة ، ساغت في ذوق سامها وقارئها أم لم تسغ .

وأغرب من كل أوائلك أن يومي علماء اللغة بضعف العقل حتى نفذ قال رنان : كان البحث في أصول اللغة ولا يزال عندنا سبباً من أسباب ضعف العقل حقيقة ، وأرى أن من الحق بكل عظيم ما قاله أحد مشاهير علماء الامراض المقلية لعهدنا ، ان الأسباب الثلاثة التي دعت الى جنون كثير من الناس و كانوا من قبل من أرباب المدارك ، البحث في أصول اللغة والمعنى والعمق في اللافهوت (البيولوجيا) أجارنا الله وإياكم من كل ضعف ولا سبباً ضعف العقل .

والآن ننتقل بكم الى الحديث المفوسي . في علمكم أيدكم الله أن الفاد عرض لألسنة العرب بعد الفتح بقليل لمحاورة العجم ومداخلتهم . وكان هذا الفاد يزيد وينقص بقدر بعد العرب وفريهم من الجزيرة ، وقد سلمت اللغة الفصحي في بعض الأرجاء الى ما بعد القرن السادس من المجرة كما كان من شأن بعض قبائل اليمن لأنها كانت تعيش في أوديتها وجبالها بعيدة عن الامم العجم . واحتفظ أهل الشام بكثير من الفصيح لأنعزال بعض سكانها في أقاليم يكاد يكون الانصال بينها معدوماً . وما كان الناس في القديم يرحلون كما نرحل ويسعون كما نسبح بهذه الكثرة ، ولا يتازجون بجبرانهم وغير جبرانهم هذا التمازج ، ورأينا الشام تكتئر فيها الالفاظ السريانية كما تكتئر الالفاظ النبطية والفارسية في العراق والقبطية في مصر . وبقيت في الشام ومصر والعراق والحبشة في الشام سريانية والفاظ المدنية فارسية صقلتها الألسن فعاد أكثرها كانه عربي الأصل ودخلت في معاجمنا وأصبحنا لا نعرف غيرها .

فمن الالفاظ النبطية أو السريانية أي الآرامية الباقي في لهجة غوطة دمشق (شتل الغراس) أي غرسها ومنها (المشتبة) أي المغرسة او المستنبت و (دلal الغراس) غرسها بعيداً بعضها عن بعض و (الدليل) من الزروع ما كان بعضه بعيداً عن بعض ومنه (الشرش) الجذر ويقولون شرش أزال الشرش من الارض (قلم الشجرة وقلبتها) قطعها و (شفاها) قطع شفاتها أي أطرافها (جم الكرم) قطع بعض أغصانه (شور) الشجرة ركك التراب حولها وفي الفصيح شور لوح بشيء وهي مستعملة عندم أيضاً (عرم التراب) كومة وكدسه (الطربون) رأس الفصن او القضيب المورق (كوشن الزرع) او الحنطة جمعها (شكاره القمح) مقدار ما يزرع في قطعة ارض (تخ الخشب) او الحطب او تخخ يبس وجف وتهراً (الساروط) الاخدود الذي تحدنه المياه في

الارض لشدة جريانها ولم منه فعل فيقولون (سورطت) الارض اي حدث فيها أخاذيد (ججه الضوء) لاح (الشوب) الحرو (طرش الثوب) وسخه .

وأخذوا من الفارسية الجذة والدهليز والدولاب والزنبيل او الزبيل والختيان والابريق الدورق والكاس والكشكوك القمعن والجلام والفنجان والزنبرك والمارون والبركار والصنج والدف والناعي والكمبعة والبرواز والخرج والكمر (منطقة من الشعر) والهميان . والتخت في الاصل وعاء تصان فيه الثياب وفي الاصطلاح مقعد كبير من الخشب . والبشتختابة من بشتختة خزانة تحمل امام القاعد لحفظ الاوراق والاختون والخاقان والدروش والاستاذ والبلور والياسين والنسرین والترجرس والأذريون والشوندر والجلنار والخضراءات والريباس والموبياء والكمك والطاجن والتازج يقولون تازة بحسب اصلها و (الجلاب) ماء الورد ومن كل آب لصنف من المشمش حرفوه فقالوا الكلابي والسميد والخشكار الطحين الحشن ، والجوست والميزاب والخنجر والصابون والاشنان والخلحال والخمار والزركش والسرداب والسراي = السرايا ، والدابة القابلة والديدبان المرس والغوغاء الجلبة وكثرة الاصوات والستجواب والهزاز والسدبان والمدار والغار والهلبون والفهرست والدستور والفرمان والخان معناها الدكان والحانوت والابوان والميدان والانبار والاخور والكرخ والمطاط والخردة والدستة .

وأخذوا من الرومية السمت والصراط والفرطاس والبطاقة والخارطة والاطلس والترمس والطربون والابرشية والابريز والاريكة وأساطير الاسطرلاب والاسطول والاسقف والماس والانديق والقيانوس واليقونة والبرج والفانوس والبطريوك والبلغم والترباقي والجغرافية والدرهم والازمبل والسفطة والطقس والفندق والإقليم والكرة والقصدير والقيراط . وفي اللغة الدارجة في مصر والشام كثير من الالفاظ اللاتينية والبطالية مثل اسكلة وانفلونزا وبابور وبارة وبالة وبالو وبنتية وبترول

ويزون وبرطاش وبرميل وبرنيطة وبسبور وبطارية وبنادوره وبيرا
وباتزو وليموناده وجرنال وجندمة وملاريا وجنزال ودوطة ودينار ولوكندة
ورصيد وسطل وصابوت وطاولة وطلبة وفاتورة ومسطرة وفاصوليا
ورينيش وفقية وقنطار وقرصان وفوماندات وكولونيل وكبسول
وكبون وكرتون وكرتينا وكروسة وكميالة وكسيو ومن التركيبة اسماء
القول والماكل مثل البقدونس ودره اوتي (حشيشة الودي) واسباناخ
حرفها بسبانخ ، والقاورمة اللحم المحف و الشاورمة اللحم المشوى بالنار
والباصرمه اللحم المحف بالشمس والدندرمة او الجلاس وباباق الورق
وبورك ويخني وتربي وكمك قطايفي وامام نايلدي وخنة وجركس طارقى
(الدبك الرومي) وشوال كيس وبazar السوق والقلالق من قشلاق
اي المشتى وكل اسم انتهى بخانه او جي مثل جبخانه او كرخانة وخسته
ودوه جي وبازجي وخانجي الخ .

هذا مثال من الانفاظ الدخلية اما الفصيح الباق في الالسن على
ما كان العرب يستعملونه فهو كثير وقد عرض البعض قليلا من التحريف .
فمن فصيحيهم قولهم في زجر الغنم وغيرها من البهائم اذا أبعدت وطردت
حای حای وحای حای وحاین حاین ويقال هذا اذا دعيت وأريد قربها
ودونها . وهكذا ينادون على غنمهم ومعيذهم وابقارهم وحميرهم ويقولون
ابضا من لزجر الغنم و فقط زجر للفرس وتتخ تبخ زجر للدجاج وسوق
مت زجر للثور وعائى لزجر الحروف والفنم والنخ قولك للبعير اخ اخ
ليرك نختنه فتحتنه . والفرمثة صوت الحبز المقرر وفي الاصل صوت
الجوز وقرقرت الدجاجة صوت ودن الذباب صوت وطن ونقت الضفدع
والدندنة ان يتكلم الرجل بالكلام تسمع نعمته ولا تفهم يقولون سمعته
بدندن أي ينغم بجيت لا يفهم معناه . فلان ينود ويرفع صوته بالشكوى
من ناد ينود تحرك ومنه نودان اليهود في مدراسهم أي تحريك رؤوسهم
وأكلنافهم في بيت عبادتهم . وعندهم الزياط واللطف والخشنة والمحنة
(صوت الفرس دون الصهل) والنشنة صوت المقل والزفقة والوقفة

والقرفة (الضحك العالي حرفوها ف قالوا كركبة) والبقبقة والغرغرة والولولة والرجحة والخرخة والوشونة والثرثرة والفالفة والتائفة .

ومن فصيحهم (البغيرات) جمع بحيرة وهي ما انخفض من الأرض وعندم أرض تسمى البحرات (الحسي) سهل من الأرض يستنقع به الماء وعندم مستنقع يسمى الحسي (بالنصفي) ومنهم من يلفظه بالصاد . (الحير) البستان أو مجتمع الماء والمكان المطمئن وكما تصدق على أرض في الفوطة تجمع هذه الصفات (الزور) الأرض البعيدة من الأرض الزراعية والاجهة ذات الخفاء والقصب والماء وهم يطلقونها على حرم نهر بودي وبضمون زاها كما يطلقها المحبوبون على حرم نهر العاصي .

ومن فصيحهم (الضيعة) (القرية) (الغيضة) (الروضة) (المرج) (الجنينة) (الحاكورة) (المزحة) بالتحريك مجتمع الشجر المتناثر حرج وحراج يقولون حرش وأحراش . ومنه حرث الأرض وعمرها وخربيتها وخربتها وقلبتها وكربتها وحفرها وسحابها وعزقها ونبشها ونبتها . ويقولون أنا حاده اي ارضي او داري في حدود ارضه وداره .

وفلان (زليقي ولزيقي اي بجنبي) ومنه (القلاع) المدر يقتلع من الأرض يرمي بها (الكدرة) القلاعة الضخمة (الكذان) (البلاط) (الرخام) ومنه (العدان) بالكسر والتثديد وهم يفتحون عينه ومعناه الزمان يطلقونه على اعطاء كل صاحب حق قسطه من الماء وعدنه تعدينأ .

(أطعم الفصن) وصل به غصناً من غير شبره كطعمه (هاف الزرع) ذبل وذوى (أسبل الزرع) (أفرك الحب) (أقمح السنبل) (الباحور) شدة الحر في الصيف (الشهالة) الحزمة من الحنطة وهي طرية (أطعمت الشجرة) أدرك ثرها (أصافت) صار لها صبغ . (نطف الحور) طلع من مكان آخر (النسبة) بفتح النون ما ينصب في الحقل من الغراس (السطمة) ما يغرس من عيدان الحور والصفاصاف والخلاف . وفي المراجع السطم (بضم السين والطاء) الاصل . (المروفة) غرسة شجر الزيتون ولعلم ! من الامتراش اي الانتزاع والاختلاس لأنها تنزع من الشجرة الكبرى .

ومن أمثلهم الفصيحة (نانا في الاكل) أكل أكلاً ضعيفاً (دعبيل)
كبو اللقة ليسابق في الاكل يجرفون هذا الفعل فيقولون دعبدل ، البرطمة
غضب مع عبور فلان مبرطم مفبظ (اطيء بالارض) لزق (خب
في الارض) خاض (لزه على العمل) حنه عليه (دحس النوب)
في الوعاء أدخله يلفظونه بالشين كا يقاولون الفرشة وهو أن يقعد الاسنان
ويفتح مابين رجليه يلفظونما بالشين وفصيحة بالسين . ويقاولون (فلئما)
يافلان من هنا من قلعه حوله من موضعه أي هيا بنا ننزل مكاناً آخر
(شافت النفس) اضطررت كا يقال شاش البلد اضطرب (قب الخرج)
اذا يبس وذهب ماوه (قبيح الخرج) صار فيه القبيح وهو الصديد .
(بط الفرحة) سقها (خنخن في كلامه) اذا تكلم من خياشيمه فهو
أخن ويقولون له خن (زنان البول) احتقن (أح الرجل) سعل (قرف)
رعد من البرد (فف الشعر) قام من الفزع (قفقف من البرد) اذا
انضم وارتعد (أصن) سكت فهو مصن (ودد) الرجل أوقعه في
نملكة يقولون ودر هذه القطة أي ألفها في محل لا تعود منه (جبق).
متاعه جمعه وحبق المال أيضاً جمعه (هيش) لعياله اكتسب (دغر عليه)
هجم (طمس على مال فلان) استحله من اطمس على أمواهم أهل كلها ،
وفلان مطموس القلب ميته ، وعندهم يطلق على الجاهيل الذي لا يتعلم ،
(الفضضة) سعة الثوب والعيش ويقولون خذ هذه الدرام تقضى بها
أي تنفع بها وتقضى حوايجك ، (رحرحة) الثوب انساعه ونوب مرحرح .
(خشت فيه) دخلت فقوهم خش بافلان عربية الاصل . (غلغل في المقول)
دخل وفي الفصيحة تغلغل أيضاً (فلان يلت على فلان) يميره أو يزق
عرضه (فلان متعنفصن) متصلف مزهو . (الصقلب) شرك ينصبه ناصبه
لبعرع من يريد صرעה من صقلبه صرעה . ويقولون أعطني قماشاً من
(بابة) كذا أي من سعر كذا وهذا بابته أي يصلح له أو شرطه
(قرط عليه الدرام) اذا أعطاها منها قليلأ قليلاً أو حرمه (النجلبيط)
الكذب بن جلط . (نوس) المصباح قلل اضاءته . (امرأة هطلي) كسلانة

أخذوها من ناقة هطلي تشي رويداً . يقولون وقف الماء في (زراديه) والزردمة الفلصلة أو موضع الابتلاع . (ثوب باینخ) متغير وحديث باینخ لا يحصل له (الرنوت) الرؤساء واحدتها دت (ما في البيت تومري) أي أحد يقولون تومري . (السرب) الجماعة من النساء والحيوان . الفرج ، الجوقة ، الجف ، الغوغاء ، الزمرة ، اللمة ، الاوباش ، الشرذمة : كل هذه أسماء معناها واحد وهو الجموع من الناس وهي دارجة في اللغة الدارجة (العزوة) (العصبة العصابة) واعتسبوا صاروا عصابة . هو (شروالك) مثلك . هو يشي مع (سبره) أي اقرانه والسبر الشبه والمئنة (العكرفة) الفتنة والموتة . اعطي (شوية) أي فليلاً وفي الفصيح ما يقى من الشاة الا شواية بقية بسيرة ، والشواية بالضم الشيء الصغير من الكبير . يقولون سقاني (نفة) من البن أي شيئاً وهي ندفة في الفصيح . يقولون البن والحب طيس أي كثير من طاس يطيس كثراً . (الصوبة) ما نجع من الحنطة والنمر يقولون له الصبة (الشلية) بقية الماشية وعندهم الشلعة قطعة من الماشية (العزيب) الذي لا يروح الى أهله من الماشية . يقولون هذه الأرض عدية أي خالية من الوخم والوبالة وأصلها عذبة من عدا البلد طاب هواؤه (الطابونة) من طين النار دفتها لثلا تطفأ وذلك الموضع طابون والطابون فرن في الأرض وكانوا يستعملون الطوابين للخبازة وقد أهملت اليوم كما أهملت (الشرائح) باعة شرائح اللحم واستعوا عنها بالشوائب أو الشواية وأهملوا (المقاصف) واستعملوا بدلاً منها القهاري والمقاهي . وأهملوا (النحيرة) واستعوا عنها بالمسلح وآهملوا (البلس) واستعملوا بدلاً عنها القلي ، ثم استعملوا البوتاس وكانت لفظة (النقانقين) شائعة يطلقونها على باعة النقانق أو المقانق وهي المصير المحسو باللحم وكذلك (الحلاوبون) باعة الحلوا يقولون اليوم الحلوانيون واحدتها حلواني ومن أمثلهم ما كل من صف الصواني قال أنا حلواني .

ورأينا بعض الفاظ المأكل وباعتھا قد أهملت مثل المراهسي باائع المريسة ، والرأس بايع الرؤوس ويقال له الرواس وهو لحن ، الفقاعي

يائع شراب من الحبوب والاغمار وغيرها سمي به لما يرتفع في رأسه من الزبد وكان يطلق في الشام على باعة نقبيع الزبيب . الاقماويون من الاقما و هو شراب قد يجعل من الدبس ويثلج كالسويق قال الشماني المنصوري
 ئيا سيدا قد أشهد الله أنه أناب فلم يحسن الشراب المحرما
 هلم فاني لا أخالك مقسما وان كنت لم تشرب مداما فافسما
 وأهموا لفظة الشرابيين باعة الأشربة ، ولفظ الملاك عصير العنب بطبع
 قبل أن يغلى ويتشدد حتى يذهب نلاته وكانت مستعملة في مصر في القرن
 الثالث واعناضوا عن الطاهي بالطباخ أو العشي . وأهمت ألفاظ كانت
 تطلق على أمور بطلت مثل سوق العطارين وكان أصحابها يبيعون فيها
 العطور فأطلقت على باعة البزور والسكر والارز والأفاوية ، ومثل الأبارين
 والملاتين صناع الابر والمسلات والمرادين صناع المرادن آلات الغزل
 الفنية تعمل من خشب السام او السنط الاصفر ، والفاخرانين صناع
 الزبادي والسلطانيات من الحصى المطحون ، والغضارين باعة الكيزان
 والقرازين صناع القزاز وباعته ، والبزازين صناع البز أو القهاش ، والبزورين
 باعة البزور ، والسكريين باعة السكر ، والامشاطين باعة الامشاط والسدارين
 والبوارديين يطلقونها على من يصنعون الامشاط ويطعنون السدر وهو
 من المطهرات كالصابون والدلوك والاشنان والبوارد طعام البقول المطبوخة ،
 وكان فيها سوق الدباغين والصباغين والدقائقين والقماحين والناطفانيين
 (الناطف نوع من الحلواه) وسوق الخريزاتية الذين يخزون الاولاني
 وتناسوا لفظ الاقباءين صناع الاقباع جمع قبع وهي الطافية أو العرقية
 وكان في دمشق لكل من هذه الصناعات سوق خاص ومنها سوق الحرير
 وسوق القطن وسوق القشر (قشر القنب) وسوق القوافين من كاف
 الاديم يكوفه كوفاً كف جانبه وهو اعداد الجلد لعمل النعال ، قلبت
 كافها قافاً . ومنه سوق المناخليين باعة المناخل وصناعها ، وسوق الزرابيلين
 صناع الزرابيل جمع زربول ، وسوق السروجيين صناع السروج ، وسوق

النحاسين ، وسوق الحدادين ، وسوق الصاغرين باعة الفصاع ، ومنها سوق الزنطين
وفي معجم دوزي أن زنط لغة مصرية معناها الطافية وإن كانت من
زنط جمع زنط فمعناها الزيور والسياط ، وسوق القلبانجية والقالباق من
أكسيه الرأس التركية ، والدماجية صناعة الدعا وهي أنواع نعمل من
الغزل . ولا يزال سوق الجيل وسوق الجمال وسوق الغنة وسوق المفر
وسوق المغير بالطبع ويقال لخزن الحطب الشونة وهي مصرية وبضمون
شينها . وكانت لهم أسواق بحسب أيام الأسبوع فسوق الجمعة وسوق الأحد
وسوق الثلاثاء تباع فيها أصناف المأكول والمأبوس ، فمن هذه الألفاظ
ما بطل استعماله ببطال ما كان يطلق عليه وباختراع ما أغني عنه وعن اسمه
ولكل عمر الفاظه كما أن لكل عمر أدبه . فبعض الألفاظ التي راجت
في القرن الثالث والرابع نسبت في القرن السابع والثامن وما راج في
هذين القرنين نسي في العاشر وما بعده . فألفاظ عبد الماليك في مصر
غير الفاظ الترك بعدم فقد كانوا مثلا يستعملون كافة التقليد والتصرف
فأبدلوا هما بالتولية ثم بالتعين والنصب والاستخدام وكانتوا يستعملون لفظ
القاحين والدقائقين ويقولون اليوم تجار الحبوب والطحانة . وألفاظ مصر
زمن الماليك وحدها تحتاج إلى مبحث خاص برأه . ومن نظر نظراً
خفيفاً في كل قطر عربي لا يلبي أن يرى أن ما كان شائعاً في العراق
لم يشع في الشام ومصر وما كان في مصر لا يعرفه الغرب إلا فصي
ولا الأندلس من قبل .

وفي كتب الحسبة وبعضها إلى الآن لم يطبع ، كثير من الألفاظ
دونت المعاجم بعضها ولا تستعملها اليوم نسقط على نوذج منها في كتاب
نشوار المحاضرة للمحسن التنوخي وفي كتاب سيرة أحمد بن طولوت
البلوي . منها (البزبون) ضرب من نسيج البز ومن رقيق الدبساج
(المطبق) كمعن السجن تحت الأرض (الفامي) باائع الفوم أي الخطة
والمحض وسائل أنواع الحبوب التي تخنز . (الزيروجاج) أكلة بلحم وحمص

وخل وسكر ولوذ (البزماء ورد) طعام من العجم والبيض (العصيدة) دقيق بلت بالسمن وبطيخ . ومنها (المطاب) الكنوذ (البذرة) الخفارة (الفيج) رسول السلطان .. الخ وهذه الألفاظ تتطلب دراسة خاصاً كما تتطلب مأكل العرب في الجاهلية وما كانوا في الإسلام دراسات أخرى . وأنواع العرب ما تعدد الإبلان والتمور واللحمون ونقل فيها الحضراوات والبقول وكلها بين مطبوخ وملتوت ومبون ومتمور ومسمون ومعمول .

سادي :

أوردت مثلاً خليلاً من أشعار هذا المجمع الفتى وذلك بقدر ما يتسع له الوقت وأرجو إلا أكون أدخلت الملل على نفوسكم . أعنانت المولى على القيام بواجبنا في خدمة لغتنا المحبوبة وحياتكم وأحيائكم .

بعائد اللهجات

كان احتلاط العرب في الجاهلية بالامم المجاورة جزيرتهم قليلاً اذا قيس باختلاطهم بهم في الاسلام وفيه فتحت عليهم الاقطار ، وشاهدوا فيها ما لم يعرفوه من أسباب الغنى والترف ، وهذا يستلزم للتغيير عنه الفاظاً جديدة ما كان لهم ولا لأجدادهم عهد بتلتها . واذ كانوا في هذا الدور مأخوذين بدھة الفتوح لم ينظروا ان كانت تلك الالفاظ عربية صرفاً او جاءت من احدى اللغات السريانية والنبطية والقبطية والخطية والسندية والبربرية والفارسية . وربما ظنوا بعضهم من لهجة عربية غير لغة قريش وليس لهم مانع من قبولها مادام الاسلام وحد اللهجات العربية ، وبلغة قريش أفعى اللهجات نزل القرآن .

وما لبث الداخلون في الإسلام أن دخلوا ما كان متصلًا في أسلوبهم من الكلمات فأصبح لكل صنع لجة اتسعت مع الزمن أي كان لكن قطر بل لكل اقليم لجة على حيالها ، ومعظم الموائد لا يمت إلى الفصوص بسبب ، والغالب أن الألفاظ الاعجمية التي صاغوها على أسلوبهم تكاد تزدري عن الألفاظ التي أبقواها بحالها . وبديهي أن يكون لكل صنع لغته ، واصطلاحه وألفاظه ، واللهجات ابنة السموت والميول على الأداء ، وما تخله من النسمة العذبة في اللهجة المصرية اليوم لا تذوقه في لهجات جبال الشام . نعم ما شدد العرب أو خاصتهم في قبول بعض الألفاظ الاعجمية باديء به تشدهم في اللعن والزراية على من يوتكبها ، لأن المجهور لا ينتظر في شؤونه اليومية الحافزة صدور ارادة الخاصة في اختيار النظفالفلافي دون غيره ، بل يسارع إلى تلقن ما يعرض له باديء الرأي مؤثراً الطريقة العملية السهلة ، وينشرب الألفاظ التي تكاد تكون مرتبطة ترسيخ في بكثرة التكرار ، وينعدو من المتذر نزعها والاستعاذه عنها بصطلاح آخر أنى على أصول الوضع الصحيح .

تساهم أرباب اللغة بدخول بعض المفردات طوعاً أو كرهاً كأنهم رأوا أن لامندوحة لهم عنها وإن خرجت أحياناً عن صبغة لغتهم ، ثم تطورت اللهجات بتطور الزمن ، والزمان سلطانه يثبت وينفي على ما يشاجر والنهوض يجري على مقاييس واسع في الشارع ، وعلى مقاييس ضيق في أندية الخاصة وقصور الملوك والأمراء ومعسكرات الجيوش .

أخذت العرب من الاعاجم مئات الألفاظ بما له علاقة بالحياة اليومية أو المصطلحات العلمية وكان لكل دولة تولت أمر هذه الامة أن أورثتها ألفاظاً منها ما دخل في المعاجم ، ومنها ما مات بهوت الدولة التي وضع في عصرها : وسعت إلى بشه في الناس ، أو سقط من الاستعمال لعدم الحاجة إليه .

فكانت الألفاظ الاعجمية من عهد الامويين أقل مما جاء مع العباسيين

لقرب عهد بنى أمية بالعربية الفصحى ، وأخذ بنو العباس من الدخيل بالكبير والصغر ، أعدام الفرس للجوار والاختلاط بالشعوب غير العربية حتى خيف على اللغة أن يصبح جزءاً عظيم منها من غير الأصول العربية . ثم قامت دول الطوائف فكانت الألفاظ الحديثة في مصطلحات الدولة على الأكثر تركية وفارسية ومغولية ، وهكذا كان شأن دواني نور الدين وصلاح الدين ودولتي المماليك البرجية والبحرية ثم دولة العثمانيين . وما يقال في هذه الدول ، والألفاظ الطارئة عليها ، يقال في دول صقلية والأندلس والغرب الأقصى والوسط والادنى . واعمل الدخيل كان قادرآ في أرض الأندلس ، وقد توخي الامربون واخمو أساس دولتها التوحيد في كل شيء حتى أن الرحالة ابن جبيرو لما رأى كثرة الفيرق والمذاهب في هذا الشرق القريب في القرن السادس قال لا إسلام إلا ببلاد الغرب ، لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها ، وما سوى ذلك بما يزيد الجهات الشرقية فأهواه وبدع وفرق ضالة وشیع الا من عصم الله من أهلها .

وكان في تقدن الاندلسيين بتعريف أسماء بلاد الأندلس مثال ظاهر من العناية بصياغة اللغة بما يبعث بها ، وكانت اللهجة الاندلسية من أجل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء إلى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه بلهجات البن والحجاج . والأندلس استعملت ألفاظاً فصيحة ما استعملها العراقي ومصر والشام فكان الاندلسيون مثلاً يقولون القايبش لمن نطلق عليه الجابي او المحصل ويطلقون المقبول لما نقول له الملائم او الضامن ويقولون أهل الاموال لأرباب الاملاك او المالك ويطلقون الطومار على البطافة . وهكذا أبقى كل قرن في تضاعيف هذا اللسان قدرآ من الألفاظ الدخيلة ، ولو ن كل لهجة بلون بعض اللهجات المجاورة وغيرها . واكلل جبل ولكل اقليم لهجة تختلف واحدتها عن الأخرى ، وكان العارفون باللغة في كل عصر يردون مدخل على الفصحى من المولد ، واذا غلبتهم

قوة الدخيل يتسللون بقبوله ومن جهة أخرى يكتبون الرسائل والكتب في تربيعه ، حاول الفيلسوف على اللغة في كل فرن من فرون الاسلام ان يجربوا الفصحي ويبقوا عليها في الخطاب كما حفظت في الكتاب وكان الجهلة يزاون بهم ويتفاخرون منكرين صنيعهم ، وأفل ما يقولون في التسلل بالفصيح أن ينجزوه بأنه يتكلم بالمحوي .

وبعد أن كان مثل الحجاج بن يوسف يختال على بعض من حرب عاليه فيفرد لغته أصبح الخاصة والعامة في القرون التالية يتداولون به العوام وفتحتهم بدون ذكر ، وسود العامة أكثر من سواد الخمرة في كل عصر ومصر . وبعد أن كان ينظر إلى من فسدت لغته كما ينظر إلى من أصيب ببرودة وشرفة أصبح هذا مما لا يؤبه له كثيراً ، وبعد أن كان الحجاج نفسه ينفي من بلده أحد الفصحاء لأنه حارمه بأنه أحن ونفاه ألا يسري في الألا رأيه فيه .

ونما سمع رسول الله رجلاً يأ恨 في كلامه قال « أرشدوا أخاكم فإنه ضل » ولما كتب أحد عمال عمر كتاباً لحن فيه كتب إليه « فتشع كاتبك سوطاً » . وكان عبد الملك يقول : اللحن في الكلام أقبح من الجدرى .

عربوا أسماء العلوم في القرن الماضي فكانوا على الالغاب يحرصن على التعبير عن المعنى بأي لفظ عرض لهم ، بهم التعبير عن المسمى لا الفصاحه ، ولعل أجدادهم كانوا في مثل هذه الحال يوم نقلوا عن الفرس أسماء الأطعمة فلم يكن لهم متسع من الوقت ليضعوا لها أسماء عربية واغتنبوا أن اهتدوا إلى تحضير تلك المآكل اللذيدة فقالوا الفالوذج واللوزينج والجوزيني واللوزيني وما بالوا بثقلها وعجتها . وكانت في مكتفهم أن يقولوا اللوزية والجوزية الخ . ولكن كان همهم أن يصيروا أولاً من هذه الحلواء الشهية . ولو كان واضعو اللفاظ العلمية في بدء النهضة العربية الأخيرة على جانب من معرفة اللغة الفصحي لأطلقوا باديء

بدها أفالطاً فصيحة على المستويات ، وحالوا دون عناه الجامع اللغوية
الحديثة بعض الشيء .

وأعل من اضطروا إلى وضع ألفاظ غريبة مولدة عدوا إلى استعمالها في الأحاديin يؤثرون الكلام في العربي القبح والعربي الدخيل على السواء مادام المقصود من الكلام أفهم الحواص والعوام ، ولا نقول ان اللغة كانت تحزنون الفصحاء فلم يوفقوا إلى ايجاد ألفاظ عربية خالصة تقوم مقام الاماناظ الاعجمية بل نقول انهم غلبهم حب السرعة على جميع الاعتبارات ، وأنوا بما حضرهم واكتفوا بما كان في متناولهم ، وهم إلى ذلك كانوا يعلمون أن مئات من الالفاظ المولدة لاتضر بلغة تحوي مئات الآلوف من الفردات الفصيحة ، ويزيد التسامع في قبول الغريب المولد اذا صفت المفظة ، صياغة عربية لاينبئ عنها ذوق أبناء هذه اللغة .

كتب معاوية رضي الله عنه أيام فتنة حفيظ فقر الرؤوم لما بلغه أنه ينوي غزو الشام : « لئن أقدمت على ما بلغني من عزتك لامصالحنا صالحني ولا كون مقدمته إليك ، ولا جعلن القــطنطينية البخاراء حمة سوداء ولا تزعنك من الملك انتزاع الاصطفينية ولا ردتك أربساً من الارارمة رعى الدوبل ». وفي هذا الكتاب الموجز على ما نفهم نحن اليوم ثلاثة ألفاظ لانسجمها وهي الدوبل ومعنىــاه الحذير ، والأربس وهو الفلاح والاكار من أرس فلح ، والاصطفينية وهي لغة شامية فدية لا تستعمل اليوم ومعناها الجزرــة التي تؤكل ، آثر الخليفة استعمالها على الخروج عن مألف الارض التي صدر منها الكتاب .

و كذلك كان من الحجاج بن يوسف لما استحب أحد عماله على المسارعة بإداء الخراج فقال له من كتاب : فأيم الله لبعناني بخراج اصفهان كها او لأجملنك طوابيق على باب مدینتها والطريق بكسر الباء وفتحها الأجر الكبير فاري مغرب وكذلك الأجر . خاطبه بما شاع ولو قال له لأجملنك لبنة لما كان لها تلك الرنة ، ولو كان الكائب في مصر لاستعاض عن آجر وطريق بلبنة وطوبه .

وقد يعمدون لاستعمال ما كان له أصل في اللغة كالخناشير والطراطير والخنثور الذي لا يعجبك يقابلها بالشامية الشرشوح والطرطور الضعيف الذي لا عمل له ، وهكذا في المصرية متغطرز متخصص متزلف إلى الكلمات غيرها ، ومنها ما له أصل عربي مثل اطلاقهم لفظ نفوغه على السيدة ذات الدل والحقير وهي السيدة السجينة جاءت من لفون الطعام والفطير زاد في سنه . وفي مصر يقولون بص أي انظر وفي لبناں افع وفي الشام شوف .

وقد يختلف كل قطر عن جاره في مدلول اللفظ الواحد وفي صيغة الجموع وغيرها ففي مصر يقولون طقطوقة لذاك الوعاء الصغير الذي يطروحون فيه رداء اللفائف وأعفامها ، وبطريقون الطقطوقة على الأغنية البلدية ، والقرينة هي التي تفرق بينهما ، كما هو الحال في كثير من الألفاظ ولو قلت الطقطوقة لذاك الإناء أضحك الشامي ونظر باهتاً فلا يعرفها نطلق

إلا على الأغنية ، وفي الشام يجتمعون سبكارات وفي لبنان على سواكير وفي مصر على سكاير ويقولون في الشام طنش بالشين غض الطرف وما بالى وفي مصر طفس بالسين لهذا المعنى ، وفي مصر ايش نمير وارتبك وفي الشام لبس جمع متاعه وارتحل ، وفي مصر محنف متزبن لطيف ، ومعناها في الشام بخيل مقتصد .

وكان مختلف مدلول بعض الألفاظ في الأفطار الجاورة تدوين كثيير من الفصحى جملة ، فكانوا يطلقون على الأرض الكثيرة الحفرة (اليخضور) وعلى الرجل الكثير الكلام (البيهود) وعلى الرجل الاحق (اليائوم) وعلى المتنقل بالدين (المفرح) وعلى كثير الطرب (المطرابة) وعلى من يتتكلف الإنفاق من غير صواب (العاقة) ، وعلى الحبيث الشرير (العاصم) وكانوا يقولون أخذ ماله كملأه واليوم يقولون كاملاً وفلان لا ينأكل رغباً ولا زعيماً ، والرغيب الكثير الاكل والزهيد القليل الاكل ، إلى مثات غيرها لما لو عادت إليه الحياة وجرت به الأنسن لحي جانب عظيم من الفصحى ومات جانب من المولد مع الزمن ، وضعفت المهجات وقويت الفصحى ، أو جانب عظيم منها .

من الصعب تعريف زمان دخول كل لفظة بعينها لأن المهجات لا ضابط لها ولا هي مدونة بأسرها فمن الواجب وضع معجمات لها كما نراهن في الغرب وضعوا معاجم للالفاظ العامية وأخرى للالفاظ المحرفة ومعاجم لغة أرباب الدعاارة والاصوص يعبرون عنها بالفرنسية بكلمات :

Argot, Jargon, Baragouin, Patois

وفي كتب المحافظ ألفاظ كثيرة من هذا القبيل لانتعرف بها الفصحى وكان ندوين أبي عثمان لها من مزايا لغتنا واتساع صدرها لكل جديد ما سبقت لها معرفته ، والحمد لله على أن المجمعين لم يعترضوا على بعض ما وضع ، مثل ثلاثة ألفاظ أفرنجية وهي قيلم وزمام وسيينا فأقرروها راضين ومثل نحيم ومصح ومعزل وهي مشتقة من أصل عربي وربما تفتقروا وأطلقوا

أكثر من اسم على مسمى واحد كما وقع للمقدمي البشاري صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من أمنع كتب الجغرافية عند العرب فقد أسماء الناس خلال رحلته بستة وتلاتهين اسمًا دعي بها المسكون وخوبط ، فأطلقوا عليه المقدمي والفلطيبي والبصري والمغربي والخراساني والسلفي والمقربي ، والفقير والصوفي والمولى والعابد والزاهد والسياح والمرأة والجلد والناجر والمذكر والأمام المؤذن والخطيب والغريب وأمراني والبغدادي والشامي والحنفي والذري والبكري والمنقه والمعم والمغربي والاستاذ والدانشمند والشيخ والنشاستة والراكب والرسول .

ما ورد مصر ابن جرير الطبرى صاحب التاريخ في سنة ٢٥٦ فدمشق ما حضر من العراق نزل على الريبع بن سليمان فأمر من يأخذ له داراً فربه من بعد رحلته قال : وجاءني أصحابه فقالوا : تحتاج إلى قصرية وزير وحاربين وسدة فقلت أما القصرية فأنا لا ولدي وما حملت سراويلي على حرام ولا على حلال فقط (ياغارة) ، وأما الوزير فمن الملاهي وليس هذا من شئي ، وأما الحاران فان أبي وهب لي بضاعة أنا استعين بها في طلب العلم فان صرفتها في ثمن حاربين فبائي شيء أطلب . قال : فتبسموا . فقلت : ائى كم يحتاج هذا ؟ فقالوا : يحتاج إلى درهمين وثلثين . فأخذوا ذلك مني وعلمت أنها أشياء متفرقة . وجاؤوني باجانة وجوب الماء وأربع خشباث قد شدوا وسطها بشريط وقالوا الوزير لماء القصرية للخبز والحران والسدة تنام عليها من البراغيث فتفعني ذلك وكثرت البراغيث فكنت اذا جئت نزعت ثيابي وعلقها على حبل قد شدته واتزرت وصعدت إلى السدة اه . يقول أنا طول فرنس الالفاظ هي الافكار وأعتقد أن الشعب الاول في العالم هو الذي كان كتاب قواعده أجدود من كتاب غيره وقد يهلك الناس بعضهم بعضاً بالفاسد لا يفهمونما فإذا تفاهموا يتعانقون ويعاطفون .

تطور لفاظ وأمرأة

ألف علينا تعالى من أهل القرن الخامس في المضاف والمنسوب درساً متنوّي من التراكيب والإضافات التي كان بعضها شائعاً في الجاهلية ، والآخر حدث في الإسلام ، وقد خرجها في أحدي وستين بيتاً فمسـ ما أضيف إلى اسم الله تعالى : أهل الله ، بيت الله ، رسول الله ، كتب الله ، أرض الله ، سر الله ، ناقة الله ، رحمة الله ، أمر الله ، لعنة الله ، صبغة الله الخ . وكل شيء كما قال الجاحظ أضافه الله تعالى إلى نفسه ، فقد عظم شأنه وشدد أمره ، وقد فعل ذلك بالنار فقال نار الله المورقة ، ومنها ما يضاف إلى الأنبياء مثل سفينة نوح ، عمر نوح ، مقام إبراهيم ، نار إبراهيم ، صحف إبراهيم ، ناقة صالح ، قبص يوسف ، عاص موسى ، صبر أيوب ، مزامير داود ، خاتم سليمان ، ومنها ما ينسب إلى الملائكة والجن والشياطين مثل سحر هاروت ، ديك الجن ، جند أبلليس ، قباع الشيطان ، حبائل الشيطان ، رؤوس الشياطين . ومنها ما يضاف إلى القرون الأولى : رب عاد ، صرح هامان ، كنوز قارون ، سد الإسكندر ، نوم أصحاب الكهف ، ومنها ما يضاف إلى الصحابة والتبعين مثل سيرة العمران ، درة عمر ، دهاء معاوية ، فقه العبادة ، حلم الاحتف . ومنها ما يضاف إلى رجالات العرب في الجاهلية والإسلام : حاتم طي ، زيد الجيل ، سعيان وائل ، عروة الصعالبك ، سعد العشير ، وضاح البين ، مجذون بن عامر ، أشجع بن أمية ، جبار بن العباس ، ومنها ما ينسب إلى القبائل ايلاف قريش ، تيه بنى مخزوم ، جود طي ، أو إلى رجال مختلفين : حكمة لفهان ، بلاغة قس ، عي بافل ، حديث خراقة ، مواعيد عرقوب ، وفاء السموأل ، كذب مسيلمة ، طمع أشعب ، ومنها ما ينسب إلى العرب : تيجان العرب ، نخوة العرب ، كرمي العرب ، ومنها

ما أخفى إلى الإسلام . قبة الإسلام . وبذرة الإسلام . ومنها إلى الفرق .
والعلماء . فقه أبي حنيفة ، حاجة أبي المظيل ، أو إلى ملوك الجاهلية والإسلام .
سيرة ارديش ، عدل أنور وران ، أبوان كسرى ، شفائق النهان ، خدمة
ابن المعتز . أو إلى الكتاب والوزراء في الدولة الأموية والعباسية : بلاغة عبد الرحيم ،
بلاغة جعفر ، بنتية ابن المقفع ، تبه عمارة أو إلى البلدان عزيز مصر ،
أو إلى أهل الصناعات ، كتاب القصاب ، تبه المغنى ، رغفان المع ، كتب
الدلائل . ومنها إلى الآباء ، والأمهات والبنين والبنات مثل أبو قحافة ،
أبو منوي ، أم الكتاب ، أم القرى ، أم المؤمنين ، أم حبيبة ، أم
فتشعم ، ابن الباري ، ابن جلا ، ابن آوى ، ابن السبيل ، بنو الأيام ،
بنو الدنيا ، بنت الفكر ، بنات الصدور . أو إلى الأذواه والذوات :
كاذواه البنين ، وذوا الأوتاد ، وذوا القرنين ، وذوا التورين ، وذوا الرياشين ،
وذوا الكفائيين ، وذات النطاقين ، وحالة الحطب ، خضراء الدمن ،
ضرائر النساء . ومنها ما يناسب إلى النساء مثل كيد النساء ، مرآة الغربية ،
بكاء الشكلي ، ومنها إلى الأعضاء . سويداء القلب ، حبل الوريد . ومنها إلى
الابل حمر النعم ، صولة الجمل ، ناقة صالح ، خطط عشواه . ومنها إلى
الحيل والبغال . نواصي الحيل ، فرسا رهان . ومنها إلى الحمار : حمار
العزيز ، صبر الحمار . ومنها إلى البقر والغنم : بقرةبني إسرائيل ، أذناب
البقر ، لحنة التيس . ومنها ما ينضاف إلى الأسد : ليث عفرين ،
ليث الغاب ، جرعة الأسد ، وثبة الأسد . ومنها إلى الذئب والسباع
والوحش والسنور والفأر والضب والظربان والقنفذ والسرطان والجنة
والعقرب والمحشرات والموام والطير والغراب والذباب والبعوض ، ومنها
إلى الأرض والدور والأمكنة والابنية والبلدن والأماكن ومنها إلى الجبال
والحجارة والمياه والنيران والشجر والنبات واللباس والثياب والطعام
والشراب وما يتصل بها وإلى السلاح والخلي والأزمات والأوقات والآثار
العلوية وغير ذلك .

هذا ماءعى التعالى بتدوينه وفيه صورة من صور المجتمع الجاهلي والاسلامي ومنه ماجاء كالمثل ومنه ما كان فيه اشارة الى وقعة فارسنجية وتصویر حالة نفسية مثل عرق القرابة وعرق الموت ومعنى الأولى الشدة والمشقة ويضرب الثاني مثلاً لأنشد الشدة وكان الحسين الخادم خادم المعتقد والمكتفي يتولى البريد بمصر ويلقب بعرق الموت فيل أن المكتفي اقبه بذلك .

وكل ماسب وأضيف وأتنا به التعالى ما خرج عن تركيب عربي ولفظ عربي . ولقد حدثت بعد تركيب واضافات وألفاظ كان الواجب تدوينها ولعله كان ينتظم منها مجلد آخر ، أما في العصور الحمدية عصر الطباعة والصحف والمجلات وانتشار الكتب وعمد ايناع العلوم المادية فقد سقط الباحث على اضافات ونسب منها مانقل عن اللغات الغربية وتحس فيه أثر الترجمة وهجنة المجمة .

وتطورت الالفاظ والتركيب في عصر العلوم هذا ، وقضت الحال على النقلة أن يختاروا ألفاظاً لتركيب جديدة فمنها ما جودوا فيه ومنها ما قصرروا ، وكله دخل على اللغة وحفظه الناس وتداولوه . وتكثر هذه التركيب والألفاظ في مصطلحات العلوم والسياسة والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والمالية والتربية ، كثرت لأن سند هذه العلوم انقطع عند العرب أو كانت علوماً جديدة لا يعرفها أجدادنا ، وكانت المادة من التعبير قليلة ، وكان المترجمون لأول النهضة ضعافاً في اللغة ، ولم يمل بعضهم لم يدرك ماتحويه الالفاظ الفرنجية من معان ، فترجموا كيفما اتفق لا كما يحب أن يكون ، وأكثر التركيب التي جاءنا بها العصر الجديد إذا أقتنبه على مسامع العربي الاصل اضطر الى أن يفكر ساعة ، وربما ما خرج بعدها بشيء يصور له المعنى تصويراً حقيقياً لأنه لا يعرف جهة العلم الذي كانت هذه الالفاظ والتركيب من ألفاظه وتركيبه . وقد شاهد هذا الجميع من تلك الالفاظ مئات .

ولا أكتتمك يا سادني أن سمعي لم يتألم فقط أكثر من ثالثه من لفظ أو

اضافة جاءنا بها المشغلون بعلم التربية فنسبوا الى التربية (التربية)
وأنونا بذلك بالفاظ وتراتيب لو حلتنا لأهل عصور زهو العربية بالخلوة
والعناق أنها عربية ماصدوا ولا آمنوا ، وجاءنا المفاسدون من التراث
براتيب النزعة الواقفية ، القوة الوجданية ، الذاتي ، الموضوعي ، الأفقي ،
الفكرة الأساسية ، الفكرة الرئيسية ، الطريقة الاعتباطية ، السبب ،
ومكذا سرت الى الأقلام عشرات من التراتيب على اعتبار أنهم ورور
في كلام بعض العارفين فاحتذأها من قضاة عليهم صناعتهم بمعجزة ربهم
التربث ككتاب الصحف ، وقد يعبرون عن المعانى التي يجتذبون
إلى أدائهم من حاضر الوقت لايطلبون التفكير فيها والمراجحة ،
جاوزنا بطائفة من التراتيب ما أنزل الله بها من سلطان ، ومنها قوله
تغلبت العناصر التقديمية الرجعية . وطن معنوي مثالي ، الوطن المرفوب
المرغوب ، من حيث الأساس . تعرض نفسها على اتجاهات السياسة
القيناريجية أي قبل التاريخ ، الاحلام الطوبائية ولو قال أبو عذرة هذا
التراتيب السياسية قبل عصر التاريخ بدل القيناريجية والحالات والأوهام بدل
الاحلام الطوبائية لأدى المراد وبخا من هذه السماحة . جاوزنا بغير بـ
الرقم القباسي في الشيء الفلاني ، النزعات السياسية السائدة ، عمله على
ضوء كذا ، رفع رأس أمه عالياً ، يحيطونها بهالة من الرهبة ، استغل
الموقف ، جرى على خطته التقليدية ، خلقت جواً من الشبهات ،
المفاوضات تجري في جو يسوده الود ، الوضع الحاضر الوعي القومي سر
المهنة فقيد الواجب . التربية المثالية ، المجال الحيوي ، المثل العليا ، الشخصيات
البارزة ، السوق السوداء ، الجمود الجبار ، الحال الحاسم ، حقل الادب والعلم
الروح الوثابة ، موضوع أخذ أتون الحرب ، الرغبة الملحقة جملة داوية صارخة
صخابة . وأخيراً تم الشيء الفلاني ، بحسب الخطة المرسومة ، رجل السائدة
الاهداف القومية ، حركة خاطفة ، الروح المعنوية المتنوّبة ، في ظل النظام ظهر
على مسرح السياسة ، يضحي على مذبح أغراضه ، طلب يدها ، ذر
الرماد في العيون ، يشق طريقه الى الحياة ، فشلت المناورة ، انفرجت مفتاح

عن عدة ابتسامات كان لها أثر طيب في تلطيف جو الاحتلال . و منها ما يكردنه في اليوم والليلة مرات حتى مجته الأذواق وبرمت به الآذان وهي ليست في شيء . ما قاله علماء البيان في التكرار أو عدم إيه الجاخط في ترديده بعض ألفاظه الحلوة كفعل كان أو تركيب أما بعد . و تكرار الجاخط على كل حال لا يشبه ما أحدثه لأحد البلوغاء في حديث له في المذاياع كرر فيه لفظ (اللهم) مراراً وأذكراً أني عدلت له منها عشر مذكرات ثم ملأت ووجهت وجهي عن الاستماع ، والغائب أن صاحي - وكان شيخاً والشيخة فيه أعلى به من شعرات قصه - انقطع عن الصلاة أيامأ وأحب أن يعيش عن لفظ اللهم التي فاتته فجعماً كاماً في حاضرة واحدة ، ولعله ظن أن المحاضرة صلاة ودعا ، فتوسل إلى الباري . تعالى ما وسعه التوسل في حديثه مع أنه كان من سعة المادة الفغوية على جانب عظيم ولا يحتاج بيانه إلى مثل هذه التكاثـات .

ومن التراكيب والإضافات الجديدة ماقضى منه النفس وهذا تجده في كثير من الكتب المترجمة من يكتبون مترجماً وسطاً في اللغة التي نقل منها واللغة التي نقل إليها . ترجمنا وبذلنا الجهد فكان في ترجمتنا الرديء والجيد ولم يكن لنا بد من الدخول في هذا الدور ، أما الآت وقد كثر عدد الفريق الذي تخرج بآداب لغته واللغات الغربية ، فالواجب ألا ننشر إلا ماسلم كل السلامة من العروج ولم يسبق للسان العربي أن جرى به . فبأنه ألا تصاوبن بالبرداء ، وقامكم الله شرعاً ، اذا سمعتم مترجماً يقول هذا الشعور ليس سليباً بل ايجابياً ، تربية فلان الاجابية العملية ، المركز الاستثنائي ، المبدأ الانقلابي ، دلال بها على جوهر قومي مرکتز ، التركيز في التقسيمات ، حركة تحريرية تجديدية ، نصوص متقدمة شريفة ، الوطنية تستمد وحيها من نواميس كذا .

ومن التراكيب أو الإضافات ما استلزمته طبيعة العصر لأنه ينم عن معان لا سبيل إلى التفعي منها لأنها ندل على أمور ذات أثر في سياسة الدنيا اليوم ومنها الإرهابيون الوصوابيون التفعيون الاتهارزبون المداررون

المدربون الفوضويون الاشتراكيون الشيوعيون النازيون الفاشيون
الجهوريون الملكيون الديوقراطيون الاستقلاليون الديكتاتوريون
الرأسماليون المحافظون الجياديون الحزبيون . ولا أطبل عليكم في ابراد
الاخفافات والصفات والأمهاء الجديدة ، وعلى من يحب التوسع في تلقيها
أن يتبعها في الصحف والكتب الحديثة ولا سما في المعربات . ونذكر
التراث والألفاظ النابية عن مناحي البلاغة في كلام أهل القرن العشرين
ولا ترى الوسط في نقله وتصنيفه الا معتذراً عن جمله بأنه يكتب الكتب
التي تروق جهور الناس ويهزأ في باطنها ، وأحياناً يدو هزفه على سمع
من يكتب كتابة عربية في الجلة ويسمها بأنها كتابة جامعية أو مشاجحة
نسبة للجامعة أو لدار العلوم .

قلت في بيان أقيمة في السنة الماضية في مثل هذا الحفل ~~المسكر~~
أن من الألفاظ ما يُمر قليلاً ثم يوت ويحيى غيره فينـي الآخر الأول ،
وان لكل عصر ألفاظه كما أن لكل عصر بيـانـه ، وقد أتبـعـ ليـ أن
نشرت خـمـسـةـ كـتـبـ لـلـقـدـمـاءـ حـوـتـ منـ هـذـهـ المعـانـيـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ ،
فـكـانـ فـيـ الـأـوـلـ طـائـفةـ كـبـيرـةـ مـنـ أـلـفـاظـ الـقـرـنـيـنـ الـأـوـلـيـنـ لـلـاسـلامـ ،
وـفـيـ الثـانـيـ أـلـفـاظـ لـمـ يـعـرـفـهـ هـذـانـ الـقـرـنـانـ وـنـسـيـتـ فـيـ الـرـابـعـ وـالـخـامـسـ وـفـيـ
الـكـتـابـ الـثـالـثـ الـأـلـفـاظـ وـتـرـاكـيـبـ عـرـفـتـ كـثـيرـاـ فـيـ الـرـابـعـ وـالـخـامـسـ وـفـيـ الـكـتـابـ
الـرـابـعـ الـأـلـفـاظـ عـلـمـيـةـ اـشـهـرـتـ فـيـ الـخـامـسـ وـالـسـادـسـ ، وـكـانـ اـبـنـ الـقـرـونـ السـابـقةـ
بـعـزـلـ عـنـهـ ، وـفـيـ الـكـتـابـ الـخـامـسـ الـأـلـفـاظـ وـتـرـاكـيـبـ عـرـفـتـ فـيـ فـارـسـ وـخـراسـانـ .
وـأـعـنـيـ بـالـكـتـابـ الـأـوـلـ دـسـائـلـ الـبـلـاغـاءـ وـفـيـهـ نـصـوصـ فـاذـرـةـ لـعـبـدـ اـللـهـ
ابـنـ الـمـقـعـ وـعـبـدـ الـحـمـيدـ الـكـاتـبـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ أـئـمـةـ الـبـيـانـ وـبـالـكـتـابـ الـثـانـيـ
سـيـرـةـ أـحـمـدـ بـنـ طـولـونـ الـبـلـوـيـ مـنـ أـهـلـ الـقـرـنـ الـثـالـثـ ، وـبـالـكـتـابـ الـثـالـثـ
الـمـسـبـعـاـدـ مـنـ فـعـلـاتـ الـأـجـوـادـ الـمـعـنـونـ الـتـنـوـخـيـ مـنـ أـهـلـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ ،
وـبـالـكـتـابـ الـرـابـعـ كـتـابـ الـبـيـزـرـةـ لـبـازـيـارـ الـعـزيـزـ بـالـلـهـ الـفـاطـمـيـ مـنـ أـهـلـ
الـقـرـنـ الـخـامـسـ ، وـبـالـكـتـابـ الـخـامـسـ تـارـيـخـ حـكـمـ الـإـسـلـامـ لـبـيـهـيـ وـفـيـهـ
مـنـ الـأـلـفـاظـ الـفـلـسـفـةـ وـالـحـكـمـةـ الـتـيـ كـانـ مـعـرـوـفـةـ عـنـدـ أـهـلـ الـقـرـنـ الـسـادـسـ .
كـانـ الـكـتـابـ الـأـوـلـ مـنـ حـصـولـ الـعـرـاقـ وـفـارـسـ فـيـ الـجـلـةـ ، وـكـانـ

الكتاب الثاني مما أخرجته مصر ، والكتاب الثالث مما صدر عن الدور
العجمي الأول والثاني ، والكتاب الرابع مما ألف في مصر أيضاً وفيه
اللفاظ مصر ، والكتاب الخامس مما صنف في فارس وفيه ذرو من مصطلحها .
والالفاظ التي حملها الكتاب الاول من أسهل الافاظ استعملت
فروننا ثم بدأ الناس يسمونها فوجرت وصار ابن هذا العصر اذا سمع
بعضها فكانه يسمع الفاظاً اعجمية واذا حاول الكشف عنها في المikan
ملّ وكلّ ولا عجب فقد بلغ بنا الضعف في لغتنا أحياناً أن صرنا اى
حالة اذا حاولنا قراءة شعر جاهلي فكاننا نقرأ لغة غير لغتنا ، ونفع
فيه على الفاظ نجد في بعض الافاظ الفرنجية ائمة أكثر مما نجد في هذه
الافاظ العربية ، ولا يلهمك للتدليل على دعواي الا ان تلقوا نظرة على
بعض ماطبع من دواوين الجاهليين وبعض الاسلاميين أمثال زهير بن
 أبي سلمى وجرير والفرزدق ، وعرض الله شراح هذه الدواوين المقدمة
خيراً بما بذلوه من اوقانهم في سبيل حلها ، فمن الافاظ هذا الكتاب
الاعمال الاخطراب في العمل والحركة وفيه زمین كسيح ، زميت وفور
قدره منه وكفه آنق أحسن وأعجب ، استعتبر طلب الاعتاب واستقال
من الذنب ، مدخلون في أمره غش وعيوب وفساد ، أرض همة مصوبة
إلى البحر ومنه نهامة ، أرض جلس غلبيطة ، الواهن الضعيف في العمل
التارك له ، الفالج الفائز ، المناقلة المحادنة ، الاستطراد نوع من المكيدة ،
الighbار ما لان من الأرض واسترخي والجدد الأرض المستوية الغليظة
وما استرق من الرمل وفي المثل من تجنب الighbار أمن العثار ، ومن
سلك الجدد أمن العثار ، العقدة العقار ونحوه يقال اعتقد فلان عقدة اذا
أشترى ضبة او اخند مالاً من عقار وغيره وهي مستعملة عند عوام
الشام ، الكفاية الخدم الذين يقومون بالخدمة ، الخاتمة جمع خاتن والقدرة
جمع غادر ولا تستعمل هذين الجمعين اليوم وكثير من الجموع أغفلناها
مع الزمن كالجلورة والخزنة والخونه والكذبة . الاعتاب مصدر قوله
أعني فلان اذا عاد الى مسرتك راجعاً عن الاساءة ، الاستئثار المشاوره
اعذر الرجل بالغ في اظهار عنده ، الطرق ضعف العقل وفلان به طرقه

أي هوج ، أجم الطعام كرهه ومله ، استجمام القلوب اراحتها ، السرقة
خلاف الملك نطقه على أقل الاوائق وليس ب صحيح ، الاختلاط (١) ،
المبالغة في الحلف واليمين ، الباور الفخر بالنفس ورفتها ، انلاد (٢)
تنمية ، فاش الرجل اذا افتخر ومنه التفيش وهو الكهر والاداء
اتور ركب الوزر أي الاثم ، حقرية الذلة ، خبال الامر انتظار
واختلاطه ، الشرج المثلث والنوع ، ينبعج بيج ، الاستجرام (٣)
والعيوب ، استجمس اعيا وتعب ، القعدة الكرسي او الطنفة ، الخنزير
ما يجعله المرء عده له عند ميس املاحة اليه ، الشكيمة قوة القلب وشدة
أنبته ، انغم في فلات اذا عابه واستضعفه وصغر من شأنه ، اشتراك
الضففاء اذا أخذ اموالهم ، اوتغ دينه بالاثم أفسده ، الحجه بغير دليل
فلان اهتكه منه بشتمه ، الانبهاق في الشيء التوسع فيه ، اشتباہ
وتکسف لزم الكهف والكهف المغاردة والملجا ، اخطر جعله في خطير ،
رضخ له من ماله اذا أعطاه ، خن الشيء يضنه فهو موضوع ووضعي في
بعضه على بعض ونضده ، العقوبة ما حول الدار والمحلة ، الكسى (باض)
وؤخر العجز في كل شيء والجمع اكساء وركب اكساء ، سقط على فقاہ ،
اجتالم بالشد حولهم عن طريق قصدهم الخ ...

ومن الفاظ الكتاب الثاني (١) العقابان خشبستان يشبع الرجل بينهما ليجلد
(٢) الفيج الحارس أو رسول السلطان أو حامل البريد (٣) ، المطعطة حكابة
صوت الجمان اذا قالوا عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوماً (٤) ، الابليز وطن
الابليز طين مصر وهو ما يعقبه النيل بعد ذهابه عن وجه الارض لفترة
مصرية (٥) ، تقبل العامل العمل تقبيلاً التزمه بعقد ومنه المتقبلون أي الملزمون
باصطلاحنا اليوم (٦) ، هذا عول الدولة أي المستعان به أو أحد خدامها (٧) ،
يعرب عليه يود عليه بالإنكار (٨) المُجْمَل المستعمل على جملة أشياء كثيرة
غير ملخصة جاءت هكذا : عرض الغلام عليه بحملها بما يجري يوماً يوماً
وليلة ليلة (٩) المطرح المفرش وزناً ومعنى (١٠) المسورة بكسر الميم
محنة مدورة (١١) اخردادي ابويق من الباور الحجري ذو عنق ضيق

وجسم يزداد اتساعاً من أعلى إلى أسفل . والمرادادي الحمر ، والغالب أن هذا الإناء كان خاصاً بوضع الماء كالباطية . وقال العلامة كونكرو إنها خردالية بالذال في الثانية وهي كامنة فارسية نوع من أنواع الشراب كانوا يشربون فيه أيام الأعياد (١٢) القصريّة كالاجانة إناء لوضع الزهور أو الطيب (١٣) الرفاص اجير البناء وهاتان الفظتان مصريتان (١٤) بعض الشيء جزءاً وببعض له أي ناوله بعض ما على المائدة من الطعام نحبياً (١٥) ينزل معه ما يقدر على حمله من زل الطعام أخذه وتناوله والرائحة ألم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك . (١٦) البذرفة الخمارة . (١٧) في الكلام على هذه جامع ابن طولون (فامر بأن تحضر له الجلوود فأحضرت) فسرته بأنهم كانوا يرسمون خطوط البناء على الجلد ، ثم اطمعت على كلام للمباحث يقول فيه : وعلى الجلوود يعتمد في حساب الدواوين وفي السكاك والعهود وفي الشروط وصور العقارات وفيها تكون نموجات النقوش ومنها تكون خرائط البرد وهن أصله للجراب ولعفاص الجرة وسداد القارورة (١٨) ورد فيه فتخرج علينا الكتب المأمة الخصوبة نقشاً أو تصارييف ، وفي كتب المائدة اختصبت المرأة تصارييف أي أطراف أصابعها وطرافت المرأة بنانها إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء (١٩) الزيجاج : قطع لحم صغيرة تجعل في القدر عليه غمرة ماء وقطع دارصيني ومحص مقشور وبسيير ملح فإذا أغلق توخذ رغونه ثم يطرح عليه رطل خل حمر وربع رطل سكر وآوفية لوز حلوي مقشرأ أو مدقوفاً ناعماً يدلف به الورد وخل ثم يطرح على التاجم (٢٠) البوارد يقول المطبخة الموضوعة في الخل وماء الحصرم والسماق وما التفاح والريباس (٢١) السفتحة كفرطفة أن تعطي مالاً لآخر ، ولآخر مال في بلد المعطي فيوفيء إياه ثم فتستفيد أمن الطريق وفعله السفتحة بالفتح والمآل المستفتح المرسل إلى بلد آخر سفاتح (٢٢) الذَّرَبُ : فساد المعدة . ومن ألفاظ الكتاب الثالث : أبرد القوم دخلوا في آخر النهار ، جبا الرجل مشى على بيده وبطنه فنظر إليه عن عرض وعرض من جانب

أربد وجهه وترى أحر حمرة فيها سواد عند الفضب ، يقال هو حدث
ملوك بالكسر صاحب حديثهم ، وكثير الحديث حين السياقة له ، المتعدد
الحانو المثلثة بيناً وشمالاً ، تذمّم استنكف يقال لو لم ترك الكسر
تانياً لتركته تذمماً ، أثناها بعد هذه من الليل وهداه وهدي وهدوه ، أي
بعد هزيع من الليل أي حين سكن الناس ، يقال ما يرجم بفعل ذلك
أي ما يروح وما رمت أفعله وما رمت المكاثر وما رمت منه ورور
بالمكان أقام فيه ، احتمم منه وعنده وحشمه واحتسمه أخجله ، وزعزع
موطأ العقب صاحب سلطان يتبع ، رجل أثير مكين مكرم ، زوجه
الرمح طعنه به في فيه ، نكدر زيد حاجة عمرو منه أيامها ، غزوه بيده
نحشه ، الطائف العس العس^٢ القدح العظيم ح عساس ، القصب الفرج
الضم ، تطفيل الشمس غروبها ووجبت الشمس غربت ، شق الدار والجنة
ناحية منها ، فلات ما يلبي درهماً من جوده ما يسلك ، الصرم البيوت
المجتمعة ، يوم صائف حار ، تنفر نفسه تنقبض ، الخريطة وفاء من ادم
(جلد) وغيره يشرح على ما فيه أي يشد ، عاقمه خاصمه ، فلان ملزوم
لازم غرماؤه ، البهلوں كصرصور السيد الجامع لكل خير ، حادرت
السنة اذا قل ما ذهابا ومطرها ، الاشراف بالثنين الحرص ومنه الحديث
من أخذ الدنيا باشراف لم يبارك له فيها ، غبت الشيء بقيته ، زهر
السراج نلالاً ، العوراء الكلمة أو الفعلة القبيحة ، الشاكري الاجير أو
المستخدم ، ابن نفي كفني نفاه أبوه ، رجل أخن وآمة لخاء لم يختنا ،
يقال افعل ذلك وكرامة لك وكرمي وكرمة لك وكرماً لك وكرمة عن
ونعيم عين ونعمة عين ونعمى عين ، ويقال نعم وجباً وكرامة ،
انقطع به ان كان ابن سبيل فانقطع به السفر دون طبله وهو
منقطع به ، يقال للرجل غند التوديع معاناً مصاحبًا ومن فال
معان مصاحب فمعناه أنت معان مصاحب ، صهرته الشمس أي صهره
آلت دماغه ، أقاد القاتل بالقتل قتله به ، لببه جمع ثيابه عند نحره
في الحصومة ثم جره ، استشرف الشيء رفع رأسه لينظر اليه ، نطول

عليهم اهتنٌ كطال عليهم ، وتطول تفضل ، الباطية اناه عظيم والرطالية وعاء يجعل فيه المهر وغيره ، رب الأمر أصلحه ، الرافعه الجماعة نذيع الى الناس ما يقال ، تقول أو طأني عشوة أي جعلتني أطئ ما لا أراه أي أوقعته في أمر متليس وغرتني حتى اعتربت ، احتسب عليه انحراف منه الحنف ، تواعدوا انمدوا او الاولى في الحب والثانية في الشر ، رب به هجم عليه وتوب في ضياعي استولى عليها ظلماً ، الربع الدار يعنيها حيث كانت ج ربع وربوع وأربع وأربع . الفحل الوجل الكامل الرجولة ، القرم السيد .

ومن ألفاظ الكتاب الرابع (١) الطهوج ذكر السلكان واحدها ملك كمرد والملك فرع القطا أو الحجل (٢) السمك قبع رائحة المحم ، الحنف (المنق) وريح السمك (٣) غضف الاذنين استخاذهما (٤) البشمارذك هو الذي يكون في آخر الاخلال من داخل المثل ويسمى الكازك ، وهذا تعريف المؤلف له ولم يجد له ذكرآ في كتب اللغة (٥) أطراف الغالب أنه من أمراض الجوارح ولم يجده في المعاجم : ومعلوم أن المعاجم لم تستوف جميع ألفاظ اللغة وقد وجد دوزي المولندي مئات من هذه الالفاظ ملأ بها كتاباً له في مجلدين أسماء ملحق المعاجم العربية (٦) الحوجلة القارورة (٧) القدير المحم المطبوخ في القدر (٨) قمر فلان الرجل عليه في القمار (٩) الكندرة بحث البازي يهيا له من خشب أو مدر (١٠) الحنف وعاء الطيب (١١) تفرض الشيء أخذه أولاً فأولاً (١٢) خربع المشارع جعل فيها الحربع والخربع نبت كاسم يغشى على آكامه ولا يقتله والمشارع جمع مشرع معناها طريق الحوض (١٣) النبان كرمان مراويل صغير يستر العورة المفلاطة (١٤) قرنص فلان البازي افتتاح الصيد (١٥) اركب الطائر نهيا للطيران أو ضرب بجناحيه (١٦) عبر الطير زجرها (١٧) رمح الطائر ألفي ذرقه (زبله) (١٨) سبق الطائر ألفي السباقين في رجليه والسباق القيد (١٩) الشهدانج ويقال له شهدانج حب القنب وفي اللغة الشامية القبس (٢٠) قبض الطائر وغيره اسرع في الطيران وهو قادر

وفيض بين القباضة والقبض منكمش مربع ومنه والطير حافات ويقشر
(٢١) القاند نوع من الحلواء يصنع من السكر ودقيق الشعير والزنجفون
ومن ألفاظ الكتاب الخامس : الاسطقات أو العناصر والاكريل
دواه اذا طبخ به الجلد المذاب جعله ذهباً او فضة او غيره الى العصايم
او الى الصفرة ، الطين ويعرف بالطين الارمني وفي الشام (سمونه الترمس)
وهو الطين الذي يؤكل ، وسئل عما كان يأكل ويشرب كل يوم فقال
المدقة والمرفة والملبقة والمرودة (الملبقة الملين بالسمون) . البريطاني
وأصلها بالفارسية بربت أي صدر البط لأن صورته تشبه صدر البط وعنه
وأهل هذا الفن وغيرهم اعتمدوا على لفظة العود ، السكبينج نوع من
العقاقير ، الاختبئين عقار من ورد وعسل ، متريديطوس ويقال مترا
اختصاراً ومعناه المنقد من خرد السم (والاصل في هذا الاسم اسم
الطبيب مخترعه ومركبها) ، التفسرة بول يستدل به على حال المريض وعنده ،
القيفال بالكسر عرق في اليدين يقصد ، الدستور الوزير الكبير الذي يرجع
في أحوال الناس الى ماريسمه ، القولنج مرض معدى يعسر معه خروج
الثقل والربيع . وقد وقعت له عدة تعبيرات راكب نسيناها او تناسبناها
ومنها تشور خجل ، يجعلني من أدمة اهلك وارض عني ويقال جعلت
فلاناً أدمة اهلي اي اسرتهم وأدمه بأهله خلطه بهم وجعله كواحد منهم
ومنها الخاوف اي المعوان ورجل محفود يخدمه اصحابه ويعظمونه وبسراعون
في طاعته .

هذا ما امكن اقتباسه من ألفاظ الأسفار الخمسة التي نشرتها ، فكم
في الكتب المطبوعة والمخطوطة من أمثالها ما أنسيناها ونحن له محتاجون
كانسينا من الحلويات العصيدة والخيصة لما جاءنا من الفرس الفالوذج
واللوزينج ثم أنسيناها لما جاء الترك بروااني وسلام ثم أنسيناها جمعاً لما
أتانا الإفرنج بيرويش وبيرونج والله اعلم ما يدخلن الغيب لنا من الالفاظ في
المستقبل ، وفي هذا دليل آخر على حيوية هذه اللغة وقابليتها للتطور بحسب الزمن
مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها وبالفصيح من مفرداتها وشواردها .

الثورة الثانية

في يوم ١٢ آب ١٩٤٩ قام الجيش السوري بنزوة ثانية بقيادة سامي الحناوي والعقيد بهيج الكلاس وزمرة من الضباط ، وقطعت مدفعية دمشق في الساعة الثالثة صباحاً وبقى على الشهير حسي الزعيم صاحب الثورة الأولى ورئيس الجمهورية الرابع ، وعن رئيس حكومته رئيس مجلس وزراء نكبة المرة تولت فتنان من الجنود تائف كل منها من اني عشر جندية بقيادة نائب لتنفيذ حكم الاعدام على كل من حسي الزعيم ومحسن البرازي بعد أن عصبت أعينها وشد كل منها إلى عمود ثبت في الأرض ، وجر الاننان مضرجين بدمائها ، وتقدم منها رئيس الفتنة وأطلقا عليها طلقتين من مسدسها للاجهاز عليها .

والى القاري، الاسباب الداعية الى هذا القتل في بلاغين رسميين صدران عن قائد الجيش والقوى المسلحة الزعيم سامي الحناوي .

بلاغ رقم (١)

أيها المسؤولون :

لقد قام جيشكم الباسل بانقلاب يوم الثلاثاء من شهر آذار المامعي لينقذ البلاد من الحالة السيئة التي وصلت إليها من قبل ، وقد استقام ذلك العمل بالفرح والتقدير لما وعد به زعيم ذلك الانقلاب من إنقاذ البلاد من فوضاها ، واعادتها إلى عزتها وكرامتها في بياناته الأولى ، ولكنه مالبث حين استتب له الامر ان اخذ يتطاول هو وحاشيته إلى أموال الأمة ، فيبذرونها بالاثم والباطل ، والى كرامة البلاد ومقدساتها فيدوسونها ويلوثونها ، ويعيرون بقوانين الامة وحرمات الأفراد .

هذا عدا ما صعب ذلك من سوء الادارة والغوضي والتدھور ،

حيث أخذ الناس يخرون من الجيش ورجاله لما صارت اليه البلاد
حالة أفعى بكثير مما كانت عليه من قبل ، وإذا أضفنا إلى هذه الفوضى
الداخلية تلك الفوضى التي صارت إليها سياستنا الخارجية رأينا أنّي ، صير
سي ، قد بلغته البلاد .

لها ، وبعد الاعتداد على الله القوي العزيز ، عزم جيشكم الباس الذي
لا يزيد إلا الخير للبلاد أن يخلصها من الطاغية الذي استبد وعنه هو وحزبه
حكومته المخربة ، وقد أتم الله للجيش ما أراد فأنقذ شرف البلاد من ظلمه
وعندهم ، وقد آتى على نفسه أن يسلم زمام الامر الى الاحرار الخاصين
هذا وان الجيش وقواته ليعاهدوكم أمام الله والتاريخ أنهم لا يغافون
من حركتهم الاخيرة للبلاد الا أن تعيش سرية الجانب حرفة مستقلة ،
وستترك الجيش لزعماء البلاد أنفسهم قيادة البلاد .
فعلى كل سوري أن ينصرف الى عمله هادئاً مطمئناً ، وانقا من ان
قاده الجيش سيعودون الى نكباتهم لتنظيم الجيش وترك أمور السباقة
إلى رجالاتنا والسلام .

القائد العام للجيش والقوى المساندة دمشق في ١٤/٨/١٩٤٩

الزعيم سامي الحناوي

بلاغ رقم (٥)

أيها السوربون الأحرار :

بحمد الله العلي العظيم تم الانقلاب الحقيقي ونجحت البلاد من طاغيتها
المجرم الباغي ، الذي حاد عن الجادة المستقيمة وعنه عتوا كثيراً بعد
أن وعد الموعيد الخلابة ، وخدع الخاصة والعامة ، وظهور بحب الخير
والفيرة على الوطن الى أن استتب له الامور فكشف عن حقيقة نه
وأخذ يسير البلاد حسب أهوائه ، وقد زاد الطين بلة اعتماده على رئيس
وزراء عرفة الناس جميعاً بسوء الأخلاق والخيانة والاساءة الى كل وطني
شريف والقضاء على الروح الوطنية والتزعة القومية والمبادئ العربية ،
وقد كان أحرار البلاد من مدنين وعسكريين يرون كل أولئك فيجاولون

تفويج الاعوجاج ولكن مهارات للعالي ان يصوّر ، وال مجرم ان يفيف .
لقد قال الطاغية لبعير انقلابه أنه قام بحركته انقاذًا للبلاد من حالة
البؤس والفوضى الذين صارت إليهم في العهد الماضي ، ولكنه سار بالبلاد
سيرة جعلت الناس تذكر بالخير العهد الماضي ، وتنمي لو عاد على ما فيه
من عيوب وساويه .

وأتمم الطاغية رجال العهد الماضي بتزوير الانتخابات ، فإذا هو ينور
استفتاء شعبياً كاملاً ويُسخر من الناس أجمعين ، ويجعل سورياً مذلة
في أفواه العالمين ليتسم أريكة الجمهورية التي حلف الإيمان يوم حركته أنه
لا يفي من وراء حركته منصباً ولا زعامة فإذا هو كاذب خداع .

انهم الطاغية الحكومة الماضية بناوة الأحزاب المعارضة والقضاء عليهم
وتسلیط زبانية الحكومة عليهم فإذا هو يفعل شرًا من تلك الحكومة ،
فيُنافي على كل حركة انتقاد ويُسخر الدولة لخدمة أنصار الحكم وجماعته .
زعم الطاغية انه قام بانقلابه خدمة للأمة وانقادًا لصحتها من التضييق
على حريتها ولا يحزنها من العمل والنشاط ولشباتها من التحرر فإذا هو
وحكومته يفتكون بالاًحرار ويضيقون على الحريات وبعيدون أنصار
الانتداب إلى منصة الحكم ، حتى اخذنا نرى وجده الانتداب من خلف
ستار عفيف .

لقد حمل ذلك الطاغية على رجال العهد الماضي بكثرة الخلافات والولائم
وانفاق مال الامة بالباطل وجعل وظائفها وقفًا على الانصار بصرف النظر
عن الكفایات والأخلاق ، والاستهتار بقضية رئيسة قضية النقد والمصالح
المشتركة ومعالجتها بالكذب والمهاطلة ، فإذا هو يفعل شرًا منهم ويجعل
الناس يتترجمون على النباش الاول .

لقد زعم حسيبي الزعيم وأبواقه المأجورة أن رجال العهد الماضي أفسدوا
ضمائر الشعب واستعملوا الضغط والارهاب ، وملؤوا السجون بالاًحرار
والوطنيين فما قولكم فيما أخذ يفعل فعلاً شرًا من فعلهم معتمداً على
كل خائن وحبيـل مجھول الأصل ، يفتـك بأصحاب البيوتات ويضغط

على أهل الكرامات مالنا سجون المزة وحلب ومحص وحماه والادفنة
بالامحرار من الوطنيين والشباب المخلصين .

لقد ادعى ذلك الطاغية أنه اذا تار على العهد الماضي لامه حمل الشعب
المتوسطة والفقيرة أكبر قسم من الضرائب وخاصة الغرائب غير المشرفة
التي تسبب الغلاء في المواد الفضفاضة ، وحصر القطع النسادر ورجح
التصدير بفتة محدودة من التجار ، ولكنكه كان في عمله أقسى ومر ، وفر
استمر ظلم الطبقة الفقيرة والمتوسطة وأخذ رجال الطبقة الفقيرة بغير رحمة
منه بما يهدونه من هدايا وما يغدوونه على أقربائه وأنصاره من زينة
وسرت ، فسكت عنهم وقر لهم من مجلده واخذ يستمع الى افواهم حتى
صاروا هم الساسة الحقيقيين للبلاد .

قال حسيبي الزعيم انه جاء ليغلق باب الرشوة والسرقة وخيانة تاجر
الموظفين وتقليل النفقات وتنظيم الدوائر من العناصر الضارة وتنسيق كافة
الجهمة والخونة فإذا هو يفعل العكس فيقرب الجهمة والخونة وينقص عمار
الموظفين الشرفاء الفقراء ولا يعتمد في كل دائرة او ادارة الا على الاصدار
الاجنبي والمرتشين والسارقين واعداء البلاد ويقفي على كل حر شريف
خلص بلاده ، معروف باصالته وشرف نفسه .

قال الزعيم ورجال حكومته السابقة انهم يريدون توجيه السياسة
الداخلية والخارجية توجيهها صحيحاً فإذا هم يدفعونها في طريق ملتبسة ،
ويستأذرون بالسياسة العربية والخارجية ويدفعونها في طريق الانحدار
والانانية والتآمر مع الاستعمار ، ويعلمون كل الاسباب لقطع اوصال
الأمة العربية ونأيدها المليزيات .

نعم الزعيم انه جاء ليصون دستور البلاد وكرامتها ولينتقم من عطوا
دستورها وحكمها الشوري ، فإذا هو يخرق الدستور ويعطل القوانين ،
وكلما قيل له ان البلاد لابد لها من دستور خدر الناس والصحافة بتأليف
البعان وعقد الاجتماعات حتى اذا انت اللجنة سماعة بعض مواد الدستور
على غير هواه وعقله الملتوي الاخري ثار على اللجنة وأفحها ، وشد
رباعها بعد ان كانوا بالامس من اقرب المقربين .

وبعد هذا طرف بما نقم الناس على حسني الزعيم في اعماله العامة
وادارة دفة الحكم . أما اعماله الخاصة واخلاقه الشخصية هو وحاشيته
فحدث عنها بما تشاء من السوء والانحطاط وكأنه نسي ان بيار الشام
بلاد حافظة لها تقليدها واخلاقها وانها تكره المبوعة والتخت تكره
الطفرة والاعمال المبتسرة ، ولكنه كان يظن انه قد اصبح بذلك نور
المطلق يفعل ما يشاء وما على الشعب الا ان يقلده ويتابع خطواته من
اعماله دستور مقدس ، وحركانه خاذج صالحه .

اے ایسا

لقد قام جيشكم من جديد بانقلاب وان قائدكم الاعلى ليحافظ على اركانه
ما قام بحركته الا انقاذها لسمعة البلاد وكرامتها بما صارت اليه ، وان
سيدعوا في اليوم التالي احرار البلاد على اختلاف النزعات والاحزاب
لتسلم دفة الحكم على الشيكل الذي يريدونه وانه هو ورجال الجيش
سيذروون في مراكزهم لحماية الحدود وحفظ عزة البلاد بعيدين عن الندخل
في السياسة فان ها ارباباً غيرهم ، وان قائد الجيش العام يوجد من كافة
المواطنيين ان ينصرفوا الى اعمالهم كالمعتاد بكل سكينة وهدوء تاركين
لارباب السياسة تسيير دفتها معتمدين على اخلاقهم رجالها المعروفين
بشرف النفس وطهارة اليده ونقاوة الماضي وال فكرة القومية والاخلاص .
القائد العام للجيش والقوى المسلحة

الزعيم سامي الحناوي

هذا ما نشره المؤرخ الحناري على الناس ، ومعظم ما قاله في المثير
حتى الظعن غير صحيح .

المجلس التأسيسي

جنت صديقي الرئيس الجليل السيد هاشم الأتاسي شاكرا له فبورة رياضة الدولة ، عقب مقتل صاحب الثورة الأولى السيد حسني الزعيم ، وقلت له : ان رضاه باستلام زمام الامر على علو سنه ، رفع من قدر سورية في أنظار العالم ووفقاها شر فتنة لا يعلم عما تتجلي ، لأن الشان والكم홀 قد لا يتقدرون على من يوسع إليه الحكم ، فتحددت مشادات لانحمد ، وهو بالنظر لما خص به من مكانة سامية يرتضي رئاسته كل عاقل . فقال : (وصدق في قوله) ان غاية ما أرجو أن يكون لسورية مجلس مؤلف من نواب يعرفون قدر مهمتهم . وقد تحقق قوله فكانت النواب على الجملة من الفئات الصالحة بعلمه وأخلاقها ، ذلك لافزء ما جرى انتخاب حر في هذه البلاد مثل هذه الانتخابات (١٩٥٠) .

قضى النظام الجديد على الاممية والاقطاعية ، وكان مجلس النواب السابق غالباً بالأمينين والاقطاعيين ، وأعطى الحق للنساء المتعلمات التعليم الابتدائي أن ينتخبن نوابهن ، وهذه ظاهرة تقدمت بها مدينة دمشق سائر بلاد الاسلام بفضل حكومة المشير الزعيم . فأصبح للنساء في سوريا كيان سياسي معترف به ، ودل هذا الانتخاب ان الأمة اذا تركت لها حريتها تحسن القيام بواجبها ، وتعرف ما يصلح لها وما لا يصلح .

وبهذا ذهب من طريق النيابة جمورو غير قليل من ادعية الوطنية ، والأمينين والاقطاعيين ، والملوئين بالرسا وسماسرة منافعهم والذين امتهنوا الحاسوبية لحساب الاجنبي .

وأجبا هذا الانتخاب في الامة ما كانت ضفت فيها مظاهره كالاعتراض بالقومية ، وأشعر قلوب أبناءها معاني الوطنية ، وتحررت الأعناق من الاستعباد لأرباب القراء ، وكانوا يملون على الشعب ارادتهم ، وليس عليه

الا الخضوع والطاعة ، وأدرك حتى العوام معنى الحكم النيابي ، وأنشأوا ببنفسهم ما انطوى عليه من الحيرات ، اذا توالت أيد طاهرة وعقول مفكرة ، معتقدة في سرها وجهرها أن حياة كل وطني مناط حياة أخيه وأن شركتها لا يضر بها الا الاختلاف الذي يجعل الروابط وبزق القوة . وبما أثبتت حياد الحكومة في هذه الانتخابات أنها حرمت على دخول الكلمة الوطنية - حزب الحكومة السالفة - ليتولى المعارضة في المجلس ، وبذلك فائدة للحكم النيابي ، فأبى رجافا أن يشتراكوا مع معارضيه بالائمه ، لتخوفهم على ما يظهر من الا تصدق الحكومة في حيادها ، وأن تستعمل معهم الطريقة التي كانوا يلتجأون إليها من التزوير والضغط ، وهم الذين اعتادوا أن تكون الحكومة عونانا لهم في فوزهم ونكسهم من النيابة .

تمثلت في هذا المجلس معظم الأحزاب ولا سيما حزب الشعب الذي أصبح حزب الأكثريية فصدق على المجلس الجديد الى حد بعيد مقاله غستاف لبون من أنه مضمون أعظم رقي من مجالس البلاد الديموقراطية عندما ينتخب الناخبوون أناساً يعرفون حقائق الحياة ، من أرباب الصناعات والتجارة والزراعة ، بدلاً من انتخابهم من صفوف رجال المحاماة ، ومن صرفوا أوقاتهم في دفاترهم وكتبيهم .

وبعد أن وضع المجلس التأسيسي القانون الاسمي انقلب إلى مجلس نبالي وانتخب زعيماً للجمعية التأسيسية فخامة السيد هاشم الأنصاري .



سِيَاسَةُ سِيَاسِيِّينَ

لتي الغربيون العظام من استبداد الملوك ، فهم نجدهم الى ان الحكم الجمهوري اقرب الى السلمة من الحكم الملكي ، ورأوا ان بضموا لرئيس الجمهورية قبولاً حتى لا تخدعه نفسه بتعدي السلطة التي خوّله اليها مجلس الامة ، ومنها الا يجوز له ان يتولى الرئاسة الا دورة واحدة ، وبعد ان يخلفه رئيس آخر لامانع من توليته ثانية . اشترطوا هذا وهم العارفون بما في الطياع البشرية من الآثرة والطعم ، وما نسوا انهم ما كان ينجيهم من ظلم الطغاة من الملوك غير موتهم ، او اعلان نورتهم عليهم ، او تنازلهم عن عروشهم اذا ضعوا عن مقاومة خصومهم .

واغبطةت سوريا ان أصبح حكمها جمهوريًا في عهدها الاخير بعد فرون مظلمة انت عليها في الاستبداد ، وكان ان وقعت في الفوضى التي حاول الغربيون تقادها بتحديد مدة معينة لرئاسة الجمهورية ، فأنهى حزب الحكومة القائمة مدة الرئاسة قبل حلول أجلها مع الرئيس الاول السيد محمد علي العابد والسيد هاشم الأتاسي ، ولما خلفهما الرئيس الثالث وهو من المسيطرین على ذلك الحزب لذاته الحكم فلم يكتف بقضاء مدة القانونية في الرئاسة ، وحاول أن يتولى الرئاسة دورة ثانية ، والدستور يحظر ذلك ، فهو عليه أعواذه الوصول الى غايته بنقض ما كان أقسم اليبقى على المحافظة عليه ، وشائعه أكثر النواب وبعضهم من صنائعه « ومن سعى في نقض ماتم من جهته فسعيه مردود عليه » « والحكومة التي لا تطبق المباديء التي انبعثت منها ليست حكومة شرعية » ، وما كان قد من زينوا للرئيس خرق القانون في الحقيقة الا خدمة أنفسهم ، لما وفر في نقوصهم من سهولة العمل معه لضعف ارادته ، أما اذا كان الرئيس قانونياً وحازماً فتفوقهم المفاجم وتقطع ارزاقهم .

وصل الرئيس الثالث للاستمتاع بالرئاسة ثانية طريقته الشادة التي وافقه عليها بعض النفعيين والوصوليين ، وما استمع لنصح العقلا . من كانوا يدركون عاقبة ما يحمل عمله الثاني من البلاء على البلاد . وقد يصح له أكبر شخصية سياسية في الدولة رئيس الجمهورية الثانية السيد هاشم الأنصاري وهو المشهود له بموافقه المشرفة ، ومضايقه النقى ، ومعرفته الواسعة بسياسة الامة ، ويعرف الى ذلك أخلاق الملتفين حول الرئيس الذي لم يبال بتفصيل نظام مقدس في سبيل جر المنفعة الى نفسه ، نصح له الا ينفعن القانون الأساسي . لأنه خاف اذا عبت السيد القوتلي بالدستور أن يسن سنة سبعة بطبع بعدها في نقضه كل أفاق تحدّثه نفسه بالرئاسة . وما كان الرئيس الأنصاري عن يتم في نصحه لصديقه الرئيس القوتلي ، وكانت المعروفة انه يغضف عليه ويروع صداقته ، ويؤثره على أكثر أصحابه ، ولكن القوتلي عصى على النصح اذ لم يكن يجول في فكره الا تجديد الرئاسة له ، بأي صورة من صور الاعتداء على القانون ، وبعد كلام من ينصحون له بما لا ينطبق على هواه كلام خيالين لا عمليين .

ولم يكدر ينم للسيد القوتلي ما أراد من تجديد رئاسته حتى بدت الأنظار صحة آراء من نصحوا له وفساد رأيه فيما ارتاه ، فأخذ ، وفي ظنه أنه نجح في مسعاه ، يسترسل في استبداده ، ولا يروع غير مصلحته الخاصة وبدت عيوب ادارته تنجلع عيناناً وأغلاظه السياسية توالي ، ومنها اقدامه على الحرب في فلسطين ، وليس للجمهورية الاستعداد اللازم لخوض معركتها . وكان من نتائج عبشه الثورة عليه وعلى حكومته ، حمله على ترك الحكم على الرغم منه ، ولما تمضى أشهر على رئاسته الثانية ، في حالة من الذلة والاهانة لاتحمد . وكان الى آخر ساعة وهو في معتقله حريراً على الاحتياط بالكريمي ، وما وقع كتاب استقالته الا بعد الالحاد الشديد عليه ، ومن أحرقوا عليه بعض أصحابه . ولو قد اكتفى السيد القوتلي بقضاء مدة رئاسته الأولى في الرئاسة على نحو ما قضاها به نظام الجمهورية لذهب من ميدان السياسة بما كان في أيامه الأولى من خير وشر ، وباصراره على انتخابه ثانية

بدت للناس عيوب ادارته ، وادراج سياسته (على ما فصلنا ذلك في الجزء الثالث من المذكرات) أما الرئيس الثاني الذي خلفه في الحكم يوم الثورة الاولى فان الرئاسة أنت اليه تتجدد أذيالها ، وما قبلها الابراج ، الساسة والنواب وأهل الرأي وكلهم يجهرون على أنه خير من نوسة الى زعامة في هذا الزمن العصيب .

وفي كل ما جرى ظهرت حكمية المشرع الغربي في تحديد مدة رئاسة الجمهورية ، وتقيد من يتولاها بقيود حتى لا يظن أنه أصبح ذا سلطان فاهر ، لا ينفعه مانع من مخالفة ماتواطأت عليه الامة . أين رئيس من رئيس وعقل من عقل . سبحانه أرغم الناس بعقوبهم ولم يرضهم بأزفاهم .

نجح الرئيس الاتاسي فتولى رئاسة الجمهورية مرتين مدوخ بالسيرة موفقاً المساعي ولم ينجح الرئيس القوتلي في رئاسته الاولى ولا في الثانية على ما يحب . والسبب أن الرئيس الاتاسي مارس الادارة والسياسة بالعمل منذ نال شهادة المدرسة الملكية الى أن تولى رئاسة الوزارة ثم رئاسة الجمهورية في المرة الاولى وما زال طول حياته متوفراً على زيادة معلوماته ، فزادت مع الزمن زيادة كبيرة ، وطبق النظريات على العمليات . أما الرئيس القوتلي فلم يعمل فكره منذ خرج من المدرسة في غير اثارة الثورات على ما فيها من المضار في اغلب الحالات ، ولم يدخل في شيء اسيه ادارة أو سياسة من أعمال السلطان ، ولا تقلد حملأ يتمرن فيه ولم يعرف الاصول والأنظمة ، ولم يدرس أخلاق الرعية وما يصلحها ، وكانت أول وظيفة تولاها وزارة المالية ، لم يصرف فيها أكثر من بضعة أشهر ، ومنها انتقل الى رئاسة الجمهورية . والادارة والسياسة تغيرت وتوجيهه ودؤوب ، ومن الصعب على من اعنة التغريب بسياسة سلبية لا يحسن غيرها ، أن يضطلع بسياسة ايجابية لم يتعودها .

الرئيس القوئي

ما جوزت أن أخط حرفًا فقط في نقد من يعملون لامتهم بعزل عن المصالح العامة . الا اذا كان من سيرتهم عبرة يراد منها رفع مستوى الاخلاق . أما من كان لهم مدخل في العموميات يرفعون ويخفون ، ويغدون ويفترون ، ويسعدون ويثقون ، بكلمة تخرج من أفواههم ، فهؤلاء من حق كل وطني أن ينتقدم لتناول ما تكتبه أيديهم بمجموع الامة . وأنا على هذا مع رئيس جمهورية سوريا الثالث .

سألت صديقاً لي أن يذكر ملاحظاته على الجزء الثالث من المذكرات فقال لي : في المحسن أم في غيرها ، فقلت له في غير المحسن . قال : أليس ما كتبته عن الرئيس المنتحى شديد اللهجة ؟ قلت أما هو ضعيف الارادة قوي الحزبية ، أما بده أموال الامة في غير فائدة ، واصطعن السفة وأغناهم من مال الجمهورية ؟ أما حتى بسمية وخان الدستور ؟ أما باشر انتخاب المجلس النيابي بالحراب والتزوير ، واشترى ضمائر بعض النواب حتى ينتخبوه ثانية ؟ قال : هذا صحيح ولكن ما كتبت فيه سيكون تاريخياً ولا يترجم الا بما وصفته به . فكان جوابي : ولماذا ما حسب هو هذا الحساب ؟ كان عليه ياصاحبي أن يدرك أن بيده تحدين تاريخه فشوّه نفسه ، ولو أنصفها لعلم أن أقل ما ارتكب يكفي في الحكم عليه . استكتب السيد شكري القوئي أيام رئاسته رسائل وقصائد في مدحه دفع ثمنها من بيت المال . فاختبر له بعض الافقين صورة لا تشبهه في أفواهه وأفعاله ، وألسوه الحلة التي تفر إليها نفسه . ومن أحب الوقوف على مبلغ حبه للمدح فليلق نظرة على الجرائد التي اصطنعها وعلى مبالغات الفاحشة في مدحه . وعند نفسه انه بذلك يخدع الامة ويتم له كل ما يريد . قلت لأحد أصحاب الرئيس وأصحابي : أنا أعرف ما بينكما من صدقة

- ١٤٤ -

وفرابة ، وأنكما من جمعتهم الحبة وألقت بينهم الحزبية ، فماذا حدث حتى تأثرت القلوب والخلال تلك الرابطة التي جمعت بينكما حقبة من الدهر ؟ فاجاب : ياسيدى انه لا يرضيه الا من يصانعه ، ولا يجب أن يفاته انسان ما يكره ، وما يكره أن تصدقه حال الموظفين . وأنا أربأ بنفسي عن أن أدهن له ، وأرى من الحياة أن أكتمه ما يجب اطلاعه عليه من حلة الداورة العظيمة التي وكيل الى أمرها ، ومن طبع صاحبى أن يرى زيراً على كل انسان في الدولة أن يطاعنى . رأته أمامه ، ومن لم يفعل عذر من المستهزئين به شأن المستبد السلط .

يقولون انه كان ظاهر اليد ، وأنه لم يظهر في صندوقه يوم فتح بعد سقوطه الا أربعون ليرة ذهب فقط . وسواء صع هذا او لم يصع فالرئيس استحصل على ما يظهر أخذ هدايا بعض التجار والنواب والوزراء وهذا الصنف من الناس لا يهدى شيئاً لو لم يكن في الرئاسة . وقال بعض المدافعين عنه في معنى قبول هذه المدايا ، إنه كان يطلب مالاً من التجار وغيرهم لينفقه في مسائل وطنية مستعجلة تعجز موازنته الخاصة عن الوفاء بها . وكان يجوز لنفسه اتيان كل ما حظره القانون والعقل لاعتقاده أنه فوق القانون لا يهم الا رضا جماعته ، ومن يعتقد أنه بتآلفه فلم فائدة شخصه ، فيجود عليهم بما يستهون ويصانعهم الى أقصى ما نقضيه سياسة الصانعة ، ولا يهم الا بقاوئه مدة حياته رئيساً للجمهورية بالاسم ، وملكاً مستبداً غير متوج بالفعل .

ولا نحب هنا أن نورد له عشرات من المسائل خالفة فيها الفوانين وتعدى اختصاصه ، وليس أغرب من غضه الطرف عن المحتلين ، وفي أيامه شاعت الاختلالات شيئاً كبيراً ، وكان المحتل يهدي الى من يعطف عليه فييراً وبعاد الى عمله ، وكان بعض المفتين اذا طالبو باحالة السراق الى القضاء يعدون من أعداء « الوضع الحاضر » ، ومعنى الوضع الحاضر الرضا بالحكومة الحالية على عُبَّرها ونجَّرها ، وعلى رأسهم من ينضيهم الرئيس . مثال صغير من عقليته في الحكم وتساهله بأموال الجمهورية . اخْتَلَسَ مدير المؤسسة التعاونية نحو ثلاثة وعشرين ألف ليرة وثبتت مرقته

بعرفة مفتش نزية فلم يرض الرئيس بعاقبته على سرقته وقال : انه ليس في حكومته عشرة شبان من عياره ، وأمر أن يتركوه له ليوليه منصبًا في السلك السياسي أي أنه أzymع أن يرسل الى الخارج اصحاب ممثلة ووردية . ومنها أنه وهب أحد الرعاع فضلات الطرق في بعض الحروف العاصمة ومعها أحجار أثرية عظيمة ، فكان من مجموعها مزرعة حسنة بلغت مساحتها نحو خمین فدانًا . وكان هذا يتولى اعطاء أهل جبهة حصتهم من السكر والأرز . وقد يأخذها لنفسه في بعض الشهور ويقبض ثمنها لجيء ، وينحرم الوفا من الحلق مادة مهمة في طعامهم . والرئيس يعرف ذلك فيما قيل ويسكت عنه . وله من هذا القبيل أشياء ما كانت تجري ليلاً تناهيه في الحلم ، ومنها أن أحد موظفيه استهدى باسمه أشياء ثمينة من بعض الأعبان وعرف الرئيس بالأمر بعد مدة وسكت عن المحتال ، ولم يذارعه على فعلته القصحة ، ورقاه وأحسن الله .

كان الرئيس مغرياً بالدخول في كل أمر من أمور الحكومة والرعاية حتى ولو كان بما لا يدخل في خصائصه ، ولا يلبي أن يتذرع به . وكان بعض معتمديه يتلاعبون بما طلب لهم التلاعب ، ويشاركون في أمور لم تجر عن رأي سيدهم ، أو كانت في نظرهم من المسائل التي لا يذكرها إذا أطلع عليها ، بما فطر عليه من سعة الصدر مع بطانته . حدث أن أرسل أحد صنائمه إلى أوروبا في مهمة سياسية ، فسرقت منه مومس مفتاح المفاوضة بالأرقام وغير ذلك من الأسرار ففُقد عنه وأعاده إلى الخدمة بعد هذه الحادثة الخنزير .

وما خالف به الروح الدستوري جهاراً طلبه اعتماد أربعة ملايين ليرة سورية فقررها النواب وهم لا يعرفون وجه صرفها ثم تبين أنه كان بنوي السفر إلى العراق ولما لم يذهب بقي المبلغ معلقاً في الفضاء ولم يعرف أين صرف بعد ذلك.

وكان توصيات الرئيس الى الوزارات والدوائر لاتقطع ، وقل أن يكون للحق نصيب من عذابه كما كان للمبطل ، ذلك أن صاحب

الحق موفن على الاعلوب أنه يصل الى حقه بمراجعة الطرق القانونية . وكلمة واحدة يوصلها أحد مستخدمي قصر الوئامة في الهاتف أو في بطاقة تقدم وتأخر في مستقبل شخص ، أو تفضي على حق ظاهر وتقر غيبها وتنثر عساها ، والسابق الى الشكوى هو الفائز ابداً . والويل لمن لا يرقى به قلب الوئام ، أو أحد حاشيته أو بعض أفراد أمراته وأنجعه .

أراد الرئيس مرة أن يدخل فتاة جميلة من بنات الأعيان إلى القصر الجمهوري يعمد إليها أمر التشريفات مع الامحاني ، بمحجة أنها تحسن لغة أجنبية ، على أن تتناول راتبها من وزارة المعارف . ولما كان القانون يمنع من انتداب السيدة على هذا الشكل غضب الرئيس على مدير المعارف وما وقاه الله شر غضبته الا سقوط الرئيس . وأنا في مرحلة كتاب من أحد المستخدمين في القصر الجمهوري يقترح انتخاب أحد المشردين من لبنان عضواً مرسلاً في المجتمع العلمي العربي ، فائلزاً أنا اذا التخبيه عضواً يكون رئيس المجتمع اللبناني العتيدي - والمجتمع اللبناني لم يؤسس ولم يجتمع الى اليوم -- وكان الرئيس يكتفي لو أنصف بما يعرض عليه من جواب أن يعرف أن صاحب الادارة أعرف بما يصلح ادارته وما لا يصلحها ، ولو كان في ديوانه من يعرف قانون المجتمع في اختيار الاعضاء ما كتب على لسان صيده هذه الوصمة الخجولة .

قلنا ان الرئيس كان يعطف على اناس يوی في اصطناعهم قوة له ، ومن الاسف انهم خذلوه يوم عزله ، وتناسوا اباديه عليهم ، وراحوا يعرضون خدمتهم على خلفه متخصصين متذللين ، واطلاعاً الخدع هو بظواهرهم وجاز عليه هذيان من كانوا مختلفون الى مجلسه ويغرون بسلطانهم ، ومنها أن الامة كلها لا تتخاذل عنه بديلاً . فنام مفتبطاً بأكاذيب الكذابين . وما كان يرضيه من عماله الا من ينافقه على النحو الذي يتغىبه ، ومن يجرؤ عليه فيصدقه الحقيقة ينبذه ويقصيه ، لذا كان من سياسة جماعته أن يدعوا الله الى أقصى ما يسعهم من ضروب الدهان ، وأن يكتمو الحق عنه لامن نفسه لاتتحمل وقوعه فيها . وإذا فاتحوه بما لا تهوي نفسه نصب لهم

عداوة تنمو أبداً ولا تنقص . ومن البلية أنه كان محاطاً بـ عوطفين يخالون فقط في قبض الرواتب وما ورائهم من مدايا وعطايا ، والذئب يخالون في البقاء على حـنـ العلائق معه ، ليبقوا في مناصبهم أكـبر مـدة ، و منهم السيد حـنـ البرازـيـ من وزرائه . سـمـتهـ في حـلةـ أقيـمت في مدرج الجامعة السـورـيةـ برئـاسـةـ الرـئـيسـ يخـطـبـ فيـتـدـحـهـ مـدـحـاـ مـيـقـ

ـ بينـهـ وـبـيـنـ الـلوـهـيـةـ الـأـخـطـوـةـ وـاحـدـةـ ،ـ حـنـ خـجلـ الحـضـورـ منـ سـاعـهـ هـذاـ النـفـاقـ الـبـايـخـ ،ـ وـكـادـ بـعـضـهـ يـصـفـ اـسـتمـجـانـاـ وـماـ خـجلـ الـوـزـيرـ منـ فـولـهـ لـاتـ الرـئـيسـ لـايـضـيهـ مـنـهـ غـيرـ هـذـاـ .ـ وـالـلهـ أـعـمـ بـاـ كـانـ يـقولـ لـهـ

ـ فـيـ الـحـلـوةـ حـتـىـ يـسـتـدـيمـ عـطـفـهـ .ـ وـيـقـالـ اـنـ خـانـهـ بـعـدـ اـنـ مـتـعـهـ بـنـقـهـ زـمـنـاـ وـأـعـطـاهـ مـنـ مـالـ الدـوـلـةـ كـثـيرـاـ ،ـ وـكـانـ يـفـرـضـهـ عـلـىـ كـلـ وـزـارـةـ تـؤـافـ

ـ وـيـنـتـدـبـهـ فـيـ الـمـهـاـتـ ،ـ وـيـرـىـ فـيـهـ لـهـ الـاخـلاـصـ الـكـامـلـ .ـ وـقـبـلـ اـنـ الرـئـيسـ

ـ كـانـ يـقـترـحـ كـلـاـ تـأـلـفـتـ وـزـارـةـ أـنـ يـدـخـلـ فـيـهاـ السـيدـ أـحمدـ الرـفـاعـيـ ،ـ لـكـثـرـةـ

ـ مـاـ كـانـ يـقـدـمـ لـهـ مـنـ المـدـيـاـ عـلـىـ مـاـ شـاعـ وـذـاعـ ،ـ مـعـ اـنـ هـذـاـ الرـفـاعـيـ

ـ لـبـسـ هـنـ اـخـتـرـعـ الـبـارـوـدـ ،ـ وـلـاـ عـنـهـ مـنـ الـمـؤـهـلـاتـ لـنـصـبـهـ مـاـ يـكـنـ ،ـ مـنـ

ـ حـنـ الـقـيـامـ بـهـ .

ـ كـانـ عـقـلـ الـأـمـةـ وـرـئـيسـ فـيـ مـنـصـبـهـ يـصـونـهـ عـنـ النـقـدـ بـعـضـ الشـيـءـ

ـ مـخـافـةـ أـنـ يـؤـديـ ذـلـكـ إـلـىـ النـسـهـيـرـ بـهـ ،ـ وـرـئـيسـ رـمـزـ الـأـمـةـ .ـ وـكـانـ إـلـىـ

ـ ذـلـكـ فـيـ مـقـامـ يـسـمـلـ عـلـيـهـ الـانتـقامـ مـنـ يـغـضـبـ عـلـيـهـ ،ـ أـمـاـ وـقـدـ ذـهـبـتـ

ـ الـخـشـيـةـ مـنـ بـطـشـهـ ،ـ فـالـعـقـلـ يـقـضـيـ أـنـ يـصـارـحـ بـاـ أـتـىـ ،ـ وـيـذـكـرـ مـذـوـذـهـ

ـ فـيـ الـحـكـمـ مـنـ دـوـنـ تـرـبـدـ وـلـاـ غـلـوـ .ـ وـلـيـسـ بـدـعـاـ أـنـ يـسـأـلـ الـآنـ عـمـاـ اـقـرـفـ

ـ فـقـدـ جـرـتـ الـعـادـةـ أـنـ يـحـاـسـبـ صـاحـبـ الـمـهـمـ عـنـ اـنـتـهـاءـ مـهـمـهـ ،ـ وـمـمـةـ

ـ الـرـجـلـ تـمـتـ بـوـمـ اـعـقـلـ فـيـ قـلـعـةـ الـمـزـةـ .

ـ فـكـرـتـ مـلـيـاـ فـيـ عـمـلـ السـيـدـ نـاجـ الدـيـنـ الـحـسـيـ وـهـرـ اـنـدـابـيـ عـرـيقـ فـيـ

ـ اـنـدـابـيـهـ ،ـ وـعـمـلـ السـيـدـ شـكـريـ الـقـوـتـلـيـ وـهـرـ وـطـيـ ،ـ وـقـدـ طـالـ عـمـدـ

ـ كـلـهـاـ فـيـ الـحـكـمـ ،ـ فـرـأـيـتـ حـكـوـمـةـ الـأـوـلـ عـلـىـ ضـعـفـ مـوـارـدـهـاـ قـامـتـ بـكـثـيرـ

ـ مـنـ الـاصـلاحـاتـ النـافـعـةـ ،ـ فـقـدـ شـادـتـ مـدارـسـ وـجـوـامـعـ وـدـورـ كـنـبـ

ومستوصفات ومستشفيات ومتاحف وقصور حكومة في العاصمه والافالم وجــوراً ومعابر ومخاfir وفنادق وشوارع ، وعبدت الوف الكبــلــمــترات من الطرق العامة . وحكومة الثاني اقتصر عملها على انشاء بعض مدارس تجــهــيزــية في الشــمال ، بــنيــت بالــلاحــاج نــوابــ تلك الأــصــفــاع وــكــانــت تصــيــفــات بعضــها مــوــضــوــعــة قــبــل تــأــلــيف حــكــوــمــةــ الــكــنــتــلــة . وأــنــشــأــ بعضــ المــســتــشــفــات أــيــضاــ بــعــوــاــمــلــ تــشــبــهــ هــذــهــ الــعــوــاــمــلــ وــبــالــاحــاجــ الــخــافــظــاتــ وــنــوــابــهاــ . أــمــاــ اــهــافــ الــآــلــيــ الــذــيــ أــنــشــأــ فيــ الــعــاصــمــهــ وــصــرــفــ فــيــ هــذــهــ نــحــوــ ثــلــاثــيــنــ مــلــيــونــ لــيرــةــ ســوــرــيــةــ اــرــضــاءــ لــرــجــلــ لــهــ ســلــطــانــ نــافــذــ عــلــ الــاــنــتــخــابــاتــ فــيــ الشــمــالــ ،ــ بــكــوــنــ مــنــهــ يــوــقــدــ دــارــ لــشــقــيقــهــ ،ــ فــقــدــ كــانــ غــيــرــهــ مــنــ الــمــاــشــارــيــعــ أــحــقــ بــالــتــقــدــيمــ بــاجــمــاعــ الــعــقــلــ .ــ وــمــشــرــوــعــ الــهــافــفــ كــانــ يــكــنــ اــرــجــاــهــ بــضــعــ ســنــينــ لــيــصــرــفــ هــذــاــ الــمــالــ الــكــبــيرــ فــيــ اــحــيــاءــ مــلــيــونــ دــوــنــ مــنــ أــرــضــ الــجــزــيرــةــ يــعــيــشــ بــهــ عــشــرــاتــ الــأــلــفــ مــنــ الــخــلــقــ .ــ وــيــقــولــ بــعــضــ الــمــعــتــدــلــيــنــ فــيــ حــكــوــمــةــ الــحــســنــيــ وــحــكــوــمــةــ الــقــوــتــلــيــ أــنــ مــاــجــرــىــ فــيــ حــكــوــمــةــ الــأــوــلــ كــانــ بــعــرــفــةــ رــجــالــ الــدــوــلــةــ الــمــتــدــبــةــ وــتــوــجــبــهــمــ ،ــ فــلــمــ جــاءــ الــوــطــنــيــوــنــ وــتــرــكــواــ لــأــنــفــســهــمــ ،ــ عــســرــ عــلــيــهــمــ أــنــ يــســرــوــاــ بــســيــرــةــ الــحــكــوــمــةــ النــاجــيــةــ .ــ وــعــنــدــنــاــ أــنــ هــذــاــ دــلــيــلــ آــخــرــ عــلــ عــجزــ حــكــوــمــةــ الــقــوــتــلــيــ ،ــ وــلــاــ يــقــوــمــ مــنــ هــذــاــ القــوــلــ اــعــتــذــارــ عــنــ تــقــصــيــرــهــ .ــ

اعود فأذكر ماقلته في هذه المذاكرات اني لا أخترع لمن أغرض
لذكرهم مزايا ليست لهم ، ولا اسلبهم مخصوصا به من المزايا^(١) . واني

(١) كتب اليه صديقي الأمير مصطفى الشهابي في مرض الاعتذار عن الرئيس القوتلي فيما اراه في رئاسته يقول : ان الاعمال العبرانية التي قات امام رئاسته ليست قليلة « وذكر عددًا منها » وأما غلطاته في الحكم فقد بالغ خصومه فيها ولعل مردّ معظمها الى كون رجال السياسة عندنا قد تضروا خطراً كبيراً من حياتهم يكافعون الانتداب ، وليس بمعيب أن تبدو مقاتلي بعضهم في الحكم ، والحكم بعد يحتاج الى مران طويل ورجل الكفاح لا يستطيع أن ينــســخــ رــجــلــ دــوــلــةــ بــيــنــ عــنــهــ وــضــحــاهــ . ثم من المعروف ان بعض الذين احسن فخامة الرئيس القوتلي اليهم ، وخصهم بالناسب الرفيعة كانوا مصدرًا مهمًا ل蔓اعبه في الحكومة بحسب حرصهم على الوزارات والملاصب السائرة . قال ومن المعلوم أن الاستقلال النام افتدى استلام الجيش الوطني ، وتأسيس التمثيل الخارجي ، ودوائر الكوس ، ودوائر الأمن العام ، ومراقبة الشركات والمدارس الأجنبية ، وكلها عندنا مالا يفتقر لاشخاص في البلاد العربية في استقلالها .

أعده إلى تصوير الحوادث والأشخاص بحسب ماتعطيني الأدوات التي أديتْ
والمعلومات التي حصلت عليها . وقد يغتر القلم وسلامة الفهد شافعة لما
يقع من الخطأ . واني الى ذلك أتحدى من يتهمني بالتعامل على هذا الرئيس
أن ينقض كلامي بحادثة واحدة اختلفتها ، او خالفت شروط الأمانة في
الحكم عليه ، او بالفت في النقل والرواية . ولا أقصد شهد الله الاتهام
واجب المؤرخ وأن أصون قومي بعد الآن عن الوقوع في جهاز الملاعنة
حتى يوعي كل من يتولى شيئاً من أمر الامة ويعرف أن ميزان التاريخ
دقيق يحاسب على الخير والشر .

المُورَّة الْمَالِكَة

لا ينطبق اسم الثورة على هذه الحركة العسكرية لأنها كانت عبارة
عن تحرير فصائل من الجيش قطعت بعض الطرق في دمشق مصحوبة
بالدبابات بقيادة العقيد أديب الشيشكلي وذلك يوم ١٨ كانون الاول ١٩٤٩
ونشر بلاغاً على الشعب السوري جاء فيه أنه ثبت لدى الجيش ان
رئيس الاركان العامة اللواء سامي الحناوي (وهو صاحب الثورة الثانية
التي قضى فيها على المشير حسني الزعيم والبرازى رئيس حكومته) كان
وبعض هئته السياسية يتأمرون على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظام
المهورية مع بعض الجهات الأجنبية ، وان ضباط الجيش كانوا يعلمون
هذا الامر من بدايته ، وحاولوا بشتى الطرق بالاقناع تارة والتهديد الضمني
تارة اخرى أن يحولوا دون قيام المؤامرة وأن يقنعوا المتأمرين بالرجوع
عن غيهم فلم يفلحوا فاضطر رجال الجيش حرضاً على سلامته وسلامة
البلاد وللحافظة على النظام الجمهوري أن يقبروا على المتأمرين وعلى رؤسهم
اللواء سامي الحناوي وبعض الضباط . وبعد اعتقالهم بضعة أشهر اطلق
مراحهم فخرجوا من أرض الجمهورية واعتاصموا بلبنان ثم اغتيل اللواء
سامي الحناوي في مدينة بيروت بيد ابن عم محـن البرازى الذي كان
قتله مع رئيس الجمهورية حسني الزعيم .

حكمة شرق الأردن

ـ وفت بريطانيا العظمى الملك عبد الله بن الحسين ملك شرق الأردن فما وفاته على ضم قسم من الجزء العربي من فلسطين إلى سلطنته بعد أن استولى الصهاينة على ما أهمل الاستيلاء عليه من أرض فلسطين قيام دولة إسرائيل . وقد ساء جامدة الدول العربية أمر هذا الضم وأحيثت على الملك الماشربي فلم يعبأ باعترافها . ولو لم يضم هذا الأقلام إلى سلطنته لضمه إسرائيل إليها ، ومن المتعذر إنشاء مملكة على حيال نابلس والخليل وما اليهما لضعف مواردهما ، وقد عرف أن حكومة البريطانية تعاون حكومة شرق الأردن كل سنة بنحو أربعة ملايين جنيه لتنفق على جيش صغير وعلى حكومة نظامية .

ولقد نشرت بعض الصحف المصرية صوراً من المفاوضات التي دارت بين الملك عبد الله وحكومة إسرائيل خلال الحرب الفلسطينية الأخيرة وألفت عليه تبعة الكوارث التي أصابت فلسطين واستنكرت عمله في الوقت الذي كانت مصر تحارب إسرائيل وتعتقل الصهاينة وتتجزأ أمورهم وتنفق الملايين من الجنيهات في حربهم ويموت المصريون برصاص اليهود . قالت وبينما كانت مصر تعمل كل ما في طاقتها لدفع العداء الصهيوني عن فلسطين كان الملك الماشربي يحرص على تحجيم علاقته مع إسرائيل . أما الأقلام الذي ضم إلى دولة شرق الأردن فقد أخرج في الانتخابات النيابية عشرين نائباً كما أخرج الأردن نفسه عشرين منهم . وما أظن سكان غربى الأردن يصلون إلى مائة ألف ساكن الآن .

عکسیم انگلیز

قال غروسو في كتابه ميزان التاريخ Grosset : Bilan de l'histoire حكم الانكليز العالم في القرن التاسع عشر فكانت انكلترا كالماء أو أكثر كثرة من الفحم الحجري والحديد مimbأة للثورة الصناعية . الانكليز أمة بحرية واخوان افولانديين والسكندينافيين بالدم ويفوقونهم في بـ الاستقلال وبـما يتمتع به سكان جزائهم من الخصائص .

تقدـم الانكليـز خـلال القرـن الثـامن عـشر فـرنسـا وـعـولـانـدـة فيـ الاستـيلـاء علىـ الـبـحـار ، وـلم يـنشـئـوا المـسـتـعـمرـات الـبـرـطـانـيـة عـلـى سـطـح الـأـرـض فـقـط بلـأـقـامـوا منـالـمـسـتـعـمرـات ماـبـأـفـق سـكـنـاهـة الـأـورـبـيـين ، وـكـاوـاـجـهزـونـهاـ بـثـلـ ماـجـهـزـتـ بهـ انـكـلـتـراـ منـأـسـابـ الرـقـ فـيـؤـسـسـونـ انـكـلـتـراـ جـدـيدـهـ فيـ كـلـ مـسـتـعـمرـةـ . وـتـنـحـ الـأـرـضـ اـفـولـانـدـيـةـ فيـ اـفـرـيـقـيـةـ ماـقـنـهـ اوـسـتـرـالـياـ قـانـونـاـ يـتـعـمـهاـ بـجـرـيـتهاـ - وـهـيـ منـ جـمـلةـ أـمـلاـكـهاـ - وـلـاـ أـخـضـعـتـ لـسـطـانـهـاـ ماـأـسـتـعـمرـهـ المـسـتـعـمرـوـنـ منـ الـأـورـبـيـيـنـ قـبـلـهـاـ كـالـفـرـنـسـيـيـنـ فيـ كـنـداـ وـالـمـوـلـانـدـيـيـنـ فيـ التـرـنـسـفـالـ . وـاستـطـاعـتـ بـاـخـصـتـ بـهـ منـ سـيـاسـةـ حـرـةـ أـنـ تـرـدـ عـلـىـ الـمـفـلـوبـيـنـ اـسـتـقـلـاغـمـ الدـاخـلـيـ المـلـطـقـ وـتـعـهـمـ بـلـسـانـهـ وـنـقـافـهـ وـادـارـهـ ، وـكـانـتـ سـيـاسـتـهـاـ رـشـيدـةـ تـواـزـيـ فيـ نـبـلـهـاـ نـبـلـ الـغـرـضـ الصـادـرـةـ عـنـهـ . وـمـعـنـيـ هذاـ اـنـهـ تـرـدـعـ فـيـ نـفـوسـ أـعـدـاءـ الـأـمـسـ جـرـانـمـ الـإـخـلـاـصـ الـتـىـ تـتـجـلـىـ فـيـ سـاعـةـ الـحـطـرـ . وـاـذـاـ تـيـسـرـ التـوـسـعـ فـيـ الـمـلـكـ عـلـىـ مـثـلـ هـذـهـ الصـورـةـ يـسـامـعـ الـمـفـلـوبـ غـالـبـهـ ، وـتـفـتـحـ لـهـ الـنـلـوبـ بـعـدـ فـتـحـ الـأـرـضـ . وـهـنـاـ فـوـارـقـ عـظـيـةـ بـيـنـ الـأـسـالـيـبـ الـأـلـمـانـيـةـ وـالـأـسـالـيـبـ الـانـكـلـيـزـيـةـ ، وـقـدـ ذـهـبـتـ انـكـلـتـراـ بـالـفـضـلـ فـيـ ذـلـكـ فـتـلـطـفـتـ وـمـنـحـتـ الـمـنـدـ وـهـيـ مـلـكـهـاـ الـحـكـمـ الـذـانـيـ مـرـاعـيـةـ قـوـاءـهـ كـلـ الـمـرـاءـةـ .

ما فام منذ عهد تراجان في رومية تسامع أكثر من هذا التسامع ،
ولا شهدت حرمة جماع العناصر والأديان والثقافات أكثر من هذه الحرمة
وما ثنت عظمة قط بأكبر من هذه العظمة . وما كانت الإمبراطورية
البريطانية كقرطاجنة ضيقة الرقعة ، بل كانت واسعة الأغراض بجزء
الآفاق على نحو ما انتعمت إمبراطورية الرومان أيام الصالحين من أمتع الخضراء
وقادت إنكلترا وهي مؤلعة من ٤٥٥ مليوناً بأول نجرها جريها البشر
بأسرم للجمع بين دول متختلفة بأصول شعوبها ، فهادوا أن يجعل منها
وحدة حرة أو في طريق التحرير على أن تقلب هذه الوحدة إلى عصبة
أمم بلا حدود ترسم لها ، عصبة ترعاها وتشرف عليها ، ثم يفودها
خير القواد .

هذا رأي غرسه في استعمار الإنكليز و قوله صادر عن حرية سرورحة
بالفرام بقول الحق شأن المؤرخين في العادة . وليته أدى بينما يرى في
استعمار أمة دون أن يعرض بألمانيا خصيصة فرنسا . ولو فعل لكان
رأيه سديداً من كل وجه ، وهذا الاستعمار الإنكليزي على عظم شأنه
ماخلا من عيوب يعرفها من عاش زمناً في مستعمرة إنكليزية أو بلد
يختله الجيش الإنكليزي . فقد نصب الإنكليز مثلثاً مستشاراً للمعارف في
مصر اسسه دنلوب كان مثال التعصب الذميم فأغضبه المصريون لأنهم ما أحبوا
انتشار المعرف على الطريقة التي تنفعهم بل على المثال الذي رسه له
سادته الموحون إليه ليقيي المصريون تحت سلطة دولته عبيداً خانعين .
فححدث ما لم يدخل في تقدير البريطانيين ، وتعلم المصريون التعليم العالي
بأنموذهم وارشاد أرباب البصيرة منهم ، وأنشأوا الجامعة المصرية الأولى
وطمحوا في أن يعلموا أولادهم تعليماً حراً وما استمعوا النصح عبيد الإنكليز
لورد كورمر يوم صرح في حفلة افتتاح الجامعة المصرية الأولى بأن التعليم
الابتدائي أجدى على المصريين من التعليم العالي . والتلاميذ الابتدائي بصوغ
من المصريين فلاجدين متمدنين بعض الشيء ولا بعدم المطالبة باستقلالهم
وانشاء حكومة راقية ، وبالتعليم العالي ينشأ افراد يحيّنون المجاهرة بحقوق
بلادهم وهذا ما حصل .

هذه الغلطة في سياسة التعليم في مصر على عهد الاحتلال الانكليزي وهي غلطة متعمدة لم تجبي عرضاً ، وهناك اغلاط تنتقد راي عمل خلاها ينتقد عليه منها بالغ صانعه باتفاقه ، ولكن اذا أربى الجميل على القبيح فهناك الاستهار المقبول في الجملة . والظاهر ان الانكليز وهم عمليون في ادارتهم وسياساتهم يكتفون من المستعمرات بالاحتفاظ بصالح امبراطورياتهم العليا ولا يتدخلون في الكبير والصغر بأحوال المستعمرة .

عنزة النفس

قلت ان الموظفين طبقة مهذبة ومنهم العف النفسي ومنهم من لا يرى بأسا من املاء جيده من ايدي من يراجعونه في قضايا مصالحهم . وليس لدى احصاء اعرف به السليم من السقيم ، لأن سليمهم أو ما عرف انه كذلك ، اعتاد الستر على سقيمهم فيختلط في جموري المرعي بالعمل . لكنني اقدر بالعقل ان ارباب الاستقامة قلائل يضيعون في غمار الفاسدين . ولقد لاحظت طبقاتهم في عهود مختلفة فما كان الا طرزاً واحداً في الاحتياط على الرعية يسلبونهم ما يقدرون على سلبه منهم بسيف الارهاب احيانا وبسيف الحباء تارة ، وتقل هذه الاخلاق وتكثر حتى فيمن يتغافلون بمحب الظاهر عن الرشوة ، والعادة فيمن لا يرتشي ان يقبل دعوة صاحب العلاقة ، ومن انواع الرشوة هدية النباب والطرائف والحلبي وتقديم القبنات ، ورب رشوة حلت نفعاً مادياً غير ظاهر كان تمدي شركه صناعية رئيس جمهورية جانباً من اسهامها عادةً له من المؤسسين ، وما كانت تجود عليه بنصف سهم لو كان بعيداً عن منصة الحكم . اعتاد بعض الموظفين هذه المعايرات القبيحة فأصبحت فيهم غير مستنكرة ولا مستكرهه ، وتكون على أشد حالاتها فيهم اذا كان في اهلهم من

عرف باضاعة الحقوق . هذا وقد ألف الآخذ والمعطي فعلته بالانكار
وعدم الانكار . وأحسن أصناف الموظفين من ورثوا من أهلهم أو من
عملهم السابق ثروة فليلة تكفيهم للظهور بالظهور الذي يجب أن يظهروا
فيه من دون أن يسخروا إلىأخذ البراطيل ، فهؤلاء في الغالب مثال
لعموم من المحسنين بين المنصوبين وخدمتهم خالصة على الأكثرون .

قوله ثبات

كتب صديقي الاستاذ سليم النججار جلة في مجلة الورود البنانية ترجم
فيها لصديقه وصديقي الشيخ يوسف الخازن رحمه الله فقال انه من أسرة
بنانية كبيرة لم يألف رجالها العمل الجدي المتتابع كمعظم رجال الجبل
في عهده . فقد عاش مثلهم كباراً في مطالبه كباراً في تفكيره ، يفكر
في العمل فيثب عليه بنشاط ثم لا يلبث أن ينصرف عنه مثل السرعة
التي أقدم عليه بها كائناً ما تكون النتيجة التي تعود عليه ، ولذلك لم تعد
عليه جهوده الجمة بالفائدة التي كانت ينتظراها منه ، فتعددت الجهدود
وتباينت النتائج اه .

وكان الاستاذ النججار في وصفه مكان الضعف من أخلاق صاحبه
وصف نفسه في هذه الكلمة . فهو كالاستاذ الخازن صحافي قليل النظير
في افتئاته . صرفت معها في مصر زمناً فكانت أسر بما يكتبهان وينشران
ولا أعلم أن أزاماً يسكنان فجأة وينصرفان إلى وجهة أخرى . وقد آذرا
عشرات من الصحف العربية والأفريقية وأصدرا جرائد وبجلات وما نسبنا
في تحرير واحدة منها . ولطالما صارحهما بذلك لما كان بيننا من صدقة
فكانا ينادشانني أحياناً وبسكتان ثارة ، معتبرين آسفين للأحوال التي
قضت عليهما بالتكلف وقلة الثبات .

لو رزق صاحباه من الثبات ما رُزقه العلماً بعقوب صروف وفارس
نور والاديبان سليمان البستاني وجرجي زيدان جاء منها في السياسة والأدب
أكثر مما جاء منها . فالعمل المتقطع لا تأتي منه بمجموعة نافعة ، والمرء
غالباً لا يشر إلا ما تمن به الفطرة عليه .

واذ كنت جد حريص على استفادة الجيل الحاضر والقادم بما خطته
أنامل الخازن والنبار وأمثالها من اخواني اللبنانيين تمنيت لو جمعوا أو جمع
لهم بعض ما أبدعه أفكارهم في رسائل وكتب حرصاً على تحليمه آرائهم
فيكون ما يدون كتاب تفتقهم وسجل نبوغهم .

وكان هذا الرعيل في أهل الجبل الملاهي غير قليل ومعظمهم من أصدقائي
أمثال شكيّب أرسلان ، خليل مطران ، رشيد رضا ، داود برّكات ،
اسباءيل حافظ ، حسن بيهم ، عبد الباسط فتح الله ، نجيب شاهين ،
خليل سعادة ، خليل زينية ، ابراهيم مصوّر ، انطون جميل ، أمين تقى الدين ،
عمر الفاخوري الخ . ومنهم من هاجر الى مصر وظهر فيها نبوغه بفضل
الحرية التي تمنت بها منذ كان الاحتلال الانكليزي فيها .

المصيّدة

ما أغانه على انتشار الغرام بالسينا أن أكثر الناس مولعون بسماع
الغرائب والا كاذيب . وكان من الولوع بالقصص والروايات أعظم عنون
في هذه السبيل . واذ كانت سدى القمة ولحمتها الاخلاق وهي الملاحة
الوحيدة في الاكثر جامت السينا ناطرها هذا التهو وهذا العبث .
والسينا تفوق التمثيل بأشياء ، ونجمع بين الطيب والجبيث . ومن
طبيها استعمالها في المدارس والكتنات لالقاء الدروس وتربيه الملوكات
شرح غواص العلوم وتقرب منالها للمستفيدن .

يقول العارفون في وصف هوليوود مدينة السينما في الولايات المتحدة (وهذه أعظم المراكز اصدارات الأفلام في العالم) ان مدينة هوليوود تضم سلسل من الظرف والشهوات والمزبل والسرور والصوصية والقتل والعنفان البشري عامة وتنتمي على الشاشة البيضاء . وكل ما ينبعث من هوليوود يقترب الرجال والنساء والاطفال والبنات ، وبشهادة في العام ٢٠٠ مليون منخلق كل اسبوع . والسينما من أعظم الصناعات الحدبية بقال اربعين ما يستمر فيها من الاموال في العالم نحو خمسة ملايين جنيه .

اصلاح الصحف

ورد في الدستور السوري الجديد (سنة ١٩٥٠) أن القانون ينظم أسلوب مراقبة موارد الصحف ولا يجوز تقديم معونة مادية لها من خزانة الدولة أو الادارات العامة أو البلديات منها كان شكلها . وقد بذلت هذه المادة في النص الاخير من الدستور الذي نشر على الامة . وما وضع أعضاء المجلس التأسيسي هذه المادة الا بعد أن نظروا النظر البليغ في أمر الصحف وثبت لهم ما جر التساهل مع بعضها في المافي من اضاعة حقوق وتضليل عقول . وكان للشركات وما بذلت صناديق استخبارات الدول من معاونات وما تعطيه الحكومات القائمة من المشاهرات مدخل كبير للعبث بالامانة على حساب الرعية . وانت أيام ، على عهد الترك والفرنسيين والعرب ، عز فيها الصدق في الصحف . ولو قدر الله وطبق القانون الجديد على الصحافة بطل في الجملة غويم الحقائق وجلرت الامور في نصابها ، وقل الكذب والتغريب ، وكانت تظهر حسنات هذا القانون كلما تشددت الحكومات في اتفاذه . وبقطع المخصصات عن الصحف لا ينبع منها الا السليم ذو الوارد القانونية ، ولا يتلو القاريء فيها بعد

ذلك الا ما صع من الأخبار والأفكار . وبذلك تسلم الصحافة ويفتن
أربابا في انقاضها فتحوز رضا الجمود ورضا الحق ويزيد انتشارها وتتوفر
اعلانات ، وتخلي من الفش الا ما لا سبيل الى توقيه .

نعم كانت بعض الصحف فيما مضى تصدع بأمر من يعاونها وتنزل عنى
ارادته نذيع عنه ما يشاء وتكتتم عن الناس ما يشاء . ولو لا المراقبة
وخوف الصحف من الاغلاق ومن الحكم على مديرها ومحرريها لرأى
الناس عجباً من لاعب يحمل خراب أمة ، مثال ذلك أن بعض الصحف
كانت تعرف من أخلاق أحد الروس، ما يعرفه كل وطني فلم تكتب
فيه يوم سقوطه كاملاً واحدة تخدم بها التاريخ والحق لأنه كان أثراً
بل أثراً من مال الأمة فرأى من باب الاعتراف بالجميل أن تكلأه
على بيض أيديه عليها بالسکوت عن سوء ادارته ، وبعض الصحف تأمل
رجوعه الى منصبه واستعادة حظوظه فيسلفونه مدحهم وثنائهم ، وبوجهون
القراء ان الرجل يعود الى الحكم لا محالة ببرقيات يضعونها تنشر بتواقيع
ما عرف أحد من وشحت باسمائهم الجمولة .

قال لي صاحب أديب : أعترف لك وللحقيقة والتاريخ أنني لما اشتدت
الأزمة بين وزارة المعارف في عهدي وبين رئيس الجامعة السورية استدعايني
هذا وأنا تلميذ في الحقوق وطلب مني أن أخطب فيك لأنك تنويني
أخلاق الجامعة ودفع إلى مكافأة على مهاراتي خمسة ليرة فتلتفتني مسروراً
لأنني كنت محتاجاً إلى مال ، وكان والدي يقتصر على في النفقه حتى
لا أصرف على نفسي . وذكر لي أسماء بعض من أعطاهم الرئيس من تلاميذه
الحقوق وغيرهم لهذا الفرض . أما الصحف التي أكرمنها حتى سكتت عما ظهر
من تفritis الجامعة من السرقات وسوء الاستعمال فانما بفضل ما قبضت التزمت
السکوت المطلق وأنعمت الطرف بما كانت الوزارة ترمي اليه من اصلاح
الجامعة لا اغلافها كما أشاع رئيسها وأنصاره .

مؤامرة دينية

نشرت جريدة المساء الدمشقية مقالاً :

اكتشفت في حلب مؤامرة خطيرة حاكها موظفو شركة «الإي . بي . سي»، البرولية الانكليزية بابعاً من رؤسائهم، وكانت غبة هؤلاء أثاره الفتنة الطائفية في حلب، إلا أن مؤامرتهم هذه احبطت بفضل العقلاه من المسلمين والأرمن معاً، وتتّبع هذه المؤامرة فيما يلي استيقظ سكان حي الميدان وهو من أحياه حلب الثانية التي يشكل الأرمن أغليّة سكانه ، استيقظ السكان في صبيحة أحد الأيام ليشاهدوا باب مسجد الحبي قد لوث بالأقدار . وانتشر هذا الخبر في كافة أحياه المدينة انتشار البرق وما لبث الاستياء الشديد أن شمل المدينة بأجمعها وأنخذ الغلبة ان ينتشر بين صفوف الناس لاهاته مسجد إسلامي على هذا الشكل الاجرامي . وكاد الحادث يتمخض عن أشياء لا تحمد عقباها لولا أن سارع العقلاه من المسلمين والأرمن إلى عقد اجتماع فيما بينهم للبحث في أمر هذه الجريمة ، وخلال هذا الاجتماع أعلن زعماء حي الميدان من أرمن ومسيحيين لأخوانهم المسلمين أنهم على تمام الثقة واليقين بأن أحداً من رجال الطائفتين لا يمكن أن يقدم على مثل هذا العمل القبيح المنكر وتم الاتفاق بين المجتمعين على مراقبة مسجد الحبي مراقبة دقيقة وكذلك مراقبة الاشخاص الغرباء الذين يدخلون هذا الحي ، وبالفعل فقد رتب أمر المراقبة من قبل مندوبين عن العناصر الثلاثة بشكل محكم .

وبعد يومين من وقوع هذا الحادث شاهد المراقبون سيارة جيب تدخل الحي في الظلام وتوقف أمام باب المسجد ليترجل منها اثنان من ركابها ويقوما باعادة العمل المنكر « تلوث باب المسجد » وخلال قيامهما بهذا العمل وجدا نفسها قد طوقا مع سيارة الجيب من قبل عدد من سكان الحي ، وهكذا تم القبض على مجرمي متابعين بالجريمة . وبعد التحقيق الدقيق تبين أن هؤلاء الشباب يعملون كموظفي في شركة « الإي بي سي» الانكليزية في حلب ، وأنهم قاموا بهذا العمل مرتبين بناء على توجيه رؤسائهم .

خلل في الادارة

كثيراً ما يهدى الى بعض العمال ، أو هم يهدون لانفسهم ، بنوبي بعض وظائف يتلاضون عليها ماينص عليه القانون من اجر اذا أدبرت بالوكالة . وقد يزيد بجموع رواتب العامل من هذا الصنف على مقدار راتب الوزير .

ان جمع رواتب كثيرة في يد واحدة لا يضر أكثر من نصفه ، نصف اعمال اعمال واحد . ذلك أن الرجل منها بلغ من الذكاء والمهارة في صناعته لا يوجد الا عملاً واحداً ، ومن المستبعد أن يحسن الفرد عدة امور فيترتب على هذا خف في معاناة ما وكل اليه من خدمة ولو كانت لا يصرف في العمل الاضافي الا ساعات قليلة . فالضرر يشمل الوظيفة اذا ، وكان الاولى أن يتولها من استعد لها ويتناول راتب الوظيفة كاملاً .

ان الحكومة التي تتساهل في مثل هذا الشأن لترضي من ترضيه ، او ترجو تحقيق أغراض لها ، قد يقضيها الوكيل على ماتشاء ، ولا يقضيها الأصل ، هي حكومة تشهد على نفسها بالضعف . وبما يزيد في تفاقم هذا الخلل كون معظم حكوماتنا الدستورية لا يدوم حكمها مدة طويلة . فاذا كان الوزير على شيء من الحزم يبت في مثل هذه المسائل حالاً ويخلس دواوينه من التقلقل ، واذا كان يعتقد أنه يعمل لاجل مسمى ، لا يهبه الا ارضاء حزبه ، ولا يجب أن يتاذى بعمله أحد ، ولا يعتمد اصلاح ما يجلب له ضجة . واذا قيل ان الوزارة لم تجده الكفوء لهذه المناصب فرأى من الصواب أن توكل بها شخصاً يعتقد أنه يديرها ، فليس هذا من حسن الادارة في شيء . وكل حكومة صحت عزتها على توظيف الائيق للعمل لا تعدم حيلة لاظفر به . واذا كانت على ريبة من اقتداره فما أحراماها أن تعينه بالوكالة حتى تثبت لها كفايته .

ثلوم مصلحة الدولة بتوزيع خدمتها على أرباب الكفاليات ونكثير
مواد الاخصائين في دواوينها . وهي اذا رزقت منه عامل ترجو منه
نجويه عملهم ، أفضل من أن تقني ظانين عاملاً ، ذكراً محدوداً ، ومعرفتهم
قليلة ، وشتمهم بادي الحال .

وكما لا يتوقع غير الضعف في أمور الحكمة اذا ادارت به
فروعها بالوكالة ، وجمعت بعض وكالات في يد شخص واحد ، شهد
الحال أيضاً في تنقل العمال بين مختلف الوزارات . ومن ربي في امتداد
لانصوغ منه ادارياً ، ومن كان في الجنديه لا يذلاً أستاذًا في المعرف
وندر نجاح من يتنقل في فروع كثيرة من الوزارات ، كما ندر نجاح
من يغير عدة حرف وصناعات ، يقفز من واحدة الى أخرى ، والنجاح
متوقف أبداً على الثبات والمران وحصر الوكالة في عمل واحد .

الامتعيات الحمراء

سلطان الدعاية في أيامنا فوق كل سلطان . بها تستطيع الدول أن
تقلب الباطل حقاً والحق باطل ، فهي تقوم على الأكثر بالاختلاق المعيب ،
اذا كان فيه تعظيم أمتها ، وقد تنسب ارجاعها من الجد ماليست لم فيه
الا مشاركة خفيفة . واذا قرأت في بعض كتبهم مثلاً أسماء المخربين
صوروا لك دولتهم على رأس الدول كلها في باب الاختراعات ، وأدروا
أنه مات اختراع على بد مخترع من أبناء أمة أخرى الا كات رجالم
سابقين الى التفكير فيه قبل أن يخترعه مخترعه . هكذا الانكليز والأمريكان
وهكذا الفرنسيون والالمان وهكذا الروس والطليان .

والناريج أكثر ما يحدث فيه التخلط فان كل أمة تكتب التاريخ بما
تفتبيه سياستها ومصلحة وطنها . تمثيل الصغير اذا كان لأمتها حظ منه ،
وتصغر الكبير اذا جرى على يد دولة أخرى . وقد لانعرض الخطيبات

التي ارتكبها قادتها الا بشيء من التلبيع أو التمويه . فاسبابها مثلا لا يذكر مؤرخوها ماأنته دولتهم من السبات في استهارها أميركا الجنوبيّة وغيرها من الجزائر كما وقع ، ولا ما اجترحته من الفظائع في أجلاء العرب عن الأندلس ، ولا تشير انكلترا الى هول المجزرة التي تواتت كثيرة في الهند يوم ثورتها في نحو منتصف القرن الناجع عشر . وفرنسا تعوض الطرف عما ارتكبت ولا تفتّأ ترتكب من الفظائع في الأقطار الإسلامية والشرقية . وروسيا تتّنامي مااعاملت به شعوب فافقياً وتركستان من الاستبداد الربع .

انقسمت معظم الأمم في غمرة هذا ، لافرق بين الشعوب الكبيرة والشعوب الصغيرة في استعمال الكذب على التاريخ ، يزعمون أنهم بحاوارون بذلك تربية الوطنية في أبنائهم ، ولا يهمهم ان كأن يحدث من ذلك عداوة بين الشعوب . وللكثر تكرار الباطل بدعائهم ظلت كل أمة أن الحق ماهي فيه وما عداه باطل . ولو قد سأت بعض النبهاء عن أمر أبوته حكومتهم وهو ينافي العدل والعقل لوافقوا على نقدك وأشاروا اليك أنهم لا يسعهم الا أن يصدقوا رجاتهم .

فالحقائق على الجلة أصبحت في العصور الحديثة في بلاء لا يعلمه بلاء ، ومن أحسن البلايا عبّت من وكل اليهم أمر الدعاية والنشر ، وهم يتعلمون الكذب تعلمأ حتى كدنا نظن أن الكذب أكثر مانسمع ونرى .

وضعت العرب فواعد لكشف الكذب بوضعها علم الجرح والتعديل وكانت لهم طرق غريبة في الوصول الى الحقائق ، وغدا الكذب في هذا العصر وسائط شيطانية تؤثر في البعيد والقريب ، ومنها الصحافة والمذيع ، فانها زادا في مادة الكذب وسهل بها سريانه في الأفكار فاستشرى بذلك فساد العالم . وكانت الكذبة الواحدة في الزمن السالف تحتاج الى وقت حتى تنتشر في الآلاف والآلاف من الناس ، واليوم تنتشر في ساعات قليلة من طريق الصحافة والمذيع في ملايين من الخلق في الغرب والشرق . ذكرني بكل هذا مطالعته في صحيفه غربية مؤخرأ من غير الصحافة

وخطابات الاذاعات في روسيا بما كان لهذه الدولة من اثر عظيم في تأثير المخترعات والمكتشفات ، حتى بلغت المدنية الحدودية هذا الحد ، ولا أحسن في رد هذه الدعوى مما قاله الفصحى الروسي توركانييف سنة ١٨٦٦ في احدى قصصه قال : زرت قصر البلور في لندن فرأيت فيه نماذج من جميع الاختراعات حتى ليصبح ان يقال انها دائرة معارف الانسانية ، فقلت في سري لو كتب لأمة أن تقرض من سطح الأرض ويفنى من هذا القصر كل ما اخترعه هذه الأمة أما كانت أمّنا روسيا الأرنولد كسبة تغرق في التقويم من دون أن تخلل مساراً ، أو تزعزع دبوساً من مكانه ، فالساور (آلة طبخ الشاي) وسياط الكنوت Knout وهي مائدة مملكتنا لسنا نحن مخترعوها أيضاً .

كتائب الفهد الصربي

هو ام جمعية ارهابية أُسست في دمشق ، ولو تيسر لم نطبق خطفهم ثوب جانب عظيم من هذه العاصمة وهلك مئات من أهلها لكثره ما ادخلت في مستودعاتها من القذائف والمدرعات والسلاح الجديد مما لا تجمع منه الا الحكومات المنظمة ، وهو عمل تجرد من الانسانية وليس من الوطنية في شيء . وثبتت أن بعض الحكومات المجاورة كانت تقذى هذه الجماعة بالمال لتنتفيد من ذلك فوائد سياسية تتوقعها .

القصيدة على العلماء

حدني الاستاذ محمد علي الطاهر أنه أرسل من القاهرة الى السيد شكري القوتلي يوم كان رئيساً للجنةورية يخبره بما آل اليه حال الامير شكييب ار-لان أيام الحرب الاخيرة من الضيق وطلب اليه اسعافه فاجابه الرئيس بشيء مع تكرر الطلب ثم توفي الامير وسamt حال زوجه في سويسرا حتى أن السلطات هناك حجزت ثاث دارها فأرسل الاستاذ الطاهر يخبر الرئيس القوتلي بما صارت اليه حالها ويرجوه أن يدها بالمال فما اجابه أيضاً . ان الرئيس القوتلي خن على الامير شكييب الذي خدم العرب والاسلام ، خدمة لم يخدمها الا افراد قلائل جداً في حين كان ينفق الاموال جزافاً على من كان يسميهم « زعماء الاحياء » لاكتساب تأييدهم في الانتخابات ، ولو كان الامير شكييب نظم قصيدة أو كتب مقالة في مدح الرئيس لخفه الى بحدته أيام عسرته ولكن الرئيس اعتاد الا يعاون الا من يعاونونه في سياساته ، وبهذا العمل أثبتت ما للعلماء من قيمة في نفسه .



١١) مصر والبرهنة العلمية

عندكم مؤتمرنا الثامن في هذه المدينة ففتحت لكم أبوابها المائية أو جميع أنانها ، وللجنة فيها زعماء مائانية أبواب فكان اليمن حليف هذا العدد ، حفأً لقد اغبطة عاصمة الشام الطبيعية الفتية بتاريخها أن دين مؤتمركم يتفاهم - ظلال غوطتها وأن تشهد هذه الشخصيات العلمية تأثيرها في صعيدها لخدمة الإنسانية والمدنية وتحقيق آلام أشرف مخلوق درج على هذه الأرض والعنابة بصحبة لتطول حياته .

طب الابدان من أشرف علوم الإنسان وصناعة الطبيب أشرف الصناعات وأشدتها خطراً على صاحبها ، والاطباء أبدوا عرضة للعدوى بالمرض الذي يعالجونها في هذه البنية البشرية أفليسوا وهم الأمماء على الأرواح والأشباح أحربياء بكل رعاية وكرامة .

سعدت جمهورية سوريا الفتية أن شهدتم ياسادي تصررون أياماً في أرضها تصررون إلى أعمالكم العظيمة تقصدون فيها خدمة العلم عامة وأرض العرب خاصة ، واغبطة أبناء الجمهورية أن شاهدوكم تنزلون بلادم على الرحب والسعفة في سبيل أشرف المقاصد العلمية .

في الإسلام فتحت العرب الشام والعراق قبل فتح مصر . وغدت دمشق ثم بغداد عاصمتين العلم ، ولكن مصر مع بعدها عن دار الملك ما اعنت أنأخذت بحظها من نعمة البحث والنظر تحت ذاك الاواه وأخذت نسخ السير الطبيعي في خدمة العلوم والأداب حتى اذا دالت دول العرب ورثت مصر بطبيعة الحال ذاك التراث العظيم وكانت الأمونة عليه عذنه وتعهدته وحنت عليه حنو المرضعات على الفطيم .

وبعد انحسار دولة بنى العباس لم يجد العلم المادي والديني ملجاً

(١) خطاب لنا في المؤتمر الطبيعي الثامن في دمشق .

يُنضم به غير مصر ، وبعد استيلاء المغول على الأرض العربية فرع العلم العربي إلى حمى مصر ، وظلت مصر في معظم أدوار تاريخ هذه الأمة بيت العلم ومتابته . ولما كتب لها أن تهضم هضتها الأخيرة كانت أول من هبت لتلتف الحضارة الغربية من أهل الأقطار العربية ثمأخذت هذه النسخة على منوالها ، بيد أن مصر وهي السابقة في هذه الحلبة ندت كالألم الرذوم ترمع بناتها وبني جيرانها راضية مرضية .

ابتدعت مصر لها في عهد الفراعنة مدينة رائعة كانت أجمل المدنيات القديمة وعندما أخذت الأمم أصولها وفروعها وفي جملتها علم الطب ، وكان كهنة مصر أول من وضع أساسه على ما حقق ذلك شيخ أطباء مصر الدكتور علي باشا إبراهيم وأصبحت مصر في الإسلام شخصية معروفة في العلم . وما شحت في زمن من الازمان باشراك الأقطار الأخرى فيما نتفتها وتلتفتها . ولو لا مصر ما بقي أثر يذكر في هذه الأقطار لشيء يقال له علم عربي وعلم عقلي . ذلك لأن الغفوة أيام الانحطاط كانت وبالأسف طويلة في عامة بلاد العرب أكثر مما كانت في وادي النيل المبارك . وكان أهل مصر خصوصاً بالانتفاع من كل قوة تأتهم من الداخل والخارج ، وطبعوا بطابع خاص في واحتهم البدعة منعزلين عن الشعوب الأخرى وقرىء بين منهم ، يتناغون أبداً بالحرصن على حرثتهم ، ولذلك كانت أيام مصر المعدودة في الاستقلال أطول عدداً وأجمل أثراً من أيام غيرها . وإذا عدتنا أفراداً طالبوا بحرثاتهم في غير مصر ففي مصر من تفانوا في هذه الامنية ، شهدنا جماعات يتولى الحلف منهم ما بدأ به السلف ، وهكذا في مسائل العلم والمدنية .

يوم قامت مصر تؤسس مدرستها الطيبة منذ زهاء قرن كانت الأقطار الأخرى قد نسبت معظم ما كان لها في سالف الزمن من مجده علمي وصناعي ، فقد صارت مصر غيرها جيلين وتلاتة من أجيال الناس حتى اهتم العالم العربي إلى الاقتباس من نورها والجري في الطريق التي هاجتها ، وفي مقدمة الامصار التي باكرت أخذ مناهج العلم والحضارة عن مصر هذه الدبار الشامية ، ولذلك ترى الشام أن كل اكرام يقل للصريين

في ربوعها . وإذا حاولت أن تقوم بواجب اكرامكم فهي تحاول أن تكرم في أشخاص مصر المحبوبة صاحبة النهضة العربية ، نعمكم وذكر الذكاء الذي أحسن محمد علي الكبير استئثاره فأحيا دولة العرب بعد زوره ولو لا هذا الذكاء ما تم لصالح مصر ما أراد . ولو لا ذكاء المصري ما جتمع هذا المزغ في هذا البلد الطيب ولا خطر بباب مصر يأن يؤسس حركة طيبة ثم يعقد المؤتمرات ثم يشرك أطباء البلاد العربية بأعماله .

والواقع يا سيداتي وسادتي أن الأسرة العلوية لم تقصر في كل ذلك في اتخاذ أسباب التهوض بصر لترفعها من طور ولادة مفطورة إلى عدو إلى مستوى دولة عظمى مستقلة بأمرها . وقد ازهرت النهضة المصرية في عهد وارث ذاك الجهد المؤذن جلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر العظيم وهو الذي أسس الجامعة المصرية وأحيا الازهر بتأسيس كلبات التخصص فيه واعطف على كل مشروع علمي وجغرافي وصحي واقتصادي وصناعي ولم ترض نفسه الأنبية أن يكون هذا الخير وفقاً على مصر فقط ، بل تعلقت همة السامية أن يشارك المسلمين في هذه النعمة التي أصابتها مصر فأمر آدم الله دولته بفتح أبواب مدارس بلاده العالية والثانوية لكل من يحب أن يتعلم من أبناء الشعوب الإسلامية . وهو عمل جليل لم يبعده له مثيل في غير الدول الإسلامية الكبرى في الدهر الغابر .

ورجاؤنا وأنت اليوم على أوفاز أن تحملوا من ساطي برد الصغير إلى أخواننا سكان النبل الكبير سلام أهل هذه الديار ، وأن تتفضلوا وتبسلوا ذيول المعدنة إذا لحظتم قصوراً بواجبات الضيافة على ما تستوجهه مكانكم ، فإن قصرنا في الواجب فما فחרت قلوبنا في أن تتحقق لطاعتكم حباً واحتراماً . وإذا كان لي ما أقوله باسم مجمع اللغة العربية الملكي فليس إلا شكركم على ما أولبتم موضوع المصطلحات الطيبة من العناية في مؤتمركم فسهلم بذلك على مجمع مصر الغوي عمله وأثبتم بتضامنك معه أن العلم سلسلة واحدة كحلقة المفرغة لا يدرك أين طرفاها وإن العلماء في الأرض أمرة واحدة رغم الحواجز والتغوم واللغات والاديان ورغم الاعتبارات السياسية والعنصرية ، وهذه قد تزول ولا يزول من الأفتدة عطف العربي على العربي والمصري على الشامي ، والله يسد خطاك و يجعل التوفيق رائداكم وقائدكم وينفع بكم أمنكم سادتي الأعزاء .

نظارات

لو كان من حرموا التاريخ يتذرون القرآن لأدركوا أن ماجاء به من أخبار الماضي هو التاريخ بعينه مقررنا إلى فلسفته والتعليق عليه .

إذا درس العربي القرآن حق دراسته لا يحتاج إلا إلى قليل من كلام العرب بعد في البلاء الفصحاء .

من ادعوا أن القرآن يحمل في دفتيه جميع العلوم لا يدركون أنهم جعلوا منه بهذا الوصف مختبراً في دروس الأنساب ، وما القرآن إلا كتاب حكمة خلق أمة تصلح للمعاش والمعاد وكفى بذلك اعظمان .

إذا لم يحفظ الفقيه القرآن من ابن له أن يعرف الإسلام ، وبأي أدلة يقضي ويفني .

كُتِبَ فصلًا في أصل الوهابية سنة ١٩٠٠ في مجلة المقطف أثبت فيه أن الوهابية حنابلة ، وما كان من عادة القوم أن يسبوا من يخالفهم في مذهبهم ، ويعذون من لا يشتم كما يشتمون أنه من أهل المذهب الذي يبحث فيه ، كان نصبي منهم التضليل والنکفيون ، وهو من أيسر ما تلوكم ألسن الغيراء على الدين .

يزيد عدد من فقدتهم من العلماء والأدباء في نحو سبعة من الشاميين (ويدخل فيهم اللبنانيون والفلسطينيون) والمصريين والعراقيين على متى رجل ، ويدخل فيهم أخواني من علماء الترك المستعربون من علماء المشرقيات وأترائي في مجلس الشيخ محمد عبده وحلقة الشيخ طاهر الجزارى وغيرهم من عاصمتهم وعاشرتهم وأخذت من علمهم وأدبه ،

واسترشدت بآرائهم ، وأعجبت بصفاء أذهانهم وجميل مذهبهم ، ناديت
وقد تللت لي أشباحهم : يا رب كيف تطيب لي الحياة بعد رحيل ذاك
الرعيل الجميل .

كان أحد الوزراء يصرف جانباً من وقته في سماع مراجعات أهل
دينه من القسيسين والمطارنة ، وكان الظاهر من حركته أنه لا يهمه أمير
مصالح أبناء طائفته ، هكذا علمته مدارس الأفرنج التي تخرج بهم ،
ولكم كان أهل يحسنون إليه وإلى بلده لو ادخلوه في الرهبنة لما زهب
أخوانه الثلاث ، وكان يخاطبه لايبيين من وجهه الا أنه راهب في ثوب
مدني ، خرف الدهر فأجلسه على كرسي الوزارة ، وهو لا يليق لأكثر
من وكيل نيابة أو معاون لرئيس دير .

بذل أعداء بني العباس كل ما لهم من حيلة حتى يسقطوا سباقاً
خلفائهم فوضعوا فيهم الحكایات ، ورمواهم من الخازبي بما هم منه أقرباء
يقصدون من الغض منهم نقض بناء الدولة ، والحظ من أبناء الدعوة ،
وما كان بعض خلفاء العباسية كالرشيد والأمويون من تكثير لهم الامثال
في الدول ، ولذلك وجب على حب التحقيق أن يجذف بعض ما حمله
كتب المأشرفات من أخبار الخلفاء ، ويأخذ كل ما قاله أهل الأهواء
في خلفاء الأمويين والعباسيين بتحفظ واحتراز .

السر في ان الشرقي يبالغ بمحضارة الغربي ، والغربي يغالي بالخطاط
الشرقي ، كون كل فريق لا يعرف ما عند الفريق الآخر على حقيقته ،
 ولو استبطن الاول ما عند الثاني لانصف كل منها صاحبه في حكمه عليه .

قال احد حكام الغرب لو لم يقف شارل مارتييل امام العرب في
بوابيه لسبق الغرب الى التمدن ثانية قرون . ونحن نقول لو لم يشغل
معاوية بحرب علي لانتشار الاسلام في اوربا منذ القرن الاول من الهجرة ،

يُعقل اختراع الطباعة بالحروف انتشار الحضارة ، فهي أفسد اختراع نشرت فوائدہ بين البشر .

كان من الخطاط جزيرة العرب حجة لمن يزعمون أن في تعاليم الاسلام ما يجعل دون هوض اهله ، لقد أخطأوا فالامر على غير مانعهموا . السبب سياسي اجتماعي ، والدين بريء من هذه التهمة .

حاول المسيطرؤن على سياسة مصر بعد أن حلّوا جيشها القديم ان يصدوا عن التقدم وينسوا الاستقلال ، فما رأوا افعلاً من جملة منه دراسة الضباط قليلة جدًا ، يأخذونهم على الأغلب من الساقطون في الشهادة الابتدائية ، فلكان جماع ما يتعلّم حماة مصر ليس بذرة جيدة ، وحمل عصي في ايديهم فقط .

لابنحو المسلمين بما يؤمن به من الانحطاط الا ان يرجعوا في دراية دينهم الى اصوله على ما كان يعلّم في القرون الأولى ، وات يتعلّموا علوم الحضارة كما تعلم في جامعات الغرب لعهدنا .

ليس من الغلو أن يقال ان بعض المستعربين من علماء المشرقين عرفووا الاسلام وأكبّروه أكثر مما عرفه بعض أدعية العلم المشار اليهم بالبيان بين أظهرنا . ذلك لأنّ معرفة الاسلام متوقفة على الدرس والبحث والمستعربون يدرّسون ويفحّثون على الأصول أكثر من تحضروا لعلم عندنا .

صعب على طبع الفرنسيين الاعتراف بما أخذوه عن العرب من أسباب تدنّهم كأنّهم باعترافهم بالأمر الواقع يصفرون من شأن مدنبيتهم . دعوى الوطنية لا تكتسب بانكار الحقوق الثابتة .

يظهر أن الشرقي يعترف بفضل الغربي عليه بما قفع له من أبواب التوسع في العلوم أكثر مما يعترف الغربي بما أخذه أجداده من الشرق وما انتفعوا به من علوم العرب وحضارتهم .

اخصك من رجال يحاول أن يسير الزمان على هواه ، ولا يسير هو
بما يتطلب الزمان منه .

قد يتبين في أمة رجل عظيم وهي غير مستعدة لقبول ما يدعوها
إليه من أسباب التهوض فتعمي على إصلاحه ، وتحتقر حكمته . ومني
كان في أمة استعداد للتهوض يخلق الرجل الذي يخطلع بهـذا الأمر ،
وهذا من النواادر وقوعه .

أبغض ما أنت به النظم الغربية ما يدعى بالطريقة القرطاسية ، أي
تطويل المعاملات ونقلها من ديوان إلى آخر حتى يستوثق صاحب الشأن
أن القضية المعروضة لم يدخلها زغل . بالطريقة القرطاسية لا تتعمل
مسألة في أقل من بضعة أسابيع أو بضعة أشهر ، وبالطريقة العادلة يبت
بها في ساعة . والحكومة المبتلاة بطريقة القرطاسية تضطر إلى الاستكبار
من العمال . حتى قال أحد كبار ساسة الانكليز لمهدنا لصاحب له ايطالي :
لقد أصبحنا معاشر البريطانيين وأئنـينـ منـاـ منـ الموظـينـ والـثـالـاثـ فقطـ يـشـغـلـ .
والي أمس كان الانكليز من أشد الأمم زهداً في الطريقة القرطاسية .

من الصعب على المسلم أن يحب فرنسا ، وقد رأى ظلمها أبناء دينه
في كل أرض استعمرتها من الأقطار الإسلامية . وصعب على المسلم أيضاً
أن يميل إلى إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وهي ما كانت أقل ظلماً لأهل
الإسلام من الفرنسيـ .

لو فرض استيلاء دولة إسلامية على مراكش والجزائر وتونس وطرابلس
وبيـرةـ ، وكان أهلـهاـ يـتـحـلـونـ النـصـرـانـيةـ ، لـقاـمتـ أورـباـ وـأـمـيرـكاـ قـوـمةـ
وـاحـدةـ حتـىـ تـحـذـفـ اـسـمـ الـدـوـلـةـ الـمـتـغـلـبـةـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـقـطـارـ منـ قـائـمـةـ الدـوـلـ

كان يكتب لنا التوفيق لو افتقـدـناـ منـ حـسـنـاتـ المـدـنـيـةـ الغـرـبـيـةـ ماـ يـرـبـوـ
عـلـىـ مـاـ أـخـذـنـاـ مـنـ سـيـئـاتـهاـ . وـالـسـبـبـ فيـ تـأـخـرـنـاـ عـنـ الغـرـبـيـنـ اـهـالـىـ الـنـفـكـيـرـ

زمنا في كل ما يدفعنا إلى الامم . أبطانا في الاقتداء، بنى كان الواجب
الاقتداء بهم وما حدثنا أنفسنا من أول جيل بالأخذ من المدنية التي
ظهرت أعلامها في الغرب بعد عصر النهضة .

شهدنا بعض الغربيين يربأون بأولادهم عن الاجتاع الى من يومون
ديارهم من المشارقة خافة أن تسرق طباعهم من طباعهم .

جرى تبادل السكان بين دولة الترك ودولة اليونان فأخذت تركيا
من اليونان من عندها من المسلمين الاتراك وأعطت تركيا اليونان وبها
من الروم . وكان عدد المقاييس عليهم من الطرفين عظيماً ، فدب الماء
في المفتريبين تركيهم وروميهم ، لاختلاف الهواه وصعوبة النقلة ، فاستدلا
 بذلك على أن المиграة لا تنجح الا اذا كانت بقياس مصغر ، وكانت
المهاجرين رغبة شخصية في تركيهم مساقط رزوهـهم ، فإذا أكروا على
التزوح منها ، يصبح شر المиграة أكثر من خيرها .

لو تأهل الغرام بالتمثيل عند العرب تأهله عند الغربيين لقرب
مدنيتنا من المدنية الغربية ولكن بجتنينا أرقى مما هو الآن .

طبق العرب قواعدهم في الحكم على الشعوب التي أخضعوا لها لسلطانهم
فعدوها هؤلاء نعمة بالقياس إلى ما كانوا فيه من الظلم ، وبخاصة لآئمـهم
رأوا روحها لا ينافي روح أديانهم الأصلية في باب الرحمة . ولما خف
أمر الدين وضعف العرب في إنفاذ مقاصده السامية كانت نفرة المحكوم
عليهم من الحاكمين وبهذا بدأ الانحلال .

عد من الخياليين المخدوعين بالظواهر من يذهبون إلى أن سكان
تركيا يتقلدون الغربي في بعض أوضاعه قد أصبحوا أوربيين . الاتراك
يظلون أتراماً كما همـها تجردوا من مشخصاتهم القدية . ان كنت تستبعد
أن يتمثل العربي في الجزيرة هذه الحضارة الحديثة فأنـا مثلك استبعد أن

يصبح ابن الأثاوضول بعد أجيال غريبًا بدميته . وأرجو أن يغلب رأي المتفائلين ظن التشائين في هذا الحكم .

اشتكى أهل الولايات المتحدة الاميركية في القرن الماضي بمحنة أهل طاحنة دامت أربع سنين وكان السبب في نشوئها دعوة رئيس جمهوريها إبراهام لنكولن إلى تحرير العبيد لأنّ الحلق كلام متساون ، فاتّهم حزب التحرير ولم يتوان انصار الاستعباد تشفيًا لتفوّهم الا قتل الرئيس الحر وكان عمله أعظم عمل إنساني ، وعمل قاتلبه أعظم عمل وحشي .

سألت هولاندياً في هولاندة أصحيح أن أبناء وطنك في جاودة يكرهون الجاويين في الطرق ليهدوا ظهورهم في كربلا ترکب البهائم ؟ قال صحيح وإذا نحن امتنعنا من هذا لا يستقيم أمرنا هناك ، لأنّنا فلة تضيع في الكثرة . ووجهت مثل هذاسؤال لقاض هولاندي من قضاة جاودة فسكت وما جسر أن يكذب والسكوت اقرار . ظلم المولانديون الجاويين ثلاثة وخمسين سنة ثم ساعد هؤلاء الزمن فتحرروا من سلطنة المولانديين الغاشمة .

ما برح المستعمرون يقللون من عدد المسلمين في الصين ينزلونهم إلى الخمس أو إلى العشر من حقيقتهم ، وظلوا زمناً على هذا الرأي يدونونه فيأسفارهم ويتناقلونه في مجلاتهم وصحفهم ، وقد ألف أستاذ من جامعة باريس كتاباً في الصين عني فيه بمحنة من الكاثوليك هناك ، ذكرهم وذكر أوضاعهم بكل خير ، وربما بالغ بعدهم ، وأغفل الكلام عن خمسة مليوناً من المسلمين الصينيين كانت لهم مدينة جليلة وربما كانوا أرقى من جيرانهم في الجلة .

سيخفف ابن ينسى من رفعوه حتى عز وساد ، وكان الى يوم صرف

من الحمد لله رب العالمين في حب من عاد يسبهم ، ويغار عليهم كما يغار
الكرم على الحرم .

شاهدت وجلأ من عظام رجال الدولة عندنا يذل ذلاً لم أكدر أنه قد
صدر منه من كثرة ، وذلك ليدخل مع جماعة يؤمنون حزباً يتوقع
له الاستيلاء على الحكم . دعاه إلى هذا الاستئداء الحرف من أن يحرم
المناصب أن لم يكن عضواً في الحزب الجديد . ما أصغر نفوس بعض
من يصفونهم بأنهم من الكبار ، وما كبروا إلا بـكثير المناصب التي
تولوها فقط .

عهدت برجل صُرف من الحكم يلزم في جريدة المقبس بضع ساعات
من النهار . دام على ذلك مدة . وكان نحي من منصبه ويحاول الرجوع
إلى خدمة الدولة . وإن كنت علم الله أخجل من تكرر مجبيه إلى مكتبي
ومكتبه أمامي طويلاً وعو لا يخجل ولا يخطر بي بالله أن إدارة تحرير الجريدة
دار أسرار تقضي المصلحة كتمها عن كل إنسان . ولما تولى هذا المعجز
منصباً كبيراً في الدولة الخالفة صرخ خده وكاد ينكر معرفتي . بهذا
وأمثاله من عرفت نفيته كنت أقول دائماً إن حاجتنا إلى الأخلاق
أشد من حاجتنا إلى العلم ، وأن الدين الأصل لا تسوؤه المنافع .

يظن بعض قصار النظر أن الشعوب التي أعمها جهلها تسهل مغالطتها
وأن سكونها عن مافيه من استهان بحقوقها هو من جملة غباونها . أما
الشعب فيدرك سر كل مؤامرة دنيئة على حياته ، ويحاسب من أراد
الجاني على جناباته السابقة واللاحقة .

قال لي أحد أعيان داريا : سألكي أقدم في موسم الحج بحكة عن
بلدي فقلت له : اني من قرية من قرى دمشق . فقال : ما اسمها قلت
له داريا . قال : هي القرية التي لحق أهلها الدبور إلى سهل كوكب .
م (١٢)

إشارة الى أنهم بخلاء جداً . قال له : نعم يا سيدي ، لا حول ولا قوة الا بالله . وتضاحك الحاجان . ما أكثر شيوخ الأخبار في الأرض العربية لولا ما ينافض ذلك النبأ الذي رواه لي صديق مدرك من أن أحدى الامارات العربية على شاطيء المحيط الهندي ما زالت الى اليوم تدعى على المنابر في كل جمدة لـ الخلية الأموي بدمشق . وخلاة بنى أمية زالت من الشرق منذ أكثر من اثني عشر قرناً !

جربت زراعة القطن في بعض أرجاء سوريا فاقت من الغلات بما فاق المأمول ، فعزمت الحكومة على تنشيط هذه الزراعة حتى قبل ان ماسيرزع من الأرض البور وغيرها هنا تزيد مساحتها على مساحة الأرض المزروعة قطناً في مصر . ومن التدابير الحكومية التي عمدوا إليها استدعاء الشاميين المهاجرين الى القارات الأخرى للعودة الى بلادهم ، لأنه أصبح فيها مرتفقاً لكل من بوطن نفسه على أن يعمل بعد الآن ، ولا يبعد أن يصبح السوريون بعد عشر سنين نحو عشرة ملايين من الانفس . زيادة الـ كانتابعة لوفرة الخبز في الأرض التي يدرجون عليها .

مضمون النجاح في كل عمل يارسه صاحبه ، ويأخذ من نفسه ، والتأليف من أظهر المظاهر في هذا الباب . ولا أمثل إلا بما وقع لي . فاني لم أصرف من عمري نحو خمس وعشرين سنة في تأليف « خطط الشام » ، إلا لاثني ولهت باضي بلادي وحاضرها ومستقبلها . ولم أكتب كتابي « الاسلام والحضارة العربية » ، إلا لأن الموضوع أخذ من قلبي . ولم أكتب « غرائب الغرب » إلا بعد أن تذوقت مدننته بعض الشيء وشاهتها في أرضها . ولم أعن بجمع « رسائل البلفاء » ، إلا لندرتها وتعذر الوصول اليها . ولم أؤلف « أمراء البيان » و« كنوز الاجداد » ، إلا لطالع قراء العربية بأخبار العلماء والأدباء الذين انتفعت بكلامهم وعلمهم ، ولم أضع كتاب « أقوالنا وأفعالنا » و« المذكرات » ، إلا لأجمع ما وقع لي من تجارب ومحن حرية بالاعتبار .

مها بلغ من صلاح حكومة لا تخلي من ناقصين عليها طائعين في تبديلها . هذا والرعية تدرك أنه لا يتوقع أن يجيء الخالق على غرار السالف في القدرة وسعة التجربة . الا أن التفوس موامة بالتجديده ولهم بتبدل المناظر وسماع الغرائب .

حكومة ثانية ترتكب بعض الاملاط أفضل من حكومة متقدمة تتضى وتتبرم من دون رؤية ولا تجربة ، الأولى أقرب إلى اصلاح هدواتها والثانية تحبط وتخاطط .

ليس من الحزم أن يدعى إلى الحكم رجل جرّب فيصالح العامة أعواماً فما أفلح . النقص من خلق الإنسان ويستحبيل تقويم أخلاق من جاوز السنتين من عمره ، ومن ضعف استعداده إشي ، من العيب أن تطلب منه اتزامه على ما ينبغي .

أخذ بعضهم رجلاً سياسياً لفضه الطرف عن جماعة أكرموا منواه يوم كانت الحكومة تطارده ، وأقدموا على حمايته وما بالوا بالخطر الذي يحيق بهم من أخلفاته في بيته ، حتى إذا فوضت إليه الوزارة تجدهم لمن أكرموا منواه كأنه ماعرفهم وما أكل طعامهم . فقلت لهم : لاتعجبوا هو دنيه الطبع ماوفي حياته لغير مصلحته ، وما توفر إلا على توفير ماله بسرقة الدولة وسرقة معامليه وسرقة أسرته ، وذلك بأسلوب فيه كل النذالة والقحة ، وهو في البخل وأكل الحقوق المثل السائرك .

مها صفا الجو السياسي في دولة وانقطعت بما ذلك من موارد الى عمارة أرضها ، تظل تشكو نقصاً في بعض مصانعها ، ذلك لأن الجماعات كالأفراد يعنون بأمور ويُغفلون أخرى على غير قصد .

قلت لرجل يُظهر الغيرة على بعض ملوك العرب ويحرص على ستر عيوبهم لثلا يكون في اشهارها فضيحتهم : يا هذا ان كنت قت الى هؤلاء

الملوك بصلة من الصلات فلا كلام لنا معك وان كنت من يقصدون
إلى الاصلاح فتقى أن بعض رجال الغرب يعرفون من عيوب ملوكنا
وزعماً ناماً يطلع عليه الصق الناس بهم ، وعلى هذا فلا معنى للتنمية
في أرمم .

أكده في صاحب أقام في أحدى المستعمرات الانكليزية زمان الحرب الأخيرة
أن الانكليز كانوا يضيقون على كل من يشكرون في اخلاقه لهم من
نزلاء المستعمرة ، ويوجهونه أن القتل مصيره إذا عصى لهم أمرآ ، وسواء
كان هذا القول مبالغاً فيه أو هو الحقيقة لا غبار عليها ، ذات كل
انكليزي يرى من واجبه الوطني ان يتقطف الاخبار التي يقدر أنمـا
تنفع دولته .

أمر الانكليز في الحرب العالمية الأولى خابطاً عربياً فألحقوه بأحد
ضباطهم فعهد اليه تعلم ابنه . قال : فكنا نطوف بعض أحياه مدينة
لندن للرباوة ساعات كل يوم ، وفي جملة ما زرنا دار احدى الوزارات
وكان ذات ساحة عظيمة ، فرأيتـا ملائـى بصناديق صـفـيرـة لم أعرف
أ كانت قنابل أم خراطيش فقال تلميـديـ : لاهـذا ولا ذاك ، هيـ صـنـادـيقـ
ذهب بـرسمـ اميرـكاـ الشـهـابـيةـ . وبـعـدـ انـقضـاءـ اـسـابـيعـ قـلـبةـ علىـ وـصـولـ
الـصـنـادـيقـ اـىـ الـولـاـيـاتـ الـمـنـدـحـدةـ - وـتـوزـيـعـهاـ عـلـىـ الشـيـوخـ وـالـنـوـابـ وـالـعـهـالـ
وـالـقـوـادـ وـرـجـالـ الصـحـافـةـ وـدـورـ النـمـثـيلـ وـالـسـيـنـاـ وـالـلـهـوـ وـعـلـىـ كـلـ مـنـ لـهـ
تـأـثـيرـ فيـ عـقـولـ الـعـامـةـ وـالـخـاصـةـ - شـهـرـتـ اـمـيرـكاـ الـحـربـ عـلـىـ دـوـلـ الـمحـورـ .
ما أـعـجـبـ الانـكـلـيـزـ باـسـتـالـةـ قـلـوبـ الشـعـوبـ يـومـ يـجـتـاجـونـ إـلـىـ اـسـتـالـتهاـ .

تنفع بعض الحكومات العربية المطبوعات الحرة من دخول بلادها
وتُعد مافيهـاـ منـ الـافـكارـ وـالـاخـبارـ بماـ يـشـوـشـ عـقـولـ رـعـاـيـاهـاـ وـيـفـسـدـمـ
عـلـيـهـاـ . أماـ كـانـ الأـجـدرـ بـهـاـ انـ تـنـفـعـ بـاـ تـقـرـؤـهـ وـتـطبـقـ مـنـهـ مـاـ تـقـدـرـ

على تطبيقه ، فاختفاء الحقائق لا ينبع خيراً للراعي والرعيه كما يتومم بعض
رجال السياسة .

عرفت رجلا كان من العمال المقدمين في عمال اليمن على المعهد العثماني
ذهب وسلب هناك ماشيات قلة ذمته وسقط مرونه فلما كشف أمره
وحارول الفرار بما سرق من الاموال انقذه من ايدي العدالة احد مواطنيه
من كبار رجال السلطة العثمانية يومئذ ، واستطعه إنفه ، وأدخله في
خواصه وجعله سيره وعشيره ، فما عتم ذلك الا ص ان كادا من أحسن
الله بأن قدم فيه تقريراً الى السلطان يسقطه من نظره ويرميه باحيانه ،
ولما قص علي صديق ما اجرحه الحسن اليه مع البار به فلت : صدق
من قالوا : من أعن ظاناً على ظلمه سلطه الله عليه .

العاشر يلزم السكوت عند تبدل الدول وكذلك يوم تشن الحرب في
دياره ، والا جعل منه صاحب القوة ذريعة لالقاء الرهبة في القلوب .

بذلت انكلترا جهودها لاشراك مصر في الحرب العالمية الثانية فتم تجهازها
الي رغبتها وصاحت مصر نفسها من اخراب الذي كان ينتظرها ، ذاكرة
ان الدولة البريطانية كانت وعدتها وعداً خلابة في الحرب الاولى اذا
هي حاربت معها . ولم تتحقق شيئاً بها وعدت به ، وكان من ذلك
عبرة مصر .

انتشرت الشيوعية انتشاراً سريعاً في العالم فخاف الانكليز تسرجاً
إلى أوروبا الغربية من طريق الهند ، وكانت هذه حانقة على البريطانيين
ويخشى ان تنتقل الشيوعية اذا أخرجت ولم تقبل استقلالها ، فما كان
من الانكليز الا ان تخلوا عن الهند وتركوها لأنهم طوعاً او كرهاً ،
وأخذوا بـ تربون بـ أنظمتهم من الانظمة الشعوبية يأخذون من ثروات

الاغنياء حتى لا يقروا لهم الا ما يرفعهم قليلا من درجات المتوسطين في عيشهم . وهذا بما يشهد للانكليز ببعد النظر في ادارة الملك .

اطلعت على ما كتبه أديب ذو مكانة كبرى في العالم العربي الى أحد أدعية الشعر حين كان الغموض والرثاق من خصائص شعره ، يفترضه وبطريقه عليه من الألقاب ما كان يجب أن يكون خاصاً بأهل الطبقة العليا من أرباب هذه الصناعة . فقلت في نفسي : لو لم يجد دجاجلة الأدب من يصانعهم ما أظهروا من الفجوة ما أظهروا في طلب الشهادة بشعرهم الركيك وبيانهم السقيم . وهؤلاء المداح يصانعون الكباره أيضاً وهم في باطنهم يلعنونهم . والظاهر ان عند هؤلاء المداحين الفاظاً يطلقونها في مخاطبة العالم والجاهل سواء ، وماذا عليهم اذا وصفوا بالتبوع وجمال الأدب كل من يلقونه ، ووصفوا بالعدل والاحسان كل من يخشون بأنهم ويرجون نوالمهم ، لا يفرقون بين الفاضل والمفضول والمشهور والمغمور . اذا عرفت هذا فلا تستغربين اذا رأيت هاتيك الشهادات المكذوبة ساقطة من ذاتها فان اصحابها ما أحسنوا تطبيقها على مستحقها يرضون بما يخاطبهم ويكتبهم ومن يعرفون ومن لا يعرفون ، على طريقة مثابغ الأزرع في القرن الماضي لا يتوقفون في تكريظ كل زميل لهم ألف كتاباً ولو كان بما لم يعهد عالم التأليف أسفلاً منه ولا أرداً .

عُرِفَتْ اثْنَيْنِ مِنْ كُبَّارِ أَدْبَانَا اسْتَهْرَ الْأَوَّلُ بِالسِّيَاسَةِ وَالْخُطْبَةِ وَاسْتَهْرَ
الثَّانِي بِالشِّعْرِ وَالْأَدْبِ عَاشَا مَا عَاشَا بِلَاطْفَةِ الصَّغَارِ وَالْكَبَّارِ وَبِجَامِلَةِ
الْمُوَافِقِينَ وَالْمُخَالِفِينَ . وَلَوْ قَدْ حَالَتْ مَا صَدَرَ عَنْهُمَا لَارْضَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا
يُحِبُّ لَا حَكَمَتْ إِلَّا أَنَّمَا أَمَادِيعَ مُسْتَمْجَنَةً تَذَهَّبُ فِي الْمَوَاءِ وَهِمَاتْ أَنَّ
تَخْلُدَ وَلَوْ طَبَعَتْ فِي كُنْبَ وَرَسَائِلِ وَجَمِيلَتْ وَذَهَبَتْ .

أشرت الى سعي بريطانيا العظمى بتأليف الجامعة العربية وقلت ان بعض الفكرين كانوا بشكرون في نجاحها وقد حققت الاعوام التي مضت

على تأسيسها رأي المتشائمين بعض الشيء، وثبتت أن دولاً مختافية التزعمات والحضارات يتعذر أن ينالها كيان واحد، فكيف اذا كانت وراءها دولة أو دول في مقدورها كل ساعة أن تنقض الاعراف ونقوض البناء . واهماً للشعوب الضعيفة ، هي أبداً ألمعوبة بأيدي الآفواه .

لما رضي بعض رجال الانكليز عن سوريا ولبنان كانوا يصفونها بأنها مهد المدنيات وأنها ينتفعان بدنيّة راقية ، فلما افتضت الحال أن يغلب لها ظهر الجن كتبت احدى الصحف الانكليزية تقول أن عاتق الجنوبيين بلاد رسم على علمها امثلت الألوان : الحشيش ، البخشيش ، ما عليهش . أي أن البلدين حرماً عزة النفس تتجران بالمحظورات وتحلان الحرام وتستجديان وتشخذان ولا تباليان بما تفعلان . وتناول هذه الكلمات النلات في هذا الكلام بتاويلات أخرى ، فيا سبحان الله .

رثمة أشخاص مهاتلين في التربية والعقل يجتمعون على تحقيق غاية معقوله يفلحون غالباً .

في المدينة الحديثة ظاهرة عجيبة ما كان أجدادنا بهمدون الى استعمالها على ما انتهى اليها من أخبارهم . وذلك أن كل انسان يحاول أن يستهدي جاره ومواطنه وصديقه كل ما يقدر على أخذه منه وألا يقابلها بشيء على ما أطبله . وبمعنى آخر ان مدينة الماديات تتيح للناس أن يسلب بعضهم بعضاً علينا .

تبغلى الرعونة في بعض الشعوب اللاتينية حتى تكون حكمانها مهددة بالثورات على الدوام ، خلافاً للشعوب الانكليزية فان هذه اعتادت أن تفكك قبل الاقدام . الثورات في الجمهوريات اللاتينية

من الأمور المألوفة^(١) والثورات في أميركا الشمالية تحدث مرة في كل قرن وفي بريطانيا العظمى لا تحدث الا مرة في الزمن الطويل .

كانت الدسائس الاجنبية العامل الأكبر في اخفاق الجامعة العربية ، وأعان على ذلك أن كان تركيب الدول الداخلة فيها تركيباً غير مزجي . ابن صنعاء وصعدة والقصيم والرياض ومكة والمدينة وعمان لا يرجى أن يشابه ابن القاهرة والاسكندرية ودمشق وبيروت وحلب والموصل وبغداد والبصرة .

في الأمثال العامية « الولد الذي ليس من ظهرك كلما جن افرح له » ، وقد مضى ساسة الغرب مع ساسة العرب على ذلك . فانهم قلما يعيرون اهتماماً لما يضر بالشرق ويؤذيه . وقد يفرحون للوكانا ورؤسائنا كلما أمرفوا وأجحفوا لاعتقادهم بأن ما يأتونه يجعل الحراب الى دولهم وفي ذلك مصلحتهم . كانوا يقولون : « اذا كان جارك بخير فانت بخير ، وانقلبت هذه الحكمة العامية اليوم فصارت « انك لن تكون بخير الا اذا كان الشر عند جارك » .

مئات الالوف من المهاجرات يصرفها رئيس على الاولئاش ، ومنهم من يعطيه الف ليرة في الشهر ، أي ما يوازي أكبر راتب في الدولة بعد الوزراء ، هي طريقة له ابتدعها وما سلكتها حكومة تحترم نفسها وتقدر دخلها وخرجها .

جار الحلفاء على ألمانيا بعد انسازها أمامهم في الحرب العالمية الثانية

(١) ذكرت احدى الجلات الغربية ان رئيس جمهورية غواتيمالا لاتنتهي مدة رئاسته في شهر آذار بعد ان قضى فيها ست سنين شهد خلالها تسع وأربعين ثورة وربما لاتنتهي مدة حقيتها الى الثلاثاء ثورة . فالت ان صبره على هذه الثورات خلال رئاسته دليل ظاهر على انه بلاشك محنك وبالفعل هو يحمل شهادة دكتور في الفلسفة !

قضوا جيشه ، وقضوا على صناعاته ، وقسموها فسمى قسم أخذ الروس
بناقه فأدخلوا فيه النظام الشيوعي ، وقسم للانكليز السكسونيين ومن
بعهم بثوا فيه الأنظمة الديقراتبية ، وكل ذلك رجاءً ألا تقوم الأمانة
فائدة . وكأنني بهم بعد حقبة غير طويبة من الزمن وقد عادت اليه
وحدهم وعظمتهم ، ذلك لأن من المتعذر جداً القضاء على منه ملبوث
إنسان بلغوا من المدينة غاياتها .

لما نظمت أمور مصر ونجت حكومتها من أن تعيش بالقروض الغربي
المصريون ، وانقلب القطر في أعوام قليلة من مملكة غامرة إلى مملكة
عاصمة ، وجمعت بريطانيا بنهايتها مصر عدة مطالب كان من أهمها إنشاء
أرقى مملكة في الشرق الادنى تنادي على الدوام أن بريطانيا العظمى
أرحم دولة في استعمارها .

الفرق بين استعمار فرنسا في الجزائر وتونس ومراكش وعمل انكلترا
في مصر أن فرنسا ما توحدت من احتلال هذه الأقطار الثلاثة إلا منفعة
الخاصة ، وما عبأت بصلحة السكان ، وجمعت انكلترا بين منفعتها ومنفعة
المصريين فأبدعـت في مصر مثلاً منقطع النظير في أحياء الملك قامت به
طائفة صاحبة من نباه ساستها ونبغاء مهندسيها . ولا يسع المتشدد في
أحكامه إذا نأمل صنع البريطانيـن في وادي النيل إلا أن يقرّ لهم باحـانـمـ.

طال أمد الاستعمار الانكليزي والاستعمار المولندي في الهند وأندونيسيا
وختـمت أيامه لما عزم سكان تينـك المستعمـرين العظيمـين على طرد المستعمـر
طـرداً أبـديـاً . استعمـر الرومان والبيوتـانـ معـظمـ العالمـ القـديـمـ فـرونـاـ ،
ومـا خـرجـواـ منـ أـرـضـ اـحـتـلـواـ إـلـاـ بـاخـلـالـ دـولـيـهـاـ ، وـتـنـازـلـتـ انـكـلـتـراـ وـهـولـنـدـةـ
عنـ استـعـمـارـهـاـ وـهـاـ فـيـ مـعـظـمـ قـوـنـهـاـ .

أعظم العيوب عيوب يتعدي أذاتها إلى المصالح العامة ، وما يحيط بها
فاسد في نفسه ويفسد للجهازة . وما أعجب إلا من يحاول الستر عليه
ويخترع له الخارج .

قال أحد رجالنا في معرض وصف أحد المشغلين بالسياسة : «ما هو إلا خولي بينطلون»، أي قيم مزرعة يلبس سراويل المدنية وعقله محدود، فحققت الأيام هذا الحكم عليه لما تولى منصباً جليلاً اضطر فيه أن يصدر عن قريحته .

لما شُكِّوت مستشار المعارف إلى المفوض السامي على عهد الانتداب في سوريا ولبنان حقق معه ، فثبت لديه صحة ما عززت إليه بأنّه خدمته . ولما نقمت على مدير الاستخبارات كلاماً أهان به المسلمين نحاه المفوض السامي لـما تبيّن له صدقـي . ولو كان من شـكـوتـهمـ من جـاءـتنا لـكانـ غـايـةـ ماـ يـأـتـونـهـ أـنـ يـصـالـحـونـاـ ،ـ وـيـكـرـهـونـاـ عـلـىـ أـنـ يـقـبـلـ أحـدـنـاـ شـارـبـ صـاحـبـهـ ،ـ وـتـذـهـبـ المـصـاحـةـ الـعـامـةـ فـيـ الرـيـحـ .ـ

الحق أولى أن يقال أن الفرنسيس في انتدابهم على الشام خمساً وعشرين سنة أصلحوا أنواعاً كثيرة في أدوات الحكم ومنها توطيد الأمان وصلاح القضاء والمعارف والأشغال ، لكنهم بثوا روح التعصب بين المواطنين ، وأحدثوا التفرقة بين الطوائف ، وعاونوا الجماعات والطرق التي نفت في عهد الإسلام ، فقسمت لهم قسمة الأمة أقساماً متعادبة ، وما وازى النفع ضرر .

كان من طبع أحد الرؤساء اذا حقد على انسان أن يبالغ في مسامته ويطعنه طعنة لا يرأ منها . و اذا بذله استرضاه أحد يرتكب كل وحشة في سبيل استئصاله . فطر على مخاشرة فريق مخاشرة جائزة ، وعلى الخروج عن المألوف في مخاشرة آخر . وما من عاقل يقول ان هذه الاخلاق من أخلاق الرؤساء .

حكمت احدى المحاكم لرجل على أولاده الاطباء الثلاثة بالاتفاق على أبيهم العاجز عن الكسب . عقوق هؤلاء الاباء والدعم يمد أن رياض بالله حتى أصبحوا اطباء يدل على بلوغهم في القسوة غایتها . ومن قسا قلبه على أبيه لا يرجى منه أن يشفق على أحد . ابى ولد الامر يتوجع من هؤلاء العاقلين شهادة الطب ويتركهم يتسلكون كالحيوانات التي لا تنفع للنقل ولا للنسل .

ما أوقع من لم يدرس الطب أن يشارك الاطباء في طبعهم ، فعلى من لم يدرس السياسة أيضاً إلا يشارك فيها الا مشاركة يقف بها على الحقائق ليطمئن على مستقبل وطنه وأمنه . السياسة أصعب العلوم وأدعياؤها ما زالوا متواهرين .

في سيرة من سقط وما أسف عليه الا من انخرتهم بأموال الدولة عبرة لمن ينظرون بالدين وهم منه أعرى من مغزل ، ويتناعون بالوطنية ووطنية نعم باملاء جيوبهم وجيوب أنصارهم من المال المشبوه ، وتقوم حيائهم على الكذب في كل أمر .

كان الناس في أمر أحد الرؤساء بين مصدق ومكذب ولما صرف من منصبه وكف المطلون والمزمرون تبين أنه ما كان الا لعبه أليس الباقي ثياب اليم والقصب .

مها عظمت يد بسيها انسان اصحاب قوة ، فان هذا بوشك ان
ينسى بلاده خاطر يعرض له ، وورم يتوجه . الخليفة العباسي كافأ بالقتل
أبا مسلم الحراساني مؤسس دولته .

انهزمت فرنسا أمام ألمانيا في الحرب الأخيرة ومتحارب إلا أيام
قليلة ، وبفضل حليفتها بريطانيا - التي جعلتها منذ القرن الماضي وقابة
من صدمات اعدائها - عاملوها معاملة الظافر .

يتناهى شرشل أعظم سادة الانكليز المعاصرين بحب فرنسا ويُعشق كل
ما يخص به أهلها من طباع وما تفرد به حكمتها من حكمة . يكتب
هذا في كتبه ويردد في خطبه . ولو كشفت عن قلبه لتبيّنت أنه لا يهمه
أن يسجل في عداد العابثين بالحقائق اذا كان في ذلك خدمة دولته .

قد يهمل بعض السياسيين أمراً عاماً يطلب منهم ويشتغلون بهسائل
فيها حظ أنفسهم فقط ، وفي ذلك البلاء العظيم .

أنارت الصحف عقول من أطّالوا مطالعتها وأتقنّهم بعلومات كان يعز
الظفر بها على الخاصة في الدهر السالف . عرفت أناساً أصبحوا من السادة
المخترفين بما تلقفوه بقراءة الصحف . وعرفت أناساً ساركوا في بعض
العلوم الحديثة مشاركة لا بأس بها لتوفرهم على تصفح المجالات العلمية
و درسها بامان .

ربما كانت صناعة السينما أعظم اختراع احتاج إلى عدة علوم وأدخل
على سكان القارات الحس متعدة ما مالتهم متعدة .

لو قيل لاً جدآً ان الانسان اليوم يقطع في طيارة الالاف من
الكيلومترات في ساعة وأن الطيارة تحمل الانتقال العظيمة مع أكثر

من ثلاثة راكب لقالوا لنا أن من يهدي هذا المذيان مجنون
وجنونه مطبق .

هزأت سرعة الطيارات والسيارات في العهد الأخير بما كان يقال له
بلا مس بعد ومسافة . في ساعتين تقطع المسافة في الطيارة من دمشق
إلى بغداد ، وفي أقل من ساعتين تصل من دمشق إلى القاهرة ، وتحتاج
المسافة من دمشق إلى الأرجنتين في ثلاثة أيام تتحملها محطات توقف فيها
والمسافة بين سوريا والأرجنتين لا تقل عن نحو ثمانية عشر ألف كيلومتر .
وكان من اختصار المسافات أن هان على الرجال والنساء التغرب عن
أوطانهم ، وسكنى بلد يجدون فيه رزقهم وهنائمهم . وهذا من العوامل
في اختلاط الشعوب العربية ، سهل به على أبناء الشام أن يتزوج في
مصر ، وعلى أبناء العراق أن تؤسس أسرة في الشام ، وعملي المصرية
أن تنزل الحجاز ، الشعوب العربية سائرة في طريق الوحدة الشاملة إلا أن
سيرها من جنس السير الذي مختلف بين السريع والبطيء .

ضجة الطيارات في الجو ، وضجة السيارات والمحركات فوق سطح
الأرض ، وضجة السفن في البحار ، وضجة المناجم في بطون الأرض
فهل بقي مكان على سطح الأرض وفي بطنها لم يلجه الإنسان بضجيجه
وعبيجه .

قال أحد حكام الأفرنج « السياسة علم الربع من دون رأس مال » ،
ويذهب بعضهم إلى أن الفرق بين السياسي الموهوب والسياسي المحترف
أن الموهوب تفزع إبهامته في الشدة والرخاء ، والمحترف لا أرب له
في غير نفسه . ولم تستقر الأمور في هذا الشرق حتى بصر الحكم على
المشغلين بالسياسة حكماً عادلاً لأن معظم من يحترفون السياسة عندنا دون
الوسط في ذكائهم وعلمهم وأخلاقهم ، ومن كان كذلك لا يستحق أن يترجم له

استعرض أسماء من كانوا بعدهم من أكابر الرجال ، وانظر النظر
النفاذ في سيرتهم ، وأننا الضمير أنك لا تزاحم يصلحون لغير المكان
في بيوم حتى توافهم آجالهم .

قطع صاحب الحجاز ونجد بضعة أيام على السرقة ، فـقط في أيدي
اللصوص وانتشر الامن في بلاده ، وتساءل رئيس في الشام بالحدود
الشرعية فضاعت الحقوق وسادت الفوضى .

قالوا ان فلاناً حسن الأخلاق طيب القلب ، أوعز الحزب المغلب
إلى عامل بلده أن يعاونه على الوصول إلى التباينة فتاب سنتين عن مقاطعته
وما سمع له صوت في المجلس لأنه لا يحب من شيئاً بما يتطلب من النائب
فقلت لهم : نعم إن خصمه أيضاً من حزب الحكومة وذنبه أنه متحلل بالصفات
التي يجب أن يتخلل بها من ينوب عن أمتة : أدب ، وجرأة ، وعفاعة
بالمصالح العامة . وعدت فراجعت نفسي وقلت الغالب أن من الأحزاب
ولا سيما في الشرق من لا ترى أن ترفع من شأن الناجحين المترورين ،
وتحاول أن تمسكها تراسهم ، ولا تتطلب من يخدمها إلا أن يتبعها على
رغائبه على العبياء ، ولذلك يسرها أن تنصب في المجلس ثائباً أنه
بلوح من الخشب ، ولا تضع فيه رجلاً تتمثل فيه الحياة والغيرة على
النهاية بالآمة .

من أكبر العوامل في الانحطاط الظاهر بين القرية والمدينة في الدبار
الشامية ، ان الفلاحين وهم نحو ثلثي السكان تركوا للطبيعة ، فلم تتعدم
الحكومات ولا الجماعات بتربية دينية ولا مدنية ، حتى يشبهوا العجماءات
في بعض الأصقاع الحالية من المدارس ، الا أنهم ينطقون كالانسان .

في تاريخ ايرلندا السياسي مفاخر للایرلنديين يُعجب بها ، وفيه درس
نافع لكل شعب بمحرص على تزعزع يده من غاصبه ليتمتع باستقلاله . في
ماضي هذه الأمة النبيلة ما يتعلمه كل من يحب وطنه .

فلـ في رئيس رأى من السياسة اقصاء الفضلاء وادناء السفهاء أنه لا يحسن من كتاب السياسة حروف الفباء .

الفرق عظيم بين من أقصى أمرته مدة رئاسته عن الوظائف وهي عريضة في خدمة الحكومات ، خشية أن يتسللوا على اخلاق وبيتهم ، وبين رئيس حمل أفراءه على رفاق الامة ، وكان بعضهم من المنشودين ، ومن باعة الفجل والطربون والبصل .

غلطة واحدة ينكبها زعيم تقلب شعباً كبيراً رأياً على عقب

رجال السياسة كائنين على المسرح ، اذا أحسوا بالتعب فالواجب عليهم أن ينصرفوا الى بيوتهم ، ابقاءً على صحتهم ، ورعايتها لأذواق النظارة . وهؤلاء يتوقعون من يخلفونهم موضوعات طريفة تختبرهم فرائحهم ونفثات عذبة ترددتها افواههم .

لا يعقل أن يشتراك الانسان في كل امر نافع من امور وطنه . فالعمر قصير لا يتسع للمعايرة في الامور كله ، واذا اتقن المرء ما يدخل في خصائصه قام بما يفرض عليه . رأيت في الغرب علماء لا تسمح لهم اوقاتهم بتلاوة الصحف ، فلا يدركون بما يجري في القرب والبعد ، ذلك لانهم منصرفون الى اتفاق ما يشغلهم فقط ، وهذا لا يقدح فيهم بل يرفع مقامهم « ما جعل الله لرجل من قلبي في جوفه » .

ما عهد نظام حكم ارقى من نظام بريطانيا العظمى تعاور الحكم فيها ثلاثة احزاب « المحافظون ، والاجرار ، والعمال » وفي بعض الدول كفرنسا نحو عشرين حزباً وفي اليونان مثلها وحدث ما شئت ان تحدث عن الفرضي في هاتين الدولتين . ويندر فيها قيام حكومة سنة كاملة وفي بريطانيا ثبتت سنتين .

قتل في الحروب الدامية بين فرق الاسلام في فارس والعراق عشرات الآلاف من المسلمين ، وخربيت مدن برمتها ، ولم يحدث من ذلك شيء في مصر والشام في وقت من الاوقات ، وهذا مما يمتاز به هذان القطران .

من بعض منافع الجرائد انها لم تبق سراً مكتوماً ، وكانت تنشر اسرار الدول طي الحفاء أو عمماً لاتذاع ، وقلمها يطالع احد على ما يجري داخل قصور الملوك ، الا اذا احب اربابها اطلاع الناس عليها ، وذلك بعد افراغه في قالب بيروت . من طبيعة هذا العصر على ما يظهر اذاعة كل شيء ، ومن طبيعة العصور الفاتحة كثمان كل شيء .

للكبار ناشري الكتب في الغرب يد طولى على التاريخ الحديث ، لا غرائهم بالمال اعظم رجال السياسة المعاصرین ليتولوا لهم نشر مذكراتهم ، نحمل صوراً غريبة من طباع هؤلاء الكبار ، وما خصوا به من حسنة بلوغ غرضهم في الجمع بين خدمة انفسهم وخدمة امتهم .

ارى عمة اهل ليبية اليوم مصروفة الى وضع نظام حكمتهم ، بعد أن فازوا باستقلالهم ، ويقال ان السواد الاعظم من اهل طرابلس وبرقة يميلون الى الحكم الملكي ، وأن يبايع السيد ادريس السنوسي ملكاً عليهم . انا لا اعرف الملك الجديد وربما كان من اصلاح الملوك ، ولكنني افضل الحكم الجمهوري لأهل ليبية فقد علمتنا الواقع انه ندر تسلل الملك الصالحين في مملكة شرقية او غربية . وعندى انه كان يسع اهل ليبية ماسع اهل اندونيسيا والباكستان والهندستان الذي استقلت في العهد الاخير ، ونادت بالحكم الجمهوري كما نادت به المانيا بعد الحرب العالمية الاولى ، واعلنته ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية ونادت به من قبل روسيا والبرتغال واسبانيا ، وارتضته تركيا ورومانيا والجزائر وتشيكوسلوفاكيا

والبانيا وبورما وسiam وأستراليا وكندا الخ . اي ان الشرقيين والغربيين على اختلاف في درجات تقدمهم لا يخذون اعهدا عن الحكم الجموري بدبلأ .

لو كان الحكم جمهوريآ في ايران والافغان ما كانت من الانحطاط على ما يقص علينا من رحلوا الى تينيك الملائكة . الشعوب شئ من حكم الفرد وترتاح الى الحكم التباعي ولبس الدوا ، بعد الآن من اربع خمسة للملوك يتصرفون فيها تصرف المالك بمزرعته وزراعة .

كانت الولايات المتحدة بامان من فظائع الحرب الى يوم دخلت في الحرب العالمية الاولى ، وجابت بيدها الغوائل على رعابها . كانها ما أحببت بعد أن تمت جميع أدوات الحياة فيما الا الجري على خطط الدول الأخرى تربج وتختسر وتقوى وتضعف ، وقتلت مئات الألاف من بنيتها ، وضياع أثوف المليارات من الدولارات لامان له في جانب قول العالم : ان أميركا تكللت بأكاليل النصر .

قضت انكلترا على الاسطول الاسپاني فأصبحت سيدة البحار وتحكمت في مقدرات العالم ثلاثة قرون ، وقضت انكلترا في العهد الحديث على الاسطول الالماني فما ربحت من ذلك الا تأخر اقتصادياتها ، ثم اضطرارها الى الخروج من معظم مستعمراتها .

اعتدت صحف الأحزاب في الشرق والغرب أن تترافق بالنقده والمطاعن ، وأن تقلب حسنا القاضين على الحكم سبات . وما كل ما يقوله حزب في منافيه أو معارضيه يصح في الواقع . وكذلك كلام المخالف قد لا يخلو من حقيقة ، والحكومة القائمة في العادة تؤثر أبناء حزبها في التعيين والترقية والمكافأة على غيرهم ، ولا تخرج عن نطاق القانون ولو بالصورة الظاهرة . وما كنا نظن أن حكومة الوفد المصري وهي حكومة تتمتع بالأكثريه المطلقة ، ورؤاها وأعضاء الوزارة فيها
م (١٣)

ومن يتباهى ويعلم لهم من خير رجال مصر ، ما كنا نظن أنما تفلو في خرق القوانين خرقاً ظاهراً ، وتبالغ في سباسة الارضاء ، تكافيء فتجزيل المكافأة ، وتعطي عطاها من لا يدرك قدر المال ، وتسرف على صورة قد تفتقر من حكومة بدويه ، لامن حكومة فيها صناديد السباقة وأرباب الثقافات العالية ، وهم ولا شك يدركون قبل غيرهم عافية المسرف بمال الدولة والمصرف بماله الخاص .

روت جريدة « الجمهور المصري » ، أن حاكمة القاهرة نظرت خلال سنة ١٩٥٠ ثلاثة آلاف قضية من قضايا الفساد : غش الدقيق وانوار الدهنية والجبن والحلوى واللبن والالكتحول الخ .. قالت إن سوس الانحلال والانهيار ينبع في جسد الدولة ، وعلمت السبب في أن الوزراء هم من ذوي الاطيان ، ومعظم أعضاء البرلمان من أصحاب العقارات ومن الممولين والمستوردين والمصدرين ومن أصحاب التفوذ ، وأصحاب رؤوس الاموال يسيطرون على الحكومة . وكبار الموظفين هم ذوي نفوذ في مختلف الدوائر الرسمية ، ومن هؤلاء جميعاً تألف القوة الحاكمة التي تسيطر على مفاتيح الدولة اه . ومن العادة أن أمثال هؤلاء المغلبين من أرباب السلطان لا يهتمون لغير مصالحهم الخاصة وبقدر ما في مصر شقاء من حيث الجموع تجد فيها سعادة عند الأفراد ، فمصلحة مصر مصلحة كل بلد عربي .

يقال لمن يحملون أخطاء الحكومات السالفة على حكومة لاحقة ان اصلاح الأخطاء يحتاج الى وقت . وليس في وسع حكومة منها بلغ من افتخار القائين بها أن تصلح في أشهر قليلة . وما زال الانتقاد أسهل من العمل . ثم ان حكومات قام أساسها على فساد من المتعدر اصلاحها دفعه واحدة ، ولا بد من تجزئة الاصلاح المنشود الى أجزاء حتى لا ينهار الاساس اذا أريد تغييره .

ظهرت في الأيام الأخيرة خيانة عظمى في الجيش المصري أيام جـ-ا
عشرات من القواد والضباط واتّم بالاشراك فيها أحد البلاء. وذلك
بأنهم ابتكروا أسلحة عاطلة استخدمت في حرب فلسطين فكان منها انهزام
الجيش المصري أمام جيش اسرائيل . فاكتفت حكومة مصر بأن جردت
الجناة من دتهم وأنهت خدمتهم ولم تقص بالقتل على من كان السبب
الاكبر في هذه الخيانة التي سودت صحيفـة مصر خاصة وصحيفـة العرب
وال المسلمين عامة .

ربحت سوريا أرباحاً عظيمة بالانفصال الجمركي بين سوريا ولبنان ،
وكان لبنان يستأثر بهـا فانتعشت الزراعة والصناعة ونمت بذلك النروءة
العامة . وبخيـلـيـلـ الـبـنـاـ أـنـهـ لـأـنـفـسـ بـضـعـ سـنـينـ حـتـىـ تـصـبـحـ سـورـيـةـ بـلـدـأـ
غـنـيـاـ لـأـ يـقـاسـ غـنـاـهاـ المـاضـيـ عـلـىـ غـنـاـهاـ الـمـسـتـقـبـلـ . لاـ جـرـمـ أـنـ الـأـمـمـ تـغـنـيـ كـمـ
قال أحد علماء الاقتصاد اذا زادت ريعـهاـ ولاـ تـغـنـيـ اذاـ اـخـتـلـسـ بـعـضـ طـبـقـاتـ رـيـعـ
طـبـقـةـ أـخـرىـ . تـغـنـيـ اذاـ باـعـتـ كـمـيـةـ أـكـبـرـ مـنـ حـاـصـلـاتـ رـيـعـ واحدـ لـأـنـهاـ تـكـوـنـ
عـذـئـلـ قدـ أـنـتـجـتـ اـنـتـاجـاـ أـكـبـرـ وـيـنـمـوـ وـارـدـ الـفـقـيرـ كـيـنـمـوـ وـارـدـ الـفـيـ

ـيـ ولاـ يـبـعـ الغـنـيـ ماـ يـضـيـعـهـ الـفـقـيرـ .

أـحـصـيـتـ وأـحـدـ أـصـحـابـيـ مـنـ تـخـرـجـواـ فـيـ الـادـارـةـ وـالـسـيـاسـةـ مـنـ أـبـنـاءـ
سورـيـةـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ الـمـلـكـيـةـ فـيـ اـسـتـانـبـولـ أـوـاـخـرـ الـعـهـدـ العـثـانـيـ ، فـكـانـ
عـدـ مـنـ سـلـمـ مـنـ نـوـابـهـمـ مـنـ وـصـةـ الرـشـوـةـ نـحـوـ عـشـرـةـ فـيـ الـمـائـةـ وـمـ
مـدـيـنـوـنـ باـسـقـامـهـمـ لـأـهـلـهـمـ . وـتـلـوـتـ بـعـضـ مـقـنـدـرـهـمـ وـمـتوـسـطـهـمـ بـالـرـسـاـ
لـوـبـيـنـاـ شـائـنـاـ . وـنـظـرـتـ نـظـرـةـ اـجـمـالـيـةـ فـيـنـ درـسـواـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ الـحـرـبـيـةـ
الـعـالـيـةـ فـيـ الـإـسـتـانـةـ اـيـضاـ فـرـأـيـهـمـ لـمـ يـفـلـحـواـ فـيـ الـاعـمـالـ الـمـذـكـوـرـةـ وـمـ مـعـدـوـرـوـنـ
لـأـهـلـهـمـ لـمـ يـأـلـفـوـهـاـ ، وـمـ أـدـرـيـ أـنـ كـانـواـ أـفـلـحـواـ فـيـ الـجـنـديـةـ
لـأـنـيـ شـاهـدـتـ الـدـوـلـةـ فـيـ أـيـامـهـمـ تـخـرـجـ مـنـ هـزـيـةـ إـلـىـ هـزـيـةـ وـمـ شـهـدـتـ لـهـمـ
نـعـرـاـ إـلـىـ الرـعـابـاـ إـذـ ثـارـوـاـ وـمـ عـزـلـ مـنـ السـلاحـ .

يقول العارفون ان كل ثورة تبدأ بها طائفة من الحاليين ثم تتوالاها طائفة من المقربين ثم تنتهي بحكم طاغية . والظاهر أن بعضهم رأوا بمحاجة الثورة السورية الأولى على الطفيان فحاولوا القيام بنثورة ثانية وما أدر كروا أن مثل هذه الثورات اذا لم تكون الامة في حاجة اليها حكم علىها بالفشل ، والنفوس في العادة تميل الى الاستقرار ولا تميل دائمًا الى الغرب والقتل .

ملكته ان لنساء

كان من دأب أحد الوزراء المتذمرين كلما جمعتني به المصادقة أن يسألني عن الطريقة التي سلكتها حتى كان لي هذا الأسلوب في الانشاء ولا ينالك من التصريح بالإعجاب به ، على ما عرف عنه من الفزوه بالعلماء والأدباء والزيارة بما يؤلفون وينشرون . فكنت أقول له : ربما كان للدوان على المطالعة ومعالجة الموضوعات المختلفة بالكتابة مدخل في تكوين الأسلوب بضاف إليها نلات ثقافات عربية وافرنسية وتركية ، والتمرين الطويل من أهم العوامل في هذا الباب . فكان سائلي لا يرضيه جوابي وبعتقد أن هناك سرًا لا يوافقني أن أبُوح به ، فكنت أضحك وأقول : لو كانت لي طريقة خاصة ما اهتدى إليها أحد لبادرت إلى نشرها على الناس حتى بعم استعمالها ويأخذ بها من يود أن يأخذ . أما هو فـكان يتعذر امتعاض من يحاول استخراج سر فيمتنع عليه ، ولطلاما ورئي بأنني ضنين لأن أحب أن أشارك أحداً بأسلوبي . وكان هذا الوزير الحريص على تقوية ملكته كان يعتقد أن الآداب كالسياسة منها ما يكتمن ومنها لا يأس به أن يعلم . كنت في محارة الوزير انتزاع ما يزعم أنه أخفيه عنه أفيض ثارة واقتضب أخرى ، والجواب واحد لا يتغير وهذا ما كان يسوه وزيه .

في سو. ظنه . وذكرت له مرة كيف تعلمت ، وما كانت المجالات بما
رضيه بل كان هواه في التفصيل وأخذ الفائدة في دفقة . فقلت
له اني أثلو القرآن بتدبر ، فرأته على أسلوب مختلف لفهمه ، وفتنى بلاعنه
واني طالعت طرفاً صالحاً من كتب الحديث كالبخاري وموسى وغيرهما من
كتب السنة وحفظت المعلقات السبع وطرفاً صالحاً من ديوان العرب
وحفظت نحو نصف ديوان المتني ، وعدة قصائد لعمر بن أبي ربيعة والبهتري
وأبي قام والرمي وابن الرومي والطغرائي والأرجاني والموري وعبي بن
عبد العزيز وغيرهم من الشعراء المحدثين والمحضرين . وتدارست السكامل
للبود والعقد الفريد لابن عبد ربه والتاريخ اليماني للعمي والمنل السافر
لابن الأثير . واستظررت أشياء كادت تفسد علي " ملكتي " مثل بعض مقامات
الحريري ورسائل المذانى ومقاماته ورسائل الحوارزمي وبديعية النابغى .
وما أخرجني من تكلف النجح على منوال المتأخرین ، كاقاضي الفاخشان
والصايى وابن الأثير الا اللوع بعد حين برسائل عبد الجيد السكاكى
وابن المفعع والماحظ والتوكيدى . اما ما وصل اليه مما كتبوه وكتبه
أمثالهم من السهل الممتنع فقد قرأته مرات ولا أزال أقرؤه . ولا يندر
هذا سرد أشياء ما طالعت من الكتب والرسائل المطبوعة والخطوطة ،
وما نظرت فيه من أسفار العلماء الذين كانت لهم يد باسطة في الكتابة
الروشقة أمثال ابن حزم والغزالى وابن قتيبة والطبرى والمسعودى والدينورى
والباقلاوى والماوردى والزخشرى والراغب الاصفهانى والمبانى وأبي الفرج
الاصفهانى وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن خلدون .

هذا إجمال ما يقال في المادة التي تخرجت بها لتنمية ملحة البيان .
ولطالما سمعت بعض أساتذتي يقول ان أسلوب المرء يخترعه حاصبه لا يقتبه
عن غيره ولا ينقله من كتاب فهو ابن مزاجه وتربيته وبيئته وذوقه
وفنه . وهذه المادة التي درستها يصل اليها كل مجتهد ويتسلما الذي
الاديب بيد أنها لا تعدو الا لفاظ غالباً ، والعبرة بالتراكيب ، والتراكيب
ابنة من بصوغها ويزيدها جمالاً علم الكتاب ووفرة اطلاعه . ولا تجود

الكتابة بما تحمل من الألفاظ بل بما تنطوي عليه من المعاني والتاطف في أدائها واطراح التكاليف، وألم ما توقف عليه الإجاده في الإنشاء. عدم الخوض في موضوع لم يدرس الكتاب ولم يأخذ من نفسه . والمعاني إذا تجمعت في الذهن لاتعدم فاباً مقبولاً نظير به ، وهذا من السهل على من كان له نصيب وافر من اللغة .

ويحاب من يحاول مرقة الأفكار بأهون سبب أن من المستحب على من درس العربية سنتين محدودة في المدارس الرسمية وميضاً لم الوقت الكافي حتى يتخرج في الانشاء بأستاذ من كبار أساتذة هذا الفن أن يلحق بن صرف عمراً طويلاً وهو يطالع ويكتب ويتمرن .

الرجوع إلى الصواب

بقدر ما أحسن أنانورك (مصطفى كمال) إلى تركيا بجمع شملها والنهوض بها أساء إليها عندما حاول القضاء على لسانها وخطها ومدنيتها القديمة ، وتربيك كل شيء فيها حتى الإذان والخطبة والصلوة والقرآن . وكان يرجى من خلفه عصمت اينونو أن يعيد النظر فيما ابتدعه الرئيس السابق من الأوضاع الموجعة ، ويرجع الأتراك إلى ما كانوا عليه من الاعتماد على اللغة العربية في شؤونهم الدينية ، ولكنه مائى الكيلين فأبقى كل شيء كما كان وضعه الرئيس الأول .

ولقد أشرنا في هذه المذكرات إلى ما ارتكبه الكوايون من محاربة العربية والمعطف على كل لغة من لغات العالم ما عدتها ، وقلنا ان الزمن سيفصل في هذه القضية ، وما قد حققت الأيام ظتنا بعض الشيء . وعاد الأتراك إلى إقامة صواتهم وأذانهم باللغة العربية .

ومما يؤثر أن المجلس الوطني في أنقرة عاصمة تركيا الجديدة ، وبعض أعضائه على دين رئيسهم أنانورك ، لما عرضت عليه مسألة الرجوع إلى

العربية في العبادات وخاف أنصار القديم أن يغلبهم المحدثون قام أحد أعضاء المجلس يؤذن بالعربة فأسكنته وتبعد ثان فتابع ما بدأ به الأول فأسكنته ، ثم نمض ثالث فأتم الأذان إلى آخره . . فتكهرب المجلس وقرر في الحال إعادة اللغة العربية إلى تركيابا على النحو الذي كانت عليه منذ ستة سنة وعلى الطريقة التي جرى عليها إسلامون بأسرهم منذ قام الإسلام . وأصبحت جرائد تركيابا تجاهر بتعلم العربية فإنه أحق بالعنابة من اللغة اللاتينية وهي الأصل المهم من أصول اللغة التركية وبها كتب الكتاب العزيز . سبحان حكول الأحوال لا يبقى إلا الاصلح والآخر ، ويتوضع كل ساعة القضاة على ما يخالف العقل منها أني عليه من الزمن .

جريدة الكرم

كتب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك الزيات الوزير يقول سمعت بأن شرآ قد رفع اليك فيه عيب لك ، ونقد لبعض عملك ، فغضبت له وضفت به ، وأمرت بالبحث عن قائله ، لتذيقه غضبك ، وتصب عليه عذابك ، وتعلمه عاقبة طيشه ، ومغبة استخفافه بالسلطان ، واجترائه على الحكم . ثم لم يكفك ذلك ولم يقنعك ، فأمرت أعاوانك من الكتاب والعمال أن يتقدموا إلى أصحاب الشعر المنظوم والكلام المنثور ، والى ذوي الأفلام المشرعة ، والإلسنة المنطلقة ، ألا يذكرون فيها ينظمون من شعر أو يكتبون من نثر ، أو يديرون من حديث ، إلا باخير ، وات جنح منهم عن ذلك جانح ، وانحرف منهم منحرف ، فات السجن له مهيا ، والعقاب له مرصد ، والعذاب عليهم محظوم . قال : وأنت بعد ذلك لا تستطيع أن تعقل الإلسنة المنطلقة ، ولا أن تحطم الأفلام المشرعة ، ولا أن تمنع القلوب من الشعور ، والمقول من التفكير ، فدع الناس وما يشاهدون أن يقولوا فيك من الخير والشر ، ومن الحمد

والذم ، وانتفع من ذلك كله في اصلاح نفسه ، وفي تجنب ما يشينك الى ما يزيلك اه .

وبهذا ألقى الجاحظ على أعظم وزراء عصره واعلامه درساً في اطلاق الحرية للناس يقولون ما يشاءون ، وليس له هو الا الانتفاع من ذلك في اصلاح نفسه . ودعاه الى امتناع الناس بحرية الكلام مبينا له مغبة منعهم منه وأنه ليس له أن يكره أنتهم لحظ نفسه وبخاراه هواء .

وتنطوي هذه النصيحة التنبية على معنى جليل وهو أن ابن الزيات على جلالة قدره وسمو منزلته في الدولة ليس في وسعه أن يجعل دون الناس وأنتهم ، وواجبه اذا كان ما يقال فيه حقاً أن ينزله منزلة من الاستفادة ، وان كان غير صواب أن يرمي به عرض الحافظ . والسفيه الذي يقول على عظيم اذا رأى منه اعراضاً وأنه لا يتم الاقوال الصادرة عن هوى يضطر بعامل الملل الى أن يكتف عن هجائه وأذاه . ولقد رأينا من غرام الملوك والكهنة بالمدح ما أدى الى أن جلب لهم القدر والذم أيضاً ، ولو لم يحرموا كثيراً على المدح لما كان شأن ناس هجوا به ، وإذا لاحظ المجاذون أن هجاءهم بما تنخلع له قلوب المهجوين زادوا وأفربوا ، وإذا أيقنوا أن صاحب النفس العظيمة لا يأنبه كثيراً لما يقال فيه يحذرون صرف أوقاتهم فيما لا يجيء به عليهم . وقد رأينا العلي المنزلة النزيه في ذاته لا يعبأ بتراثه التراثيين مدحأ كان أم قدحأ . ورأينا هذا الفرب من الاقوال خفة الاهتمام به في عهدها ، لأن الناس تعلموا والمتعلم ينجمل أن يصدق للباطل وأن يهرب من الحق .

الحكومة التاجية

أرادت حكومة السيد تاج الدين الحسني أن تنشر كتاباً في المشاريع التي نفذت في أيامها وعهدت إلى بتأليفه ، فتوخيت أن أدعم الأفوال بالأرقام الصحيحة وأبتعد عن الخبر والدعوى التي لا ثبات . وصدر الكتاب باسم « الحكومة السودية في ثلاث سنين » : (من ١٥ شباط ١٩٢٨ إلى ١٥ شباط ١٩٣١) فنالم رجال الكتلة الوطنية وحاوا لو بكل قوتهم أن يضعفوا من عمل الحكومة .

وقد قدمت للكتاب شهداً لهذا نصه : لما استلمت الحكومة الوردية الحاضرة زمام الأمر قدرت عظم التبعية الملقاة عليها ، فرأت من واجبها معالجة مشاكلها بالتوذدة والخزم لاعتداد أسباب الراحة للورديين وانقاذ البلاد من وطأة الأزمة الاقتصادية التي كانت الدولة تتقاذف في غمرتها ، فبدأت بتوطيد الأمن وعمدت إلى الفرائب والتکاليف فيخفضتها ونظمت طرق الجباية وضاعفت أهمية في ذلك خصوصاً عندما شاهدت رداءة الموسفين الآخرين ، وكان الحصول في الاول قليلاً والأسعار في الثاني متدينة . وكانت الحشوات الزراعية التي كانت تعبيت بالغلال منذ سنين . ثم كان انتشار الجراد في ربیع سنة ١٩٣٠ فلكافحته مكافحة عز نظيرها وانت عليه بكل ما لديها من قوة حتى أندلت المواسم وحافظت الاشجار من التلف . ولما تحقق لها بوس حال الفلاح أعطته مبالغ كبيرة يستعين بها على تقويم شأنه وأمهله في أداء الديون والضرائب المستحقة ، ومنها ما أسقطت عن المكلفين بعضه ، ومنها ما ساحت به كله ، واحتفظت بحقوق الدولة بالنسبة لسائر البلاد المشمولة بالانتداب ليحصل التوازن العقول بين الغنم والغرم في باب المصالح المشتركة ، وائلاً تضطر إلى الاقتراض لتعد موازنة بتلام خرجها مع دخلها .

ونشطت الحكومة الصناعات الوطنية ورخصت بتأسيس مصرف صناعي
واغتلت المواد الاولية من الفرانك والرسوم . حتى نشأت في المدن صناعات
قللت من الواردات الاجنبية ما امكن . وساعدت على بعث الصناعات الوطنية
من مرقدها . وكان المعرض الذي اقامته بدمشق في صيف ١٩٢٩ تزوجاً
ناطقاً بتقدم البلاد من هذه الناحية . وبذلك هيأت أسباب الرزق لسكان
حيث لا تكاد تجد عاطلا عن العمل ، في هذه الازمة العالمية الشديدة
التي اضطررت بتأثيراتها أرقى بلاد المدينة ، وثال من في جوارنا من الاقطان
والاصناع نصيب واخر منها أمت معه بلادنا بالقياس الى جيراها
في رخاء ودعة . ويرجع معظم السبب أيضاً في تحفيف ويلات الفاقة
المالية الى ما صرفته دولة سوريا من الاموال الطائلة على اعمال العمran .
كانشاء الطرق المعبدة لتكثير أسباب المواصلات بين البلاد ، وهي تتفق
على هذا الفرع مبالغ لا يستهان بها تصرفها من موازنتها السنوية راجبة
محنة ، لأنها بعملها هذا تعمير البلاد وتحدث مرتفعاً للطبقات التي تتوقف
حياتها على عملها اليومي . وهذا اتصلت المدن بشبكات من السكك المعبدة .
ولا تزال المهمة مصروفة الى انجز از طرق القرى لربط امهاتا بالحواضر
ومراكز الأقضية والنواحي ليستطيع المزارع أن يحمل حاصلاته الى
الأسواق الكبيرة على أيسر وجه .

وسعت في انعاش البلديات وأقرضتها اموالاً لجلب المياه النقية ، وتنظيم
المدن والدساك على أحدث طراز بضمن راحة السكان والمخلفين اليها
فلبست أكثر المدن بل القرى الكبيرة جللاً جديدة . ولا تمضي سنون
قليلة حتى تنزع عنها ثيابها البالية الرثة ، ويصبح من هذا المعنى قسط
من العناية امهات القرى التي أخذت تنشيء بجالس بلدية .

وعنيت الحكومة عناية خاصة بالصحة العامة فأنشأت عدة مستشفيات
ومستوصفات وأفامت الأطباء في الأصناع التي كان الناس فيها محروم من عناية
من بطיהם ويرعي صحتهم . وأخذت تنشر بين الطبقات النازلة فائدة الاستفادة

على أيدي الطبيب بعد أن مرض عليها قرون وهي لا تلجم في تقويم أبدانها إلى غير الدجاجلة ، واهتمت بباء الشرب فأسالت إلى بعض المدن والقرى الصالح من الماء للاستعمال فزادت المواليد وقلت الوفيات ، ولا تقدر الزيادة في عدد السكان كل سنة عن سبعين ألف نسمة . وجذفت بعض المستنقعات المضرة وغرت عليها الأشجار لتحسين المروء والزينة ، وأنشأت دوراً للحكومة ومخافر لرجال الأمن ومدارس لنطقين العلم ، رجعوا للتبسيط على أبناء السبيل ، واستكثرت من الأسلاك البرقية والهاتفية لترتبط أجزاء البلاد بعضها ببعض .

ولقد نشطت الزراعة إلى الحد الذي ساعدها عليه أسبابها المادية والفنية فأدخلت أصنافاً جديدة من الزروع والأشجار . واهتمت بالصناعات الزراعية ونشر الأدوات الحدية والاسعدة الكيماوية . وعملت على زيادة رأس مال المصرف الزراعي وتسهيل اقتراض الفلاح منه بفائدة معتدلة بما يستجني البلاد فائده عاجلاً أو آجلاً ، ومن جملة الدواعي التي حملتها على الغاء نظام حصر الدخان ووضع نظام الاطلاق أي حرية زراعته وصنعه والإتجار به ، إنشاء زراعة راجحة في أرض الدولة كانت في حكم العدم من قبل ، ويعني بها زراعة الدخان على أنواعه ، وابحاث موارد جديدة من الارتقاء تأكيده من صنع اللفائف ، وبها تفتح هذه التجارة للناس من أبواب الربح ، فألفت لذلك الشركات وبدأت المنافسة بينها بما ينتج تحسين هذا الصنف لما فيه فائدة المستهلك المستحصل . وقد زادت واردات الدولة بهذا النظام الجديد إلى أكثر من ضعفين ، استطاعت الحكومة معه تخفيف العشور والخارج وغيرها وهي تفكير في الغاء الاعشار والاستعاضة عنها بخرجاج مقبول ، يقلل مشاكل الفلاح ويضمن له عيشاً فيه بعض الرخاء . وكانت الحكومة أبداً في سياسة الاقتصادية ترمي إلى تنويع الانتاج والاكتثار منه إلى أقصى حد يمكن ، وإلى القصد في طرح الضرائب وانفاقها في وجوه تأسي بفائدة مشورة في الجملة .

ولهذا الفرض انشأت ل الاول عهدها ادارة الري وأمدتها بالمال اللازم لها وقد ظهرت تباشير أعمالها في بعض الاصفاع . والمؤمل أن تخيراً بالري " مئات الالوف من الافدنة تروى من الامهر العظيمة التي تجري بقربها كالفرات ودجلة والخابور والبلخ وجفجغ وعفرى والعاصي والاءوج وبودى أو من الاقية المخزونة مياهاها في جوف الارض ، وكانت مياهه لا ينفع بها ، أو بواسطة السدود القريبة المأخذ أو من رد المياه الشافية على ارض الاستفادة منها في أخرى محرومة ، كما هو الحال في نميري العتيقة والميجانة . وسيزيد في المستقبل القريب ربع الاعلين من ذلك ولا يضطر بعضهم الى الهجرة ، والذهب كفول للعامل على سطح أرضه . وبعض هذه الاعمال في السقما بما يساعد على تحضير البدو ، لا سيما بعد ان شرع بإنشاء آبار لهم في الفلووات البعيدة وظهرت آثار الارتفاع بها واضحة جلية ، وهذه الآبار تساعد ولا شك على تعهد المواشي والاستكثار من انواعها الصالحة في سهول تنبت أجود الاعشاب ومناخها في الغاية من الملائكة لتربيبة الماشية ولا ينقصها الا ماء طاهر لشرب القائين على استدرار خيراتنا .

وما تدرعت به الدولة النزول عن املاكهها بالتدريج فباعت في المدن ما لا حاجة لها به وتبيع كل سنة عشرات من القرى من النازلين فيها أهل الزرع والضرع بأسعار متزايدة . تتناقض اثمنتها على نجوم وتقاسط وذلك لتنشيء الزراعات الصغيرة وتتوفر موارد العيش ابن كانوا فيما سلف أشبه بالمتشردين وستعطي جانباً من الارض القريبة من البوادي بما تراه صالحة لنزول العشائر الرحالة وانصاف الرحالة .

ولقد أيقنت الحكومة أن نشر التعليم الابتدائي في المدن والقرى وبين القبائل هو العامل الأكبر في التهوض بالدولة فوجهته وجهة عملية على اسلوب يختلف بعض الاختلاف في القرى عن المدن وفي تعلم الذكور عن الإناث ، ولم تغفل التعليم الثانوي والعلمي والصناعي والتجاري والزراعي

وينت كثيراً بدار المعلمين والمعلمات وخرجت عشرات في مدارس فرنسا العليا ليجيء منهم أخصائيون في العلوم والفنون . فجبرت بذلك بعض النقص الذي كان محسوساً في صفوف الأطباء والصادلة والمحققين والمهندسين والماليين والزراعيين والأساتذة على اختلاف فروعهم ، ولا تزال عاملة على املاه الفراغ المألف ب الرجال يأخذون العلم على أحدى الطرق العصرية ، ولم تضن في هذه السبيل بالمال فضاعفت في عهدها موارنة وزارة المعارف فكانت سياستها في التعليم محاربة الجهل والامية وتنقيب فئة صالحة من أرباب الكفاية لمارسة الأعمال الحرة وتولى الادارة والحكمة والتعليم والتنظيم .

وكان من عمل الحكومة في تصنيف الموظفين أن أخرجت من الخدمة عدداً غير قليل واستعاضت عنه بعناصر صالحة من أبناء البلاد المتعلمين . فانتقلت الأعمال الحكومية أو أكثرها إلى أيدي تخمن العمل بنشاط ومعرفة ونزاهة ، مع ما هناك من مراقبة وتفتيش . فأمن الصالحون من العاملين على حاضرهم ومستقبلهم ، وأعبدوه ونظامهم الخاص بمحبيهم لا يخافون إلا من أنفسهم أو يوم يخالفون القوانين المرعية ، وبعيون بصلحة الأمة . فقد حظرت عليهم مثلاً الاستغلال بالسياسة ليصرفوا أوقاتهم في تجويد عملهم الخاص ، وتركت الأحزاب يستمتع القانون بها بحرياتهم كاملة . على أن لا تخرج عن مضمون القوانين ولا تخلي بشيء من أسباب السلام العام .

وقد وسعت الحكومة سلطة رجال الادارة في الألوية والأقضية وسنت نظام التقاعد فحفظت به حقوق التقاعدin وضمنت لهم مستقبلهم ومستقبل عيالهم . وساعدت ادارات الأوقاف على استبدال الوقوف لتفدو ملكاً صرفاً لأربابها لا ينزع عنها منها منارع . فالافت الاوقاف الى توفير ريعها من أملاكها ، وبذلك قامت في دمشق وحلب مبان عظيمة للأوقاف كانت مثالاً جميلاً في باب الهندسة والاستغلال . ونظرة عجل

على المحاكم والدرك والشرطة ودور الحكومة والقضاء في العاصمة وأعماها يدرك بها الفرق الواقع بين الامس واليوم في التنظيم والتقويم وفصل القضايا وطرق التعليم والتمهين .

وقد اشارى القول ان البلاد دخلت في طور تجدد محسوس وانهت بالاساليب الحديثة في نشوئها وارتفاعها ، وانما الاملون بمحبتهم بان السكينة مستقرة وان الحكومة عاملة على احتراف الحق بينهم وانما توفر لهم ما وسعتها فوتها اسباب الاعمال والاتجار . ومن ذلك ما اتخذته من الاسباب الكثيرة لراحة السائحين والمصطافين والاستمتاع بهواء البلاد ومشاهدة مصانعها وعاديتها ، ومنها درس مشاريع الكهرباء في بعض المدن الصغرى بعد ان جعلت الحظ الاولى من ذلك للمدن الكبيرة ، ومنها مشروع الترامواي والكهرباء في حلب وحماة وحمص وانطاكية ومساعدة الحكومة شركة الجر والتنوير في دمشق لتمدد خطوطها من غرب المدينة الى شمالها الشرقي وتتوسيع به نحو ثلاثة عشر كيلومتراً حتى يصلغ قصبة دوما فبعد ذلك قسم من الغوطة الشهالية في جملة احياء مدينة دمشق .

والحكومة تدرس الان شروط شركات اخرى لانشاء خطوط حديدية تصل بين الساحل وافقى حدود الدولة من الشمال الشرقي الى غير ذلك من المشاريع التي قد لا يظهر اثرها الان والقصد منها استخراج خيرات الارض وتقليل الابعاد وتيسير المواصلات وفتح منافذ العيش لمن يحبون ان يعيشوا بكدهم ، وتعليم الناس اصول التألف والاجتناع ومن ذلك انها هيأت طرق العمل لنقابات الحرف وغرف التجارة والزراعة في المدن ، وكثيراً مازالت على رغائب القائين بها حتى احسن القوم بما ضمن لهم من حرية العمل ان كل صوت يرتفع بالحق للحصول على ما ينفع بسمع اصحابه ، وان كل انسان في صعيد هذا الوطن هو شريك متضامن مع جاره ، ونموضه مناط النهوض بياده وسعادته تنبئ من سعادتها . ومن اجل هذا لم تدخل الحكومة وسعاً في معاونة الجمعيات الخيرية على

اختلاف مقاصدها ومدت يد المعونة للمدارس الوطنية والطائفية والاجنبية
ناظرة الى مصلحة البلاد قبل كل مصلحة .

وفي الصفحات التالية صورة اكبر من هذه الصورة المصرفة تنزل
ما قامت به الحكومة من الاعمال التي تعد نفسها سعيدة بتحقيقها . وترى
من واجب الالتفاف ان تذكر بالخير عمل حضرات المستشارين الفنيين
الذين آذروا الحكومة الوطنية احسن مؤازرة بفضل ما يستمدونه من
روح صاحب الفخامة الميسو بونسو المفروض السامي في سوريا ولبنان
وما يصدرون عن آرائه الصائبة في المسائل الجوهرية . والله المسؤول
ان يوفقنا الى خدمة الوطن العزيز ل تقوم دعائم مجده الحاضر كما كانت دعائم
مجده الغابر على الوضاع الرشيدة التي يرثى عنها كل صادق الوطنية اه .

مكتبة مصرية

عزّة العلماء

كان العلامة سعيد الاسطوانى فاضي دمشق من كبار علماء عصره مشهوراً بالتفوى والصدع بالحق ، وهو صاحب الحزانة العظيمة التي أحرقت في حريق سوق الجيزة وكان فيها من الامهات المعتبرة الشيء الكثير . وشغر في بعض أيامه منصب افتاء دمشق وكان السيد الاسطوانى في رحلة له الى حمام أبي رباح في جبل قلمون يصحبه قريبه الاستاذ عبد الحسن الاسطوانى . فقال له هذا : اني مستغرب تركك دمشق في هذه الآونة ووظيفة الافتاء شاغرة وأنت بها أحق المطالبين بتقلدھا . فأجابه ان فلاناً وفلاناً من المقدمين في الحكومة كانوا يقفن على الاقدام أمام الوالي ساعة وانما أرفع الاوراق الرسمية كبعض المستخدمين العاديين وأصبحا الآن يقدمان ويؤخراً في أمور الولاية ورجالها فانا غير مستعد لأن أرفدهما على كتفي حتى يرضيا عنى ويساعدانى على أخذ الافتاء . وكان لمنصب افتاء دمشق مكانة مغنوية يجيء المفتى بعد الوالي في المرتبة . وهذا مثال من عزة نفوس العلماء .

مكتوب بخط

لباس الرأس والبدن

من أضحك ما في الشرق العربي تناقض أهله في لباس الرؤوس وكروة الأبدان ، لا يكاد يشبه قطر قطرأ ولا مدينة مدينة ولا قرية قرية . وعلى كثرة المخالفين في الدول العربية لم يغز العرب الى الان بتوحيد لباسهم اللهم الا في جزيرة العرب وما اليها من الأنماط ، فان معظمها اعتمد من القديم على الكوفية والعقال والعباءة كما اعتمد عليها سكان الريف في الشام والعراق ومصر . احتفظت هذه الأقطار بهذه الكروة مئات من الأعوام وما أدخلت عليها تعديلات لا مثيل لها هواء أرضها في صبغها وشتمها . أما لباس الرأس في المدن فابواع وأشكال . واتجهت المغوس في الأيام الأخيرة الى استعمال القبعة الافرنجية فجاذر ولادة الأمر في مصر اثاره ثترة المتعصبين اذا أجازوا لبسها فاضطروا الى العدول عن هذا الرأي . مع أن البدن من العادات ، وما كان له يوما اتصال بالدين ، والعرب حتى في عصر صاحب الرسالة عليه الصلة والسلام كانوا يكتسون الكروة التي يجدونها وتكون بما يقيهم الحر والقر . وثبتت أن الرسول نفسه ليس ألبسة كانت بما يلبسه الروم .

اما أكسيه البدن في المدن العربية فأشكل وأنوان أيضا ، منها ما يقرب من لباس الغربيين كالسرابيل والمعاطف ومنها ما يشبه ألبسة النساء وثياب التبذل وكلها بما يمكن توحيده ، وفي توحيده الراحة للابسين واقتضاد حسوس .

الشعر المرمزى

هوس أحد المتصرين منذ سنين ، وهو دكتور في الآداب على ما يدعى .
فنظم شمراً مجردًا من الأوزان والقوافي ومن المعاني والخيال سماه الشعر
المرمزى . وما عني عليه للناداة على شعره في سوق السكاد فاندر .
مفتون بشعره ، ولكن العتب على بعض رجال الصحافة الذين يتولون
نشر هذا المذيان المؤذى للأذن المفسد للذوق . قرأ له الناس عدة فصائده
فخرجوا منها بلا محصل وأظنه هو لا يستطيع أن يفسر ما كتب .
ما أغرب حال طلاب الشهرة وبخاصة اذا حرمهم الفاطر معظم الانسباب
للوصول إليها .

بِحُسْنِيْمَه لِلرَّأْيِهْ فَهُرْ

ارتكبت جريمة لا تغتفر في نظر صاحب الجمودية فقلت في كتابي
« دمشق مدينة السحر والشعر » ما فجواه ان الثورة السورية اضرت
بنا فتوقفت الاعمال وخربت البيوت وهلك الناس وأن الثورات نضر
أكثر مما تنفع ، فغاظ الرئيس قولي لأنني ما لاحظت أنه ثأر ومن أنصار
الثورة ، فأخذني على ما صرحت به بواسطة رئيس ديوانه . فقلت له : أمامكم
أسران تعمدون الى أحدهما فاما أن تردوا على ما كتبت في الصحف ،
تفضون رأبي في الثورة والثورات ، واما أن تعرضوا الامر على القضاء
فيحكم علي بما جنبت . ثم ان ما صرحت به من هذا الرأي في مخار
الثورات قال به بعض علماء الغرب ومنهم الحكيم غستاف لبون .
وما كان من الرئيس على عادته مع من يغضب عليه الا أن سلط

عليه بعض الصحف الدمشقية الناطقة بلسانه والمتحذبة بمعوناته وانعاماته ، تهكم في وبآرائي . واسترسل أتباعه في هذينهم أياماً ، وما ذكرتني من قبل جريدة عربية مثل هذه السلطة . ومكذا كان الرئيس ينتشى من لا تروقه أفكاره ، يؤدب بلسان أتباعه كل من لا يقول بقوله ليحملهم على مشاركته رأيه بالقوة . يسلط الــفــهــاء على الشرفاء وهذا من باهر سياسته .

عاطل و مطل

في العادة أن من لا يجب العمل يثبط العاملين حوله . نبغ في القرن الماضي في دمشق رجل من أولاد التجار ، طلب العلم وظهر نبوغه فيه ومالت نفسه إلى التأليف ، أواخر العقد الثاني من عمره ، فبلغ شيخه ما يحاوله فقرئه على جرأته فلم يعبأ بتقريمه ، ودام على ما أخذ من نفسه ، فجاء منه فقيه عد من أعظم فقهاء الملة وهو لم يبلغ سن الكهولة ، عنيد العلامة السيد محمد عابدين صاحب الحاشية ، وعليها المعول في الفتيا في بعض بلاد الإسلام اليوم .

ونشأ في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وفي دمشق أيضاً رجل درس العلوم الإسلامية وزاد عليهما شيئاً من العلوم العصرية ، وبدأ له أن يؤلف فألف رسالة وهو في الثامنة عشرة وعرض ما ألف على شيخه فغضب وقال هازناً به : لم يبق إلا أنت حتى تؤلف . فانقطع الطالب وقطع ما ألفه ، وبقي يمتنعاً عن التأليف إلى آخر حياته ، لم يكتب فيه إلا مالا ينال له . وهذا هو الاستاذ سليم البخاري . وكان رفيقه الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري يقول : إن انقطاع الاستاذ البخاري عن التأليف خسارة ولو اطرب عمله لكان مؤلفاً ينتفع به .

وكان الشيخ طاهر ينشط المؤافن الناشئين على التأليف والنشر وإطلاعهم في مصر والشام . وهذا هو الفرق بين عقليته وعقلية معاصره ، أخذ بأيديهم من الشابخ . وهؤلاء كان همهم مصروفًا إلى معرفة القواعد ومن سبقهم من المذايغ . وحل عبارات الكتب التي يتدارسونها ، وما كتب لهم أن فكرروا في العمل بما على ما يحب . ويزيدون إلى ذلك سيدة أخرى وهي قطع الناس عن الخروج على مأثورهم .

الطيب والقبيح

كثيراً ما رجوت بعض المترعرعين في أحكامهم إلا يجرروا نقدم بصورة عامة ، وأن يخروا بانتقادهم الفرد لا يؤخذون المجموع بما ارتكبه واحد أو آحاد ، وأقول ليس المعيار في الرجل مذهبة ولا بلده ولا جنسه وما المعيار إلا أخلاقه ، والأخلاق تختلف في رجل رجل كما تختلف صور الآدميين . وأغرب مثلاً لذلك بشاعرين معاصرتين أحدهما نجفي عراقي والثاني عاملي شامي . هاجر الأول إلى الشام فأكبر الشاميون أدبه وأخلاقه وكثير أصحابه ومربيوه في كل بلد نزله ، وكانت إذا وافى مجلساً ودّ جلasse لو أطالت جلوسه ليتمتعهم بمحبته ويطربه بنقتات شعره وكان الثاني إذا دخل مجلساً تنبض النفوس منه لأنّه جاسوس لدولة أجنبية والجاسوس مكره بالفطرة فكيف إذا كان يجادل فيها لا يعلم ويطعن بوجال الإسلام ، ولا ينجعل من التدخل فيها لا يعنيه ، وكان ثقيل الظل إذا اختلف إلى مجلس يسبع أوقات أهله بما حكته ، ومن عادته أن يسأل كل من تقع عينه عليه عن الأخبار ، ويحاول كشف خيارات النفوس . الأول أجمع على جبه كل الطوائف والثاني تكرهه حتى طائفته .

اجماعيات

من يطلب اماناً من الدهر كان كالذى يطلب ان نطلع الشمس
وبغيب القمر بأمره .

لأنخطب فتاة الا بعد تقصيك أخبار أمها وجدهما ، حياة الفتاة
نكلة حياة أهلها .

عد من يكذب عليك أنه بمحتررك ، والأمثل بك مع من كانت
هذه حاله ألا تسمعه كلامك ولا تزيه وجهك .

ما أضيق عقل من يكذب عليك كذباً ظاهراً ، وهو عند نفسه
أنه يخدعك .

الخلوة بغیر المحارم فتنة ، ان دعت الدواعي الى الاجتماع بالنساء
في معزل ، فليكن ذلك بحضور أهلهن وأزواجهن .

خلاصة ما توصف به التربية الانكليزية والتربية الفرنسية أن الثاب
الانكليزي يتعلم مسائل قليلة ويتمثلها قطعاً للحياة خير اعداد من أول
يوم يدخل في معتوركم ، والفرنسي يتعلم أشياء كثيرة ويحفظ ما لا يلزمـه ،
ولكثرة ما يحيـشـو رأسـهـ من المـعـلومـاتـ تـضـعـفـ فـيـهـ مـلـكةـ الـابـداعـ .ـ ومنـيـ
جـنـحـ الفـرـنـسـيـ لـلـعـمـلـ بـعـدـ الـدـرـاسـةـ الطـوـلـةـ لـاـ يـدـرـيـ مـنـ أـيـ يـدـأـ ،ـ وـ مـاـ يـدـأـ
الـاـ مـنـ حـيـثـ يـنـتـهـيـ الـانـكـلـيـزـيـ .ـ وـ هـذـاـ سـرـ تـفـوقـ التـرـبـيـةـ الـانـكـلـاوـسـكـونـيـةـ
عـلـىـ التـرـبـيـةـ الـلـاـتـيـنـيـةـ .ـ

خلو مجالس الرجال من النساء نقص في شروط الاجتماع ، والمجلس المؤلف من أحد الجنسين فقط مصاب بالجحود .

من بعض اخطاط المسلمين حروفهم في الحجاب عن هدي الشرع وسنة قدماء العرب ، وأخذهم بـ اصطلاح الأعاجم المشارقة .

رأقني كلام لشيخ شيوخ الأزهر عند كلامه على الصيام في رمضان .
قال : ان من يفطر ويقول فطرت لعذر مشروع يقدر هو انه افضل
عند الله من يكذب ويدعى انه صائم .

لا تحرم نفسك المذاهب الحمامة . اذا ابتليت بما يحرمه الشرع وينكره العقل
فأقلل منه جهدك .

مَنْ عُوْدَنَا أَوْلَادَنَا كِرَاهَةَ الْكَلَامِ الْبَذِيءِ، يَخْفَى مَا نَسِمَّهُ مِنْ بَذَاءَاتِ،
وَمَنْ درَبَنَا مِنْ التَّفَرَّةِ مِنَ الْكَذِبِ لَا يَجِدُ الْبَاحِثُ بَعْدَ جِيلٍ أَوْ ثَلَاثَةِ
كَذَابِيًّا وَلَا بَذِيءً إِلَّا سَانَ.

ما قيمة الحكومات الدستورية اذا عمد بتطبيق قوانينها الى أناس لا ترقى
عقولهم عن عقول العوام : الوضاع او ضاع الخاصة ، والعامية هي الحاكمة المهيكة .

ما تأمِّلُ إِلَى عَرْسٍ، بَكَاهُ إِلَى ضَحْكٍ، بُؤْسٌ إِلَى نَعْمٍ، فَقْرٌ إِلَى غَنَّى .
تعريف الحياة الدنيا .

كانوا يقولون لا تخف الا من صاحب الكتاب الواحد ، لا حكام ، غالباً
كل مائب . ولا يكفي طالب العلم في عصرنا من الكتب بعشرات
المجلدات على حين لا يستحضر في ذهنه جزءاً صغيراً بما حوتة ، ولهذا عمد
الغربيون الى الاستكتار من الجازات والفالس الرجوع اليها عند البحث ،
حتى كاد العلم ينقلب الى جازات وفالس .

اتفق أن رأس أحد المجالس النيابية أعلم الأعضاء ، فلما غاب ناب عنه أحيلهم ، وفي قانونهم أن يرأس في غياب الرئيس الأصيل أكابر الأعضاء سنًا ولو كان أحيل من قاضي جُبْل . ما أغراه من قانون .

السياسة غير الادارة ، والطب غير الصيدلة ، والخطابة غير الكتابة ، وقل أن تفوق من يحاول الجمع بين فرعين .

يؤكـد بعضـمـ أنـمـنـ يـعـانـونـ المـحـامـةـ وـالـطـبـ الـيـوـمـ وـنـ لاـ يـكـبـرـونـ منـ مـهـنـمـ ماـ بـسـدـ الرـمـقـ ، وـكـانـ الـأـلـيـقـ بـنـ لـاـ استـعـدـادـ لـمـ الدـرـسـ وـالـبـحـثـ أنـ يـنـصـرـفـوـاـ إـلـىـ الـإـشـغالـ الـيـدـوـيـةـ وـالـتـجـارـاتـ الـعـادـيـةـ .ـ تـوـقـفـ المـحـامـةـ وـالـطـبـ عـلـىـ تـقـوبـ ذـهـنـ ، وـالـشـاهـادـةـ وـحـدـهـ لـاـ تـنـفـعـ لـنـبـوغـ فـيـ هـاـئـيـنـ الصـنـاعـتـيـنـ .

كان بعض من سمعتهم يخطبون في الأدأ أقرب إلى الركاك والفهمة ، ولطالما أشـأـرـتـ نـفـسيـ مـنـ سـمـاعـ كـلـامـ الـمـرـجـلـيـنـ مـنـهـمـ ، وـعـنـبـتـ عـلـىـ أـرـبـابـ المـدـارـكـ لـتـصـيـرـهـمـ فـيـ اـرـشـادـ مـنـ يـنـدـسـوـنـ فـيـ جـمـاعـةـ هـمـ فـيـ الـوـاقـعـ غـرـباءـ عـنـهـمـ .ـ الـخـطـابـ كـالـشـعـرـ وـالـموـسـيقـيـ وـالـتـصـوـيرـ لـاـ تـنـفـعـ فـيـ النـفـوسـ اـنـ لـمـ يـرـزـقـ صـاحـبـهاـ اـسـتـعـدـادـاـ فـطـرـيـاـ يـكـملـهـ الدـرـسـ وـالـاشـغـالـ .

اـذـاـ خـافـكـ صـاحـبـ لـكـ بـدـدـ خـوفـهـ ، وـاـذـاـ اـسـتـعـفـكـ اـنـسانـ اـبـرـزـ فـوـنـكـ ، وـحـاذـرـ اـنـ اـسـتـطـعـتـ اـلـاـ يـعـرـفـ مـنـ يـجـبـطـ بـكـ كـلـ مـاـ لـكـ مـنـ اـسـبـابـ الـقـوـةـ وـالـضـعـفـ .

أنـكـرـ أـحـدـ أـرـبـابـ الـمـجـلـاتـ الـمـصـرـيـةـ وـجـودـ الـجـمـعـ الـعـلـمـيـ الـعـرـبـيـ لـاـ غـضـبـ عـلـىـ رـئـيـسـهـ فـكـانـ شـائـهـ فـيـ ذـلـكـ شـائـهـ مـنـ حـنـقـ عـلـىـ شـخـصـ مـنـ بـلـدـةـ فـأـنـكـرـ الـمـدـيـنـةـ وـمـنـ فـيـهـاـ .

تـظـهـرـ الثـورـاتـ حـثـالـاتـ مـنـ النـاسـ كـانـتـ قـبـلـاـ خـامـلـةـ مـفـمـورـةـ ، كـالـغـدـيرـ مـنـ عـكـرـ مـاـءـهـ يـظـهـرـ فـيـهـ الـوـحـلـ وـالـطـيـنـ .

ما برجت الدولة اليونانية منذ تزعمها من حكم الاتراك في القرن الماضي تضم إليها كل من تيسر لها ضمهم من أبناء جندها ، الوطنية اليونانية قوية في معظم مظاهرها على قلة عدد أبنائها وصغر مساحة أرضها .

كانت الدولة العثمانية كلاماً انسلاخ عنها قطر أو أقطار تحمل ما كانت تأخذ منه من المقاوم على ما بقي لها من ولاياته . ولما خرج عن تركها في الحرب العالمية الأولى نصف أملاكه جزأة ما بقي منها وصاعمت منه الولايات متعددة ليقال أنها مملكة كبيرة على نحو ما كانت أيام الإمبراطورية العثمانية .

قال الحاج لابن الكلبي : أخبرني عن خمسة أشخاص أضيعت في الدنيا .
قال نعم أصلح الله الأمور : مراج يوقد في شمس ، ومطر جود في أرض سبخة ، وامرأة حسنة زفت إلى عين . وطعام اجتهد صاحبه في صنعه فقدمه إلى سكران أو شهوان ، والمعروف تصفعه إلى رجل لا يشكرك عليه . وأزيد على قوله : وعلم بيشه صاحبه في جهله لاستعداد لهم لنلقيه .

الكل عامل قوي في خراب البيوت القديمة ، يتکل كل فرد من أبنائها على أخيه وعمه حتى ليصبحوا كالمتساميين ، وما كان آباءهم كذلك على ما يظهر .

أنقل ما كان ينقل على نفسي علم الرسم (البروتوكول والإنصاف) .
من الناس من خلقوا لها ولذتهم في معاناتها ، ومنهم من يستقلون القيام بما تفرضه عليهم . يُضع الملوء وكبار الدولة بعض أوقاتهم في الرسم والرسوميات ، وقد يجدون فيها غبطة وبهجة ، ولو جنحت الحكومات بغيرها ويفيد رعاياها .

عهدت رجالاً يرعوا في علوم ينافي بعضها بعضاً . شاهدت كثيروياً
يز في الأدب ، وطبيباً شاعراً ، ورياضياً ناثراً .

رأيت بعضهم يدهشون بجمال أحدى العقائل وشاهدت غيرهم يستتبخون
ما فيها من القسمات . وهذا من العوامل التي تيسر زواج بعض القبيحات ،
فإن عين المستحسن ترى ما لا تراه باصرة المستطبع .

إذا اجتمع بضعة أشخاص توأسمهم واحد بالطبيعة ، ومني حادوا عن
هذا النظام يسرى إليهم الاختلاف وسوء التدبير .

لو أزمع المفتربون من الديار الشامية العودة إلى أوطانهم يحملون
ما اكتسبوه في مهاجرهم من ثروات لأنصحت الشام من أغنى أقطار العالم .

قالوا إن حب فلان على مقدار منفعته من حبيبه ، أصلحهم الله وهل
الحياة إلا منافع ونحن أبناءها ؟

ليت المجتمع يستبقي ما لا سبيل إلى البقاء بغيره من أسباب المدنية
وذلك بعقل مدننته الحاضرة صقلأ خفيقاً وبرفع معظم ما فيها من قيود وتعقيد .

عجبوا من رجل كان معدوداً في أغنياء التجار فلما مات لم يختلف
الإ ما لا يبال له من عروض وتحف . فقلت لانتعجبوا أن من عادة الحلق
التجوز في تقدير الثروات ليثبتوا قلة تقديرهم ومن شأن التجار أن يكتسوا
حقبة مائلاً كه أبدיהם .

كثيراً ما كنت أتفى لو تيسر جمع من أحب من أصحابي في صعيد
واحد ، وأن يبعد عن عيني من يبغضهم قلبي لرداةتهم وندالتهم .

لو جرُّ المسلمون لأنفسهم أن يعاملوا غير من يدينون دينهم كما

اعتداد بعض هؤلاء أن يعاملوا من بخلافونهم أي لا يتعاملون إلا وابناء مذهبهم - مامضت مدة الا اضطر المقاطعون انفسهم الى المجرة .

اعتداد معظم من تقلدوا كبريات الاعمال من غير المسلمين أن يخسروا في خدمة الحكومة أكبر عدد يمكن من أبناء نسلتهم ، والا يعاونوا غيرهم من أرباب المذاهب الأخرى ان امكن . عادة دينية تدل على ضعف وطنية وفلة عقل .

الصحف المعتدلة للمجنة أقرب الى الانقطاع بما تكتب من صحف الاحزاب والموسین بالوطنية ، وضرر الصحف التي لا تعرف غير المدم ولا تحسن البناء أشد من نفعها .

كما ضعف عدد الاميين زاد قراء الصحف وعقد الرجال على صدورها آخذة بنواصي الكمال من حيث مظاهرها وصدق لمجتها وسرعة أخبارها وتتنوع مقالاتها ، حتى لنجدوا اشيه بمدرسة يتعلّم بها القاريء كل يوم ما ينير أمامه سبل الحياة . مطالعة جريدة راقية مدة من الزمن تقرب العوام من مرتبة الحواس في التفكير الصحيح فتعمذر بعدها مغالطتهم في الحقائق الراهنة .

قال لي والدي : كنت مشترياً لجريدة « الجواب » التي كان يصدرها أحد فارس الشدياق في الاستانة ، وكان كاتبي يقرأها علي ويشرح لي المبهم من عبارتها . فقرأت مرة بين السطور كما يقولون : ان مصير السلطان عبد العزيز الخلع ، وذلك قبل خلعه بالفعل بأربعة أشهر ، فلما خلع لم استغرب خلعه : من يفكر وبطيل التفكير فيما يتلو أو يتلى عليه خير من يكثر من القراءة ويفعل التفكير .

يُفلح على الغلب من يستمع لما يقوله فيه أعداؤه ولا يغتر بما يقول

بـ أصيـاـزه . نـقـدـ العـدـوـ أـجـدـىـ منـ تـقـرـيـظـ الـوليـ .

لـاـ بـلـغـ رـئـيـسـ انـفـضـتـ أـيـامـ حـكـمـهـ اـنـتـخـابـ رـئـيـسـ جـدـيدـ خـافـاـ لـهـ أـغـمـيـ
عـلـيـهـ فـأـشـارـ عـلـيـهـ الـاطـبـاءـ أـنـ يـبـتـعـدـ عـنـ الزـعـجـاتـ اـبـقاءـ عـلـىـ صـحـتـ . دـوـ
أـدـرـكـ أـنـ مـاـحـدـثـ لـمـ يـخـرـجـ عـنـ الـامـورـ الطـبـيـعـيـةـ لـاـكـنـيـ بـأـنـ يـقـولـ كـلـ
مـنـصـوبـ مـعـزـولـ .

الـنـقـدـ حـيـاةـ الـجـمـعـاتـ ، بـهـ اـرـتـقـىـ الشـعـرـ وـالـنـثـرـ ، وـبـهـ اـرـنـقـتـ اـخـطـبـ
وـالـنـالـبـ ، وـلـاـ يـخـافـ النـقـدـ اـلـاـ ربـ الـعـلـمـ الـضـعـيفـ .

لـاـ يـكـنـبـ التـوـفـيقـ لـكـلـ مـنـ يـتـحدـثـ اـلـىـ النـاسـ اـلـاـ عـلـىـ النـدرـةـ . المـحـدـثـ
كـاـخـطـيـبـ لـاـ يـصـفـقـ لـهـ تـصـفـيـقـ اـسـتـحـانـ اـلـاـ اـذـاـ بـقـىـ فـيـ نـفـوسـ السـامـعـينـ
أـثـرـاـ تـهـزـ نـفـمـهـ اوـتـارـ قـلـوبـهـ .

كـلـاـ خـطـتـ الـجـمـعـاتـ خـطـوـةـ تـأـلـفـتـ النـقـابـاتـ وـاشـتـدـ الـعـمـلـةـ فـيـ الـمـطـالـبـ
بـحـقـوـفـهـ وـعـدـواـ اـلـىـ اـضـرـابـهـمـ لـاقـلـ شـيـءـ ، وـالـاـخـرـابـ اـوـلـ مـاـيـعـاـجـرـونـ
بـهـ مـسـائـلـهـمـ مـعـ الـحـكـومـاتـ وـأـصـحـابـ الـعـامـلـ .

قـالـ لـيـ أـحـدـ الـأـذـكـيـاءـ بـنـ بـرـعـوـاـ بـالـلـغـةـ الـفـرـنـسـيـةـ مـنـ الشـامـيـنـ وـصـرـفـواـ
جـانـبـاـ مـنـ وـقـتـهـ بـعـدـ الـدـرـاسـةـ الـجـامـعـيـةـ فـيـ كـتـابـهـ اـطـرـوـحـاتـ الـكـسـالـيـ مـنـ
الـطـلـبـةـ الـشـرـقـيـيـنـ مـقـابـلـ أـجـرـ يـرـتفـقـ بـهـ : كـانـ هـذـاـ سـأـنـ مـعـظـمـ طـلـابـنـاـ فـيـ
أـطـرـوـحـاتـهـمـ ، فـقـلتـ لـهـ : لـذـلـكـ نـراـمـ أـحـجمـواـعـنـ نـقـلـهـاـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ لـأـنـهـمـ
لـاـ بـحـسـنـونـ فـمـاـ ظـهـرـ بـأـسـمـاهـمـ بـالـلـغـةـ الـأـفـرـنجـيـةـ ، وـمـاـ أـهـمـهـمـ بـهـاـ نـشـرـوهـ
إـلـاـ اـحـرـازـ اـقـبـ «ـ دـكـتوـرـ »ـ وـقـدـ لـاـ حـظـتـ أـنـ بـعـضـ الـأـطـرـوـحـاتـ حـلـتـ
أـفـكـارـاـ تـخـالـفـ مـعـقـدـاتـ أـصـحـابـهـ ، لـاـنـ مـنـ كـتـبـهـ مـاـ كـانـ يـعـرـفـ مـذـهـبـ
مـنـ ظـهـرـتـ الـأـطـرـوـحـةـ بـاسـمـهـ .

غوص المدارس على تكثير سواد الطلبة في صوفها ، وعلى تخريج أكبر عدد من حلة شهادتها ، ولو عقل بعض التلاميذ الذين أدوا فحوصهم بشقة كبيرة حتى انتلوا من فرقة إلى فرقة إلى أن انتهوا بمدرسة الحياة ، لأنصرفوا لأخذ أسباب للمعيشة أقرب إلى نجاحهم من خدمة نجاح إلى علم غزير ، وقربة وقادة ، ورؤوب مطرد .

شهدت في ستين سنة من تبدل في هذا العالم ما لم تشهد الإنسانية مثله في قرون . وقد مرّ بي أكثر ما عاينت كما في الصور المتركرة على الشاشة البيضاء . رأيت كل مدحش وغربي وما غيرت رأيه في ذكاء البشر وبلاهته ، وفي صلاحه وخبيثه ، وكان الحيث أوفر من الصالح والتوحش لا يزال الكثرة الكاثرة .

قلبت مسرعة المواصلات نظام الكائنات ، فتحتم علينا أن نحفظ أنبياء منوعة حفظاً مربعاً بدون تدبر ، وألا نتمتع كما كان يتمتع أجدادنا بالسكون والمدح ، ولا نتعثم بالصبر لنفهم ما نتعلم ونتذوق المذاق الروحية

كان يوجى لبعضهم أن يكون منهم رجال يستحقون اسم الرجولية لما بدا عليهم من علام النجابة لأول نشأتهم . فدارت الأيام وعلت بهم السن فشوهدوا على غير ما كانوا عليه في أول المخطة ، وما أثر عنهم إلا خدمة أنفسهم بالحق والباطل ، وما أقدموا على أمر يكون منه نفع جيئ لهم .

اعتقد بعض شعوب الغرب أن ينخلوا كل مدة إلى ديار بعيدة وإن كانت أردا هواء من بلدهم . ذلك لأن في التنقل صحة للأبدان وترويض الأذهان . لا تتوقف عن الاستجمام أيام معدودة من السنة فالملل يدخل لا ينصرف عنه ، والوقت الذي يقضى في النزهة والتنقل موضع باضعافه .

فَلَمَّا رأيَتْ صُوفِيَا أَفْلَحَ فِي عِلْمِ الْعُلُومِ الْدِينِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ
وَكَنْتَ إِذَا تَأْمَلْتَ مَلَامِعَ بَعْضِ أَصْحَابِ الْطُرُقِ أَنْصَفَ فِيهَا الْكَرَّ إِلَى
جَانِبِ الْذِكَارِ .

دَعَانِي بَعْضُ مَلُوكِ الْعَرَبِ إِلَى التَّرْزُولِ عَلَيْهِ وَاتَّخَادِ بَلَدِهِ مَوْطِنًا ، وَمِنْهُمْ
مِنْ عِنْدِي نَوْعُ الْخَدْمَةِ الَّتِي يَنْطَلِقُهَا مِنِي فَاعْتَذَرْتُ وَشَكَرْتُ ، وَمِنْهُمْ مِنْ
قَبْلِ عَذْرِي وَتَقْضِيلِ وَرْفَعِ الْطَّلْبِ عَنِي ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقُمْ لِي عَذْرًا ،
وَأَمْرَأُ أَعْوَامًا عَلَى تَنْفِيذِ رَغْبَتِهِ . وَلَوْ كَنْتُ أَجَدُ مِنْ نَفْسِي اسْتِعْدَادًا
لِخَدْمَةِ الْمَلُوكِ مَا تَرَدَّدْتُ فِي اِنْفَازِ أَمْرِهِ ، وَأَنَا إِلَى هَذَا مَا أَحَبَّتِ الْإِنْتِفَاعَ
مِنْهُمْ مَنْ دَوْنَ أَنْ أَنْفَعَهُمْ .

غَالِبُ الزُّعَمَاءِ إِذَا اِبْتَسَمُوا لَاهِدٌ تَوَقَّعُوا جَزَاءَ اِبْنَاصَمَتِهِمْ ، وَجَزَاءُهَا
عِنْدِهِمْ أَنْ تَفْنِي شَخْصِيَّةَ الْمُبَتَّسِمِ لِهِ فِي شَخْصِيَّتِهِمْ .

رَأَيْنَا أَحْرَارَ الْعُلَمَاءِ عَلَى الدَّهْرِ يَفْرُونَ مِنَ الْمَلُوكِ احْتِفَاظًا بِاسْتِقْلَالِهِمْ
الشَّخْصِيِّ وَلَا مُورِّ نَفْسِيَّةً لَابْسُعُهُمُ التَّهَلُّلِ مِنْهَا . وَالْمَلُوكُ امْسَ وَالْيَوْمَ
بِحِرْصَوْنَ عَلَى اِسْتِبَاعِ أَصْحَابِ الْمَكَانَةِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَرْوِقُهُمْ هُمْ .

مِنْ عَجَيبِ الظَّواهِرِ الاجْتِمَاعِيَّةِ حَوْلَةِ الْاسْوَاقِ وَتَحْدِيدِ اسْعَارِ الْأَشْيَاءِ
بِعَالِمِ خَفْيِي . وَمَنْ أَغْرَبَهَا قِسْمَةُ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْخَلْقِ كَانَ الْفَطْرَةُ تَرَى
نَفْسَهَا مَلْزَمَةً بِتَقْدِيمِهِ لَهُمْ .

إِلَى الْقَرْنِ الْخَامِسِ مِنَ الْمِلَادِ كَانَ رِجَالُ الدِّينِ فِي النَّصَرَانِيَّةِ يَتَزَوَّجُونَ
وَيَتَسَلَّوْنَ كَرْؤَسَاءِ الْأَدِيَانِ الْأُخْرَى . فَلَمَّا فَرَضَتِ الرَّهْبَانِيَّةُ عَلَى طَوَافَنِ
مِنْهُمْ حَتَّى لَا يَشْتَغلَ رَجُلُ الدِّينِ بِعِيَالِهِ عَمَّا يَفْرَضُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ
أَصْبَعَتِ الْعَزْوَبَةُ غَيْرَ مُسْتَنْكَرَةً عِنْدَهُمْ يَقْبَلُهَا مِنْ يَنْذَرُ التَّبْتُلَ وَلَا يَرِي
ثِبَّاً مِنَ الْجُورِ فِيهَا قَضَتْ .

رأيت راهبة كانت على جمال فنان فعجبت كيف رضيت أن تقطع نفسها بروضاها عن لذائذ الدنيا ابتناء نواب الآخرة . سلطان الدين على بعض النقوس أعظم من كل سلطان .

كان في فلسطين دير لراهبات مور أحكم تسوير ، لا ترى الراهبة فيه رجلا ولا تخرج من فلانيتها حتى تموت . شأنها شأن بعض نساء نابيس فانهن ما كن فيما مضى يغادرن بيوت أزواجهن الا يوم يحملن إلى مقبرهن الأخير .

قال لي أحد أصدقائي الأعزه ، وهو من محبي التصرف بدخنه وخرجه وقد اشتهر بجميل الحيلة في تدبير ما يقتضى من روانبه وأعماله المالية ، وهو لا يغامر ولا يغامر ، اني نظرت فيما جمعت طول عمري من مال فلم تبلغ ثروتي عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهبا ، هذا مع تحويلي في تقدير قيمة ما أملك . وسمعت بعضهم يقدرون ثروته بئنة ألف ليرة عثمانية ذهبية . وماذا تقول بعد هذا في غلوانا بتخمين الثروات والتوسيع في غموض أرقامها .

لو عقل المقامرون يوم يخسرون الخسائر العظيمة لا يقدموا على الانتحار من تلقاء أنفسهم . وبذلك كان ينزل عدد اللاعبين والملاعين .

راقت ثروة ثلاثة من بيت يدعى أهل الشرف ، جمعوا ثرواتهم من الربا والرشا وأخذ الصدقات باسم ولاية جدهم . وقد أضاع أبناؤهم ما ورثوه في وقت فصير . كنت أذهب إلى أن المال الحلال يبقى لأصحابه مدة أطول من المال الحرام فظهر أن كل ثروة منها كان أصلها إذا انتقلت إلى سفهاء تضليل في وقت قليل .

اعناد القوم اذا أضاع ابن أحد الاغنياء ثروته بقلة ادارته وكثرة سفاهته أن يسعى بعض من تأخذم الشفقة عليه الى توظيفه في الحكومة

كأن دواوين الدولة تكليا المنكوبين والمفلوكين ، أو رباطات لا بد
فيها من اطمام الماكين والجائعين .

نخرج المدارس الى جانب النباء من طلابها طائفة كبيرة من الاعقباء
ربما كان حظهم من الظهور حظ الفتنة الذكية وزيادة ، ولو حسن انتقامه
الطلبة جاءوا التخرجون كالم من الطراز الجيد في الجلة ، وعندئذ تضطر
بعض المدارس العالية الى اغلاق أبوابها لقلة من تنطبق عليهم شروط
القبول أولاً وشروط الحصول على الشهادات ثانياً .

قال لي موظف مقدم في احدى المفوضيات العربية : كنا اذا عزمنا
في مصر ان نذهب مأدبة رسمية نرسل الى الحكومة المحلية رجلاً نديمآ
من جاعتـنا ليتحقق لنا تواريخ رتب بعض المدعون من المصريين .
فإن تقديم واحد على آخر في المائدة أو تأخير من حقه التقدم على جاره
بما يشتد فيه الاعتراض على صاحب الدعوة . ما أسف الحكومات التي
تشغل وقتها ووقت الناس بالفضول .

من الامسيات التي تزيد عيوب المجتمع أن الناس لا يصدق بعضهم
بعضآ فيما يرون في أنفسهم من نقص ونقص . ولو أن كل امريء يرسل
نقده على ما يرى في صاحبه من شذوذ لكان يرجى أن تسير المجتمعات
 نحو الكمال .

لأنفرنك ابتسامة امرأة ليست لك معـا علاقة شرعية ، إنما
نحاول أن نزع منها ثواباً طريفاً أو حليباً جيلاً أو مبلغاً من المال .

من يزعم ان النساء لا يختلفن عن الرجال بعقولهن واستعدادهن للكل
ما استعد له الرجل لا يرمي بقوله الا الى خداعهن خداعاً ظاهراً وبجاملتهن
بجاولة باردة . ومن الغريب ان مداعاة المداعين تجوز على اللائي يفرض
فيهن الذكاء من بنات حواء .

النساء اقرب الى العفة من الرجال ، والنساء اشد مكرأ من الرجال .

المال الذي يدره من النفط على صاحب نجد والجهاز عامل قوي لاخرج بلده من البداوة . قالوا انه اثنا له في الرياض فصرأ عظيماً ذا عدة طبقات يصعد الى الطابق العلوي منه بالسيارة ، وما كان يجري في خيال ابن نجد أن تبلغ دياره من البذخ هذا المبلغ لولا وفرة المال في خزانة دولته .

لا تطرح أفكارك على من لا يوجى انتقامهم منها ويختفونها في باطنهم ، الا فكار كالجواهر صنعتها عن القائم في معالف الخازير .

لم يست السعادة بكثرة المال يجمعه جامعه في صندوق أو بوظفه في شركة أو في مصرف أو يبتاع به أرضاً أو عقاراً . قد يكون عامل يعيش بمالياً مودة أسعد من غني يملك عشرات الآلاف من الدنانير أو مئات من الأفدنـة وعشـرات من العـهارات ، وما الأـغـنيـاء — الذين حرصوا على الحرص كله على نسبة ثرواتهم وما انتفعوا منها في حياتهم بأكثـر من انتفاع المقل المعدم — سـوى وـكـلاـهـ أـمنـاءـ لـورـثـهمـ .ـ وـانـيـ لـأـفـضلـ والـدـأـ يـخـلـفـ بـضـعـةـ أـوـلـادـ مـتـعـلـمـينـ عـلـىـ وـالـدـ يـورـثـ كـلـ وـلـدـ مـنـ أـوـلـادـ ثـرـوـةـ تـكـفـيـهـ لـيـعـيشـ مـرـفـهـاـ ،ـ وـيـتـرـكـهـمـ جـهـلـاءـ لـاـ يـحـسـنـونـ شـيـئـاـ مـنـ اـمـورـ الدـنـيـاـ .ـ

علم لا ينفع

ذكرت احدى الجلات الغربية خلال كلامها على تنقل ملايين من السكان في ديار الغرب مدة الحرب الأخيرة أن ثقافة المثقفين كانت محببة عظيمة عليهم فان معظم المالك التي أهلت بالقادمين علمـاً كانت تقدر أن عندها حاجتها من الاطباء والمسائدة ورجال الفانوت والمفتني والمهندسين ، فاضطر بعض رجال المحاماة والطب من أبناءـاـء بولونيا وغيرها يوم قصدوا للهجرة الى كندا أن ينزـوا ثوب ثقافتهم العلمية يكتسوا ثياب حطابين حتى يدخلوا كـنـدا لأن حـكـومـتها توثر شخصـاـخـطـابـينـ الى بلادـهاـ لاستئثارـ ماـعـنـدهـاـ منـ غـابـاتـ علىـ أنـ يـقـصـدـهاـ العـلـمـاءـ . الشـرـقـ الأـدـنـيـ بشـكـوـ قـلـةـ هـذـاـ الصـنـفـ منـ النـاهـيـنـ وـكـنـداـ شـبـعـتـ منـ هـذـهـ الطـبـقـةـ وـتـرـغـبـ فيـ مـساـكـنـ الـحـطـابـيـنـ !

واجب المؤرخ

سألت كاتبة افرنجية السيد كونزال دي رينولد أستاذ التاريخ في جامعة فريبورغ السويسرية رأيه في الصفات التي يجب أن يتبعـلـىـ بهاـ المؤـرـخـ فأجابـهاـ أـرـىـ أـنـ بـصـعـبـ تـحـديـدـ هـذـهـ الصـفـاتـ وـأـنـ لـوـقـنـ أـنـ التـعـلـيمـ الجـامـعـيـ وـحدـهـ لـاـ يـكـفـيـ فالـتـارـيخـ مـثـلـ كـثـيـرـ مـنـ الـعـلـومـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ بـالـوـثـائقـ وـالـاـخـصـائـيـنـ ،ـ بالـأـمـسـ كـانـتـ الـأـشـجارـ تـحـولـ دونـ روـيـةـ الـفـاجـةـ وـالـيـوـمـ يـحـولـ دونـهاـ الـعـوـسـجـ وـالـبـلـانـ . وـكـانـ الـمـؤـرـخـونـ مـنـ عـهـدـ شـيشـرونـ إـلـىـ مـيـشـلـهـ وـسانـ توـماـ دـاكـينـ يـعـقـدـونـ أـنـ لـلـتـارـيخـ غـايـةـ وـهـيـ تـعـلـيمـ النـاسـ لـيـعـيـشـواـ فـيـ الـمـجـتمـعـ .ـ وـقـالـ سـانـ توـماـ دـاكـينـ :ـ تـنـاـلـفـ الـحـكـمـةـ السـيـاسـيـةـ مـنـ تـجـارـبـ الـمـاضـيـ

ومعرفة الحاضر حتى يهيا المستقبل أحسن تهيئه . وأرانا اليوم ونحن نهم يوم وليمة وسط الخراب والانفاض التي نطبع الى الوصول الى أن نجور بهما البناء وكل دور تعزيز يجب أن يسايره دور تركيب . ومن ينكرون التاريخ م في حاجة اليه . واني لآسف أن يرجع يوم وضع المعاهدات وتصحيح المحدود الى الاخصائين في الاقتصاد والى علماء القانون وتنسى انتشار المؤرخين . يعظم عدد من يجهلون الماضي من السياسيين المحترفين ، وفي وسعنا الآن أن ننظم قائمة جميلة بالأغلاط التي ارتكبت بين الحربين لاخيرتين ، فالسياسيون لا يجهلون التاريخ ويضيقون به ذرعاً وهو يذلهم . قالت الكاتبة فقلت له : ولعل هذا الجهل آت من أن معرفة التاريخ تتطلب جهداً كثيراً . قال : نعم وقد لاحظت في رحلة لي الى أميركا الجنوبية أن نمالك فتية فيها تشكوك من أنها لا تعرف الى أين تسير وذلك لأنها تجهل من أين أنت .

هذا رأي كبير من المؤرخين في أرقى أمة غربية ، وما ن الحال أن من يدعون خدمة التاريخ في أرضنا قد أعدوا العدد اللازم لنميرزيم في صناعتهم . ونقل كلام من سبق المؤلف دون العناية بتسلسل الحوادث وربطها بباطح حكم واستخراج الدرس النافع منها ليس من التاريخ الصحيح في شيء .

مهمة

المصطلحات الجميدة

اصط凌وا في الغرب منذ أمد غير بعيد أن يكتفوا في بعض الأسماء المطلولة بأوائل الحروف حباً بالاختصار . وكانت هذه الاسماء قليلة باديء، بدء يمكن القاريء العادي حفظها فزادت زيادة عظيمة حتى مرت الحاجة إلى وضع معجم مطول لها يرجع اليه القاريء فيما يشكل عليه . ومن المبهات التي تعيق سير المطالع في اللغات الافرنجية أنك تجد في بعض العبارات ألفاظاً وأحياناً مقاطع وسطوراً من لغة غير اللغة التي يكتب فيها الكتاب وذلك من دون أن يضع الى جانبها ترجمتها كان الكتاب يذهب الى أن كل مطالع يفرض فيه أنه يفهم هذه المفردات كما يفهم مفردات لغته . وأن مطالع صحيفية افرنجية لا بد أن يعرف اللانجية واليونانية بل الانكليزية والألمانية وغيرها من لغات الغرب .

ومرت هذه البدعة الى اللغة العربية فان الترجمة المحدثين في الصحف اليومية وغيرها اذا لم يهتدوا الى لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الافرنجي يقتصرن على وضع الكلمة الافرنجية برمتها اعتقاداً منهم أن القاريء لا يقوه وهو اذا لم يفهمها حق فهمها تمديه القرينة الى فهمها .

تقايم

قال لي صديق : كان في بلدنا معمراً صحت أذنه في صباحه فلا يتكلّم الا بالهجة التي سمعها في أيامه الأولى ، فكنا اذا أردنا استنام لمجتنا القدّيمة قبل سبعين او ثمانين سنة نزوره ونتحدث اليه فنسمع غرائب . وتصدق حال هذا الاطروش على من يحكىون اليوم بعقلية القرون الماضية ولا يخرجون عما اعتقاده وهم اطفال ويصيرون آذانهم عن سماع الجديد . ومن الامثلة الظاهرة في هذا الباب رؤساء بعض الفرق الاسلامية الذين خالفوا أهل السنة والجماعة .

كان من عادة بعض من يُعنون بالآداب في الدهر السالف أن يدعوا قول الشعر وهم لا يحسنون إلا أوزانه وقوافيه ، ليقال عنهم إنهم شعراء ، وكان بعض الفقهاء والحدثين ولع في وضع تفاسير للكتاب العزيز ليقال عنهم إنهم من المفسرين أيضاً . وبعض السخفاء في مصر اليوم يدعون الفلسفة وهم ليسوا منها في العبر ولا في النغير .

امتنع جهدي عن مقابلة مراسلي الصحف في كل بلدٍ أنيذه ، وابعد عن فتح أحاديث معهم مما كان لونها ، وذلك لأنّ منهم من اعتاد أن يسمع شيئاً وبصيغة يه أشياء . وما عدت إلى هذه السياسة التي قد تكلّفي غضبهم الا بعد أن تكرر رجائي إليهم أن يطلعوني على ما ينقلون عن قبل طبعه ، وقلما أجابوا لي طلباً . وآخر ما حدث أن أرادني أحدم على أن أصرح له برأيي في كتاب المعاصرين ، فقلت له ما عرفت عن بعضهم من حاضر البدئية ، وكان الحديث من أحاديث المبسطة لا يقصد منه النشر ، فما رأيي الا والحديث يصدر في الجريدة مضافاً اليه ما لم أ قوله ، وعزا إلى كاتب الحديث كلاماً عن كتاب آخر ؟

لم أعرفهم ولم أقرأ لهم شيئاً ، ووضع من شخصيات عرفتهم فما كبرتهم وكانتوا من أصدقاء الخلقين ، وكنت وما زلت من أول المعجبين بما أتوا ونشروا .

تغلب المعارضون في الانتخابات الأخيرة في تركيا وتناولوا زمام الحكم بعد أن تقع به الكاليون أزيد من عشرين عاماً . وكان حكمهم حكماً نيابياً بالاسم واستبدادياً طاغياً بالفعل . قالوا وكان الباب في سقوط الحكومة الماضية نقاشي الرشوة نقاشياً عظياً ، وإنجاز رجال الحكم بما لا يحمل لهم الإنجاز به من أصناف المأكولات والملابس وغيرها . أما الرشوة في تركيا فلم تبطل منذ أقدم عصورها ، وزادت في عهد الجمهورية بسبب الاقتصاد من روائب المستخدمين وصرف معظم الموارد في التسلیع .

أخذت المحاكم الشرعية تشدد في زواج الشيوخ والكهول من الفتيات ، كما تحظر الجمع بين زوجتين إلا لضرورة ماسة ، وبهذا التضييق بات يرجى دخول النظام في البيوت الإسلامية .

كان المسلمون في معظم الحروب بين دول الشرق الإسلامي ودول الغرب النصراني يبدأون أعداءهم بالحرب ، وفي الحروب الصليبية كانت الدول النصرانية هي البادئة وكذلك في حروب الاستعمار .

نشأت الدعوة إلى الإسلام دينية محضة ثم ظهر مع الأيام أن من الصعب انتشاره أن لم تدعم الدعوة الدينية بالدعوة السياسية ، والدين أبداً يحتاج إلى الدنيا .

قد يكون موقع البلد مدخل كبير في سعادة أهل وشقائه . تجاذبت روسيا وألمانيا كلّاً من رومانيا وإيران للاستثمار بآبار النفط فشققت

رومانيا وايران . آبار النفط ألغت دولتي العراق والمملكة السعودية
وآبار النفط حللت الشقاء لرومانيا وايران فصاحب النفط في هذا العصر
يسعد وبشقى .

نصح أحد كبار الأميركيان صاحب الجماز ونجد أن لا يمنع امتيازه
لأجنبى في ملكته ، حتى لا يكون ذلك سبباً في دخول الاستعمار إليها .
وأنا أذيل على هذه النصيحة : اذا كنا لا نحن انتشار خيارات أرض
بأندینا وفتتح من اعطاء الأجانب الحق في اعانتنا على استخراج ما لدينا
من ثروة طبيعية ، فمتي يقدر لنا أن نتضى وأكثر ملوك العرب يضمون
آذانهم عن ساع دعوة الاصلاح ويحملون دون وصول النور الى المفول
حتى لا يطالب رعاياهم بحقوقهم اذا تعلموا واستنارت عقولهم .

دخل فقيه تقى على أحد الرؤساء فاستخف به وتجهم له ، وبعد دقائق
وافاء أحد الرعاع فوقف الرئيس له وقفه اجلال وتقدير خطوات الى
الامام لتقبىء ، وبش في وجهه وصافحه وسأله عن حاله وحال عياله ،
فما وسع ذاك العالم المسكين الا أن تسلل من المجلس مكسور القلب .
دليل ناصع على حسن سياحة الرئيس ومتانة دينه !

كان من عادة أحد كبار الرؤساء ان يعامل أرقى طبقة من الأمة
معاملة كبراءة وترفع ، كان يقوم لهم بتكلف ، ويعبس في وجوههم
عند دخولهم وخروجهم ، ولا يتزحزح خطوة عن مقعده ، أو يستقبلهم
واقفاً على قدميه حتى لا يجلسوها بحضرته ، حاسباً نفسه هاماً على عرشه ،
أو ملكاً جباراً من ملوك الأزمان الماضية ، وهو الى ذلك لا يدخل
وسماً في رفع شأن الطبقات الوضيعة ، يحيى لقاءها ولو أتته مرات في
الليل والنهار حتى لا تشعر في حضرته بشيء من الوحشة ، وبقع في
نفسها أن شأنها عظيم اذ كان صاحب الأمر يعاملها بهذه المعاملة .

واحد من يظهر هذا الأخرق احتقاره أنفع المدورة من ألف
مافل بصفته .

ابنهم المأمون في السنين الأخيرة بنزع اندونيسيا يدها من حكم
هولاندة وامتاع سبعين مليون مسلم من أهلها بحربيتهم . وباستقلال
الباكستان وأفغانستان وفيها مئة وأربعين مليون مسلم ، وأحرار طرابلس
وريقة استقلالها وفيها مليون وربع مليون مسلم .

اعترفت بريطانيا العظمى بحكومة الصين الشيوعية مع كراهاها
هذا المذهب كراهية عظيمة ، والسياسة تتبدل تبعاً لـ القوة والضعف ،
والغربيون عامة لا يعترفون بغير القوي .

تنتشر الدعوة الشيوعية في العالم اليوم بعد اليوم وتتسرب إلى
الشعوب الشرقية والغربية حتى هددت كيان الديقراطيات ، وقد
قبلت الدعوة الشيوعية حتى كتابة هذا مؤناً وثلاثون مليوناً ، أي نحو
ثلث سكان الأرض ولا يضي زمن طويل حتى ينتهي هذا الصراع بين
الدعوتين الشيوعية والديقراطية . ومن المتعدد التنبؤ، لمن تكون الغلبة
والقطع بما تشير إليه حالة المالك يومئذ .

العلم الحر أعدى أعداء المستعمرات ، يحظرون ورورد مناعاته على من
يستعمر وهم بكل جملة ، وإذا رضي هؤلاء أن يتعلموا على الطريقة التي
يعينها فهم صاحب المستعمرة وبلغته وأسلوبه يجعلون منه كل تسهيل وتعاونه .

من ياشون كل صاحب سلطة على هواه هم أضر على أمته من كل
مسيد طاغ ولأك أن تصدمهم بأعداء الداخل والعدو الداخلي أشد ضرراً
من أكثر الأعداد .

رئيس يحيى الرفاعي ويسرف بالمال حتى يدخل العجز المظيم على موازنة الدولة أضر على أمنه من بعض أعدائنا الذين يستعدون للهجوم عليها في عقر دارها .

من كان على جانب من الذكا، سمعاً بصفته وقوته لا بد له من الدخول في الجهاد الوطني والاشتراك في أمور هو في غزو عنها بحسب الظاهر.

معظم من سمعتهم يخطبون في الملاً كانوا أقرب إلى الركاكه والمفهوم وأطاماً اشتازت نفسي من كلام المرتجلين منهم وعuibت على أرباب المدارك لنقصائهم في ارشاد من يندسون في جماعة هم غرباء عنهم . الخطابة كالشعر والموسيقى والتصوير لا تفعل في النفوس ان لم يوزق صاحبها استعداداً فطرياً يكمله الدرس والاشغال .

يطلع على الأغلب من يستمع لما يقوله فيه أعداؤه أكثر من يفتر
بما يقوله له أصدقاؤه . نقد الخالفين أنسع من ثناء المواقفين .

كان نصارى الغرب منذ الحروب الصليبية أمر فيأخذ أخبار المسلمين من المسلمين أنفسهم في أرضهم . ثبت ذلك في مواطن ألمع إليها ثغرات مؤرخينا ، وتسللت هذه الميزة في الغربيين الى يومنا ، وهم أحذق الأمم بال نقاط الأخبار على وجه سريع حكم .

مجلس التهدّي

سأل ضابط كبير من ضباط الاستخبارات الانكليزية خلال الحرب الاخيرة صاحبًا لي عما يدور في مجلس كل ثلاثة من الاحاديث ومهن تكون الجماعة ، فأجابه : مختلف الى هذا المجلس اناس من معظم طبقات أهل دمشق والطارئين عليها . فترى فيه العلماء المدینین والديینین والأدباء والمفتيين ورجال السياسة والادارة وفيه شبان وكمول وشيخوخ ونجار وزراع وأرباب صناعات ومن جميع الأحزاب والمذاهب ، وقد يلتقي فيه أهل المدن بأهل الريف ، وسكان البر بأمراء الباادية . وأحاديث المجلس منوعة ت النوع منازع المختلفين فيه . وفي المجلس جد كثير وهزل ليس بقليل . وقد يناقش الشاب الناشيء وزيراً أو عالماً ، وذلك بأدب ولباقة ، وفائدة كل واحد في هذا الاجتماع بقدر فريحته وعلمه ، وإذا جر الحديث الى السياسة الحاضرة قد يحول صاحب البيت الحديث الى المbasطة والتندر ويبعده عن الخوض فيها لا يجب أن ينقل عن مجلسه .

وأسأله هل يحب صاحبتك فارس الخوري قال نعم هو صديقه القديم وعضو معه في الجمع العلمي العربي . قال : فلماذا لا يجتمعان كثيراً ؟ قال : لأن لكل منها جماعة لا يفارقهم . قال ولماذا لا يعود الاستاذ الى الاستغال بالسياسة ؟ فقال : انه سئل هذا السؤال عدة مرات فكان يقول اني عند نفسي قد قلت بواجبي ووفيت ما علي من دين فأحب أن يعمل غيري واجبه وبوفي دينه . ثم قال له انه يستغل بالتأليف ووقته يصرفه في هذا . فقال له الضابط : أعرف ذلك . ثم ختم السائل هذه الأسئلة بقوله : وهل يحبنا الاستاذ ؟ أي يحب الانكليز فأجابه : سمعته مرّة يقول الاستعمار بلاه فان كان لابد من الوقوع فيه فالافضل ان تكون انكلترا لأن استعمارها أقل ضرراً من استعمار غيرها .

هذا ما رواه لي الصاحب الأديب ، وكانت أوجوبته مسدة كأنني أنا أمليتها عليه وليس ابنة البدية . وفي الحق أن مجالس الثلاثاء في داري كانت تجتمع أرباب المنازع المتباعدة ، وما كان المجتمعون يتبرمون منها ولو طالت الجلسة ، وكانت تنتهي في الساعة الثالثة بعد الظهر وتنتهي في الثامنة وقد تندى إلى التاسعة . ومن أدب الحضور أنه ما كان الكلام وحصته من الاستماع لاصحابه ، يتمتع كل واحد بحريرته ولا يعتدي على حرية صاحبه ، وربما ذهب بعض من لا عمد لهم بالاجتماع في هذا المجلس إلى أن الأمر مدبوغ على هذا النظام ، وما كان هناك إلا القانون الطبيعي في المجالس ، والأدب الذي يعرف في العادة عن المثقفين .

و كنت أصول الندى عن حضور الجراسيس فيه فإذا جرأ أحدم وجاه يكثُر سواد الجماعة أفهمه بلطف أن أصحابي يشتمرون من الاجتماع إلى من لم يسبق لهم أن يعرفوه ، وأننا كما قلت مرّة أعرف الجراسيس من أسئلتهم وكلامهم والنظر إليهم . وأشم رائحة الحاسوس الكريهة من بعيد فألقيه في حبالة تقطعه عن غشيان مجلسي ، وإذا عاد إلى ما نهى عنه وهذا مما يندر وحضر جلسة من المجالس وهذا في الأزمات السياسية خاصة ، أبادر لافتتاح الباب أياماً وأحياناً أسبوعاً خوفاً على بعض أصحابي من لا يفهموني عن ابداء آرائهم بصراحة حتى لا تنجذب عليهم صراخهم ضرداً ، ومنى الجلسات الغمرة نعود إلى ما كنا فيه . والسياسة أحلى حديث إلى القوم وخصوصاً أيام تبدل الدول والحكومات ، وما أكثر ما شهدناه منها . وكنا إذا أفضنا في السياسة غزجاها بأفواهه من الطرائف الادبية والأفاصيص المسليمة فيها أنا أو أرجو أحد شباننا وكمولنا أن يتحفونا بما عندم يروتون به عن نفوس الاخوان المجتمعين .

وبعد سنتين عزمت على مسكنى القرية فتقطعت مواعيد الاجتماع بالاخوان وتشتت عمار النادي الا اذا اجتمعنا على ميعاد وهذا ما أفضله ، لأن الوقت لا يتسع لكل اجتماع ، وحرام على العمر أن يضيع فيها لا طائل ورائع وأنا أرى الاقتصاد فيه .

وزارة تصليمة

ألفت في فريقي وزارة رباعية للتصليمة ، دامت تواي جلساتاً التالية
نحو خمس عشرة مرة في كل شهر على الأغلب و مدة تقارب من عشر
سنوات . وقلت مرة لبعض أحبائي من رؤساء الوزارات في دمشق ان
وزارتي في جسرين ثانية بما لا يرجى لوزارتكم وها هي لم يطرأ عليها طاريء .
منذ تألفت ، ووزارتكم لا تعم طوبلا ، وقد لا تدوم زيادة على بضعة
أشهر ، فكانوا يضعون ويقولون الغالب أن ليس عندكم مجلس نواب
حتى يسقطها كلها بدا له ، فأجيب : اللهم نعم .

وزارة جسرين متواضعة ليس فيها مرتبات للوزراء ولا سيارات
لرکوبهم يجتمعون من بعد العشاء في سكون الليل يبحثون فيها يومهم
ويسليمون وينفعهم وقد يقرأون في كتاب أو صحيفه هنية ويعملون على
الأخبار التي يقرأونها . ثم عرض لهؤلاء المتألفين ما فض جمعهم . فاقيل
اثنان واستقال ثالث فانحلت الوزارة بطبيعتها ، ولم أر أن أعيد تأليفها
لقلة من يصلح للوزارة التي أريدها .

زارني في القرية الرئيس الجليل السيد هاشم الاناسي ومعه نجله الاستاذ
عدنان الاناسي وكان وزيراً للأشغال العامة والعدل فقال ابني طريف لا أحد
الفلاحين : أين وزير المالية (الاستاذ طاهر زكريا) فالتفت السيد عدنان
ليرى زميله ، ولما علم أن الوزارة وزارة القرية ضحك وضحك كل من
كان هناك من المدنيين والقرويين .

سخافه دولة

ارتكبت الدولة العثمانية على عهد السلطان عبد الحميد الثاني ضرورياً من السخافات لاتصدر الا عن مجنون او أبله فنها أنه كان يحظر على الصحف والكتب والنشرات وكل ما يكتب ويقال ان تذكر الفاظاً بعینها ، ومن جرأ وحدثه نفسه أن يستعملها كان جرازه عظيماً ذلك لأن هذه الالفاظ تشوّش أذهان الرعية وتذكر أموراً مضرية لاينبغي سماعها ! مثل كلمة « الدستور » ، « الثورة » ، « القانون الاساسي » ، « الاستبداد » ، « مجلس النواب » ، « مجلس الشيوخ » ، « الاستقلال » ، « الامر كربلا او الحكيم الذاتي » ، « الخلع » ، « التخلّي عن العرش » ، « الحرية » ، الخ .

وما كان الرعابا في ذاك العهد احراراً حتى في تسمية أولاده ، فيحظر عليهم اطلاق اسم « عبد الحميد » ، و « مراد » ، و « سلطان » ، على أبنائهم ومن سماه أهله حتى قبل ذاك العهد باسم من هذه الأسماء تختم عليهم قابه الى « حميد او حميدي او حامد والي مرآة ». ذلك لأن السلطان عبد الحميد واحد ليس له شريك بملكه ولا باسمه . ومراد اخوه السلطان عبد الحميد هذا لا يجب أن يسمع اسمه لأنهم اتهم بالجنون وخلع ، والسلطان هو السلطان العثماني فقط . وليس بعد ذلك فلة عقل .

العلامة جار الله

شرف في القاهرة منذ سنين بالتعرف إلى العالم القازاني العظيم شيخ اسلام روسيا مومني جار الله . و كنت أعجب بالقليل الذي طالعه من تأليفه و رسائله و مقالاته ، ولا أخرج كتابه الوسيعة في الشيعة رأيت فيه الامام الذي انعقد الاجماع على جلالة علمه و شدة غيرته على التهوض بالمسلمين في المشارق والمغارب . طوف الامام جار الله في الأفطار وجاء اليابان والهند و روسيا الاسلامية و افغان و ايران و تركيا و مصر والجهاز والشام وغيرها ، وأخذ العلم عن الشيوخ الذين تفردوا بعلوم كان يشتهي التعمق فيها والتلقي عن ائتها . وقد اضطهدته روسيا و انكلترا و اعتقلناه زمان الحرب العالمية الثانية ، سجنته روسيا لأنه لم يقل فيها قبل بالتعاليم الشيعية ، ولم يقر حكمتها على اغلاق مساجد المسلمين ومدارسهم و تشتيت علمائهم . ولم نعرف وجهاً لاعتقال انكلترا له في الهند . صورة من أجمل صور العلماء العاملين الذين خلقوا ليعرفوا حبائهم في خدمة الدين والأخلاق وهو من الأفراد الذين لا يحسن بهم الدهر على العالم الا في العصر بعد العصر و حبائهم من اولها الى آخرها حافة بالخير والنفع .

و افاء اجله في مصر في ملجم ام الحسنين وفي رعاية الأميرة خديجة عباس حليم فاستند نعيه على المسلمين . اجزل الله ثوابه و هدى بعض علمائنا الى اقتناء خطاه .

الغالب والمغلوب

قال كيزو وما زال سكان فرنسا منذ زهاء ثلاثة عشر قرناً بين غالب ومغلوب وما ذي الشعب المغلوب يجاءه ليخلع طاعة الشعب الغالب وما تارجنا الا تاريخ هذا الجماد . وقول هذا المؤرخ يصدق علينا عشر العرب الى حد عظيم ، فانا ما برحنا كذلك بين غالب ومغلوب ، والمغلوب يحاول تنزع ربيبة غالبه . وما ظلم الغالب ان أنصفتنا بأفظع من ظلم المغلوب وان كان كلامها حقيقة بالملامحة يتقاسمها مناصفة . ذلك أن الغالب لا يقول للمغلوب : أقتل أخاك في أصغر الإثبات ، ولا يأمره أن يكذب ويسرق ويفجر . ولو كان المغلوب صالحًا في الجهة ما نشبت فيه مخالب الغالب حتى لتووجهه وتدميته . ثم ان ظلم الغالب ظاهر للعيان لأنه يعمل جهراً ، وأعمال المغلوب يخفىها الامرار . الاول اذا استند استبداده بنادي عليه بالويل والثبور والثاني قلما ينعي عليه ظلمه الشنيع ويروي له وترق القلوب عليه وقد تقام له الأعذار اذا خالف القوانين والأنظمة والمغلوب في معظم الاحوال اعظم جنائية وهو اكثر سواداً وأوفر مالاً ولن ينحل الخلاف بين الغالب والمغلوب الا بتنزول كلا الفريقين عن بعض سلطانه ، ولو حسنت أخلاق المغلوب ما وجد غالبه سبيلاً الى ظلمه ، ولسارت الامور على نظام من العدل أحسن مما هي الآن .

ومعنى هذا ان الغالب هو الحكم والمغلوب هو المحكوم عليه وان الحكم يستمد قوته من المحكوم عليه وهو سيده وعبده في آن واحد ، لا غيبة للأول عن الاستبداد من الثاني ولا للثاني عن الاعتصام بالأول . وكل أمة تعادلت فيها قوى الغالب والمغلوب تغزر سعادتها ويقل شفاؤها واذا اتسعت شقة التباين بينهما يبغض الثاني الاول بسبب وبلا سبب ولا يستفيد كل من صاحبه الفائدة المطلوبة .

أعظم اللغات انتشاراً

في نشرة الابناء الاسپانية أن اللغة الصينية أعظم اللغات انتشاراً وينكلم بها ٤٥٠ مليوناً وينكلم بالانكليزية ٢٢٥ مليوناً وبالاسبانية ١٣٣ مليوناً وبالروسية ١٠٠ مليون وبالالمانية ١٠٠ مليون وبالبنغالية ٩٠ مليوناً وبالبابانية ٨٠ مليوناً وبالفرنسية ٦٥ وبالبرتقالية ٦٠ .

ولم يذكر في هذا الاحصاء عدد من يتكلمون بالعربية وهم لا يقلون عن ٧٠ مليوناً عدا من يعرفها من أهل الاسلام في آسيا وافريقيا وهم لا يقلون عن مئتين وخمسمائين مليوناً ، يعرف خاصتها العربية وبها يتفاهمون مع أهل اللغات المختلفة ، وبها يلقون قومهم علوم الاسلام ، وبها يقيمون شعائره . وبالعربية نزل القرآن وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي يقرأ بلغته الأصلية ولم يكتب ذلك للغة من لغات الارض وهي الف وخمسمائة لغة

بيان الرؤوس

القى السير جون رسل رئيس اتحاد تقدم العلم البريطاني محاضرة قال فيها : انه يدخل العالم في كل ثلات ثوان مولودان جديدان وهذه النسبة متزداداً حتى تقدم العلم الذي ساعد في المئة السنة الاخيرة على زيادة اعمار الناس . فأخذ عدد سكان العالم يزداد عشرين مليوناً كل عام ، وهذه نسبة لم نعرف من قبل . ثم ذكر صلة السكان بتنظيم مواد الغذاء على نطاق دولي ، فأشار الى أن المساحة التي يمكن زراعتها في العالم لانتاج مواد الغذاء تقدر بـ ١١ الف مليون فدان وأن الارض المستعملة منها تختلف بين ثلاثة وأربعة آلاف الف مليون فدان ، ينال

كل انسان في العالم حوالي الفدان ونصف . ولو وزع كل المساحة الصالحة من الارض للزراعة لنال كل فرد خمسة افدانه . ولذلك رأى الحاضر الاستكثار من مواد الغذاء عن طريق زيادة العمل . ثم تساءل عما اذا كان في الامكان الاستفادة من الارضين التي لم تزرع بعد فقال : ينوقف هذا على تقديم العلم في وسائل تسميد الارض ويتناهى الحصول على الاسددة بقدرات غير محدودة ، وان ادخال الآلة على الزراعة يزيد ازدياد زبادة عظيمة وفي وسع المزارع الحديث بالاساليب العلمية توين حوالي ٢٠ شخصاً على حزن لم يمكن بهون بالطرق القديمة أكثر من أربعة أو خمسة اشخاص ، فان احتجينا الى مواد للفداء أكثر مما ننتج فالواجب أن نتوسيع في العمل . وعلى هذا نقض هذا العالم المعاصر ما ادعاه في القرن الماضي وطنبه العالم مالتوس يوم قال ان العام بعد مدة لا ينتهي ما يعيش به سكان الارض فالاولى تخفيض النسل . وقد زيفنا رأيه فيما نقدم من هذه المذكرات (ص ٧٢٥ الجزء الثالث) .

صنع اممية

رب رجل أفاد المدينة وأخلص في خدمتها وما اشتهر شهرتها التي تليق بما تم على يديه ومنهم صديقان لي من أرباب المطبع في دمشق الاستاذان السيد سعدي العربي والسيد صالح الجيلاني فقد طبعا منذ نحو خمسين سنة مئات من الكتب والمجلات والجرائد وتوليا طبع جريديتي و مجلتي وكبني ثم مطبوعات المجمع العلمي العربي ومجلته . وشهدتمما خلال هذه السنين الطويلة ولم يأخذ من قلبهما الا حب الطباعة والتغرن في اخراج مطبوعات متقدمة ملتزمين بالجودة لا يعنان عن بضاعتها ولا يتبعحان بما يجودان .

عرف هذان العاملان بالنباهة في خدمة الآداب واقتان ما اختص به من الامانة والصدق والانتقادات ، وما هدتها اليه الفطرة من التغرن وما خصتها به من ذوق غير فليل .

تقسيم سوريا

أشرت الى مبلغ ألمي من تقسيم الديار الشامية الى سبع دول بعد الحرب العالمية الأولى وكان في تقسيمها خسارة وأي خسارة ، واغنبطت لما عادت دولة العلوين ودولة جبل الدروز الى سوريا الأم ، وأنفت أن ظل لواء الاسكدرونة منفصلًا عنها مضموماً الى تركيا أهدتم ايام انكلترا وفرنسا درن أن نسألنا رأينا في ذلك . وأي رأي كان لما يومئذ ونحن تحت كابوس الانتداب . ثم أصبح العاصمه من فلسطين دولة اسرائيل اليهودية وضم قسم ضئيل من الداخل أي من داخل فلسطين الى شرقى الأردن .

وما زلنا نشهد الاختلاف بين المجاورين حتى لظننا احدهما أن أرض جارتها هي أرض عدوتها ، وب يكون الاختلاف في الاكثر على أمور يمكن تسويتها بالاقناع ، واذا وقع خلاف بين بعض الدول العربية فتكون احدى الدول الغربية هي النافحة في ضرامة على الاكثر . ويؤلمني ما يحدث حين بعد الآخر وأنعي على تلك الدول افادتها على تقسيمنا تقسيماً لا يدخل في منطق سديد ثم تجويزها القاء الشجب بين حكومات هي في جوهرها من أصل واحد .

وبقيت سوريا مع هذا التقسيم الجائز أوسع الاجزاء المقسمة رقعة ، فيها الساحل والداخل وفيها مرافق ومناجم ، وفيها موارد عظيمة من زراعتها وصناعتها وهي ما بورحت تشکو تزع بعض اعضائها منها كأقضية حاصبيا وراسينا والبقاع وبعلبك وغيرها ، ولا يبعد أن يأتي زمن تتحد فيه سوريا بأجمعها وتصبح كلة واحدة مع جارتها وهذا يتتحقق يوم يدرك الساسة في لبنان مصلحتهم الحقيقية . إذ من المضحك أن تعيش الدول الصفرى برأسمها بعد الآن .

أما الكلمة اليهودية الجديدة ونقوسها تزيد سنة عن سنة زيادة مطردة
من هاجر إليها من متشردي اليهود ومن ينزح إليها من الشرق والغرب
فإنما الجرح النغار الذي لا يندمل ، والله نسأل أن يقي شرها سوريه
خاصة وأرض العرب عامة .

المعروفة الصهيونية

روى الثقات أن ملكة اسرائيل وضعت في موازنتها عن السنة الجديدة
ستين مليون جنيه استرليني تتفقها في الدعاية وإنما كلًا صدر كتاب يعطى
على العرب ويقول الحق في مسألة فلسطين ويظهر حقائق الصهيونيين
يذناعون نسخه ويحرقونها على نحو ما فعلوا بكتاب د فلسطين اليوم ،
لأحد علماء المشرقيات البريطانيين ، وكما كان منهم بكتاب أصدرته الجماعة
المسيحية الانكليزية فاشتروا المطبوع منه كله بستة ملايين دولار وجعلوه
طعاماً للنار . ولا بد أن يسأل من يقرأ هذا كم تتفق دول الجامعة
العربية على مثل هذا الشأن ياترى وسياسة العصر تقوم على الدعاية ؟
ولعل دول العرب تعتقد أن مجرد كتابة مقالة في الصهيونية تنشر في
صحيفة عربية كافية في إنقاء غارات الدعايات وصد تيار الصهيونية الجارف .
يعمل الصهيونيون بعقلية غربية ودول الجامعة العربية لم تبرح نعمل
بعقلية شرقية قديمة .

دعا يقنا و دعاية غيرنا

كانت النصرانية منذ ظهورها ابنة الدعاية المنظمة ، وانتشر الاسلام بالصادقة وعمت كلته في أواسط افريقيا وجزائر الاندونيسيا والصين وذلك على ايدي جماعات من التجار اتخذوا هداية المشركون والوثنيين طرقاً لا تعقيد فيها ، وساروا في دعائهم الدينهم على ما يقبله العقل فانتعمله عشرات الملايين من هذه الشعوب الشرقية .

وكان من تساهل المسلمين مع دعاء النصرانية أن نسلل هؤلاء الى صفهم بلاد الاسلام ، والاسلام في معظم قوله يناقشون المسلمين ويدعوونهم الى دينهم . وكانت تصل دعائهم الى أرقى الطبقات المسلمة والدعاة في حلٍ من بث دعائهم بينهم على ما كانت منهم في الاندلس وفي بغداد عاصمة اعظم خلافة اسلامية . ولقد ألقى المسلمون الجبل على الغارب في معظم عصورهم لايقائهم ان دينهم لا يحتاج الى من يوج له ، وليس لهم ان يتبعوا انفسهم بدفع قوة الخالفين عنه .

تقوم دعاية الغربي في العادة على الافادة والبذل والتعليم ، وطريقة المسلم استسلام وتسليم وتوكيل وتوكل . بني الغربي دعايته الدينية والدنيوية على قواعد فيها صبر وحنكة ، وبذلك انتشرت النصرانية في زنوج افريقيا وفي الصين واليابان والهند . وبقوه الدعاية وصل الغرب الى ما لم يصل اليه المسلم الشرقي . ومعظم الامور في الغرب من اثر الدعاية يدعمها العلم والمعرفة لا تتف قوه في وجهها ، توفروا قروناً على اتخاذ اسباب نجاحها بتسلسل في الفكر واطراد في العمل . وتاريخ الرهبنا اللاتينية وتاريخ الكنيسة البروتستانتية مثال عجيب من هذا الاقدام وهذا الاخلاص .

لو أحسنا الدعاية وراطينا عليها كما واظبت أمم الغرب ورجال دينه لكان أهل الاسلام اليوم ثلاثة أضعاف مام عليه ولكن صوتهم في سياسة العالم مسوعاً وبأنهم في صراع الحياة خثباً .

المهتمون في الأرض

قال الاستاذ مصطفى صرعي بك وفـد سـئـل في جـلـة من سـئـل رـأـيه في خطـبة العـرـش (١٩٥٠) : كان الظن أن يـعـنـي بالـمـزارـعـينـ غيرـ إـمـلاـكـ أوـ الـذـين لاـ يـمـلـكـونـ إـلـاـ القـلـيلـ مـنـ الـأـرـضـ وـهـؤـلـاهـ هـمـ كـثـرـةـ سـكـانـ مـصـرـ وـهـمـ الـعـدـبـونـ فـيـ الـأـرـضـ عـلـىـ حدـ قولـ منـ قـالـ .

كان الظن أن تعنى خطبة العرش بـهـؤـلـاهـ فـتـضـمـنـ ماـ يـفـيدـ انـ الـحـكـوـمـةـ معـنـيـةـ بـهـمـ ،ـ عـاـمـلـةـ عـلـىـ تـخـفـيفـ أـعـبـاءـ الـحـيـاةـ عـنـهـمـ ،ـ لـكـنـ الـخطـبـةـ خـاتـمـتـ حـتـىـ مـنـ بـجـرـدـ الـإـشـارـةـ بـهـمـ .ـ وـهـذـاـ نـقـصـ كـنـتـ أـوـدـ أـلـاـ يـشـوـبـ الـخطـبـةـ لـاـسـيـاـ وـاـنـ مـنـ الـحـكـوـمـاتـ السـافـةـ حـكـوـمـاتـ عـنـبـتـ بـهـذـاـ الشـأـنـ وـجـعـلـهـ مـدارـبـهـاـ وـخـلـصـتـ مـنـ ذـلـكـ إـلـىـ تـشـرـيعـاتـ عـدـةـ مـنـهـاـ تـشـرـيعـ تـوزـيعـ اـرـاضـيـ الـدـوـلـةـ عـلـىـ الـمـعـدـمـينـ مـنـ الـمـزـارـعـينـ ،ـ وـتـشـرـيعـ تـثـبـيـتـ الـاجـارـاتـ الزـرـاعـيـةـ ،ـ وـتـشـرـيعـ الـحـدـ مـنـ الـمـلـكـيـةـ الـرـيفـيـةـ ،ـ وـتـشـرـيعـ مـنـعـ الـاجـانـبـ مـنـ تـمـلـكـ أـرـضـ الـزـرـاعـةـ ،ـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ مـنـ التـشـرـيعـاتـ الـتـيـ لـاـ مـعـنـدـيـ عـنـهـاـ لـرـفـعـ مـسـتـوىـ الـحـيـاةـ فـيـ الـرـيفـ وـتـخـفـيفـ الضـائـفـةـ الـتـيـ تـحـبـطـ بـسـكـانـهـ وـهـمـ عـصـبـ الـدـوـلـةـ وـدـعـامـهـاـ وـمـصـدـرـ الـحـيـرـ فـيـهـاـ اـهـ .

هـذـاـ مـاـ قـالـهـ الـعـظـيمـ الـمـصـرـيـ وـائـبـتـ اـنـ حـكـوـمـهـ سـارـتـ هـذـهـ المـرـةـ أـبـضاـ عـلـىـ مـاـ أـلـفـتـهـ مـنـ الـغـفـلـةـ عـنـ مـصـلـحـةـ الـفـلـاحـ كـأـنـهـ بـجـاـولـونـ الرـجـوعـ بـهـ إـلـىـ مـاـ قـبـلـ حـكـمـ سـعـيدـ باـشاـ وـالـيـ مـصـرـ وـكـانـ الـفـلـاحـ قـبـلـ عـهـدـهـ يـعـملـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـاـ يـمـلـكـمـاـ .

وـفـيـ سـبـيلـ نـشـلـ الـفـلـاحـ الـمـصـرـيـ مـنـ بـؤـسـهـ وـانـقـاءـ عـادـيـةـ الشـيـوـعـيـةـ كـنـتـ عـرـضـتـ عـلـىـ الـمـرـاجـعـ الـعـالـيـاـ فـيـ مـصـرـ رـأـيـ فـيـ تـوزـيعـ اـرـاضـيـ الـدـوـلـةـ عـلـىـ الـفـلـاحـينـ حـتـىـ لـاـ يـفـنـحـ الـمـجـالـ لـلـشـيـوـعـيـةـ ،ـ فـسـمـعـتـ وـعـودـاـ وـلـمـ أـشـهـدـ تـحـقـيقـهـاـ كـلـهاـ .ـ وـمـاـ بـرـحـتـ أـعـنـقـدـ أـنـ تـوزـيعـ كـلـ مـاـ يـصـلـحـ لـلـزـرـعـ مـنـ الـأـرـضـ

في وادي النيل وتطبيق هذه التشريعات المفيدة التي سنتها الحكومات المعاقة في الزمن الأخير من أم ما يدرا الخطر عنها أو يقلل من شرطه وأدى إلى ذلك وجوب سن قانون بمحظى على الفرد أن ذلك أكثر من مائة فدان وأقل من خمسة أفدنة مثلاً . وكل ذلك يجب على مصر أن تبادر إلى تنفيذه قبل فوات الوقت ، فقد أصبح أتباع الشيوعية ذلك سكان الأرض وثبت أن دعوتها تنتشر في مصر انتشاراً مطرداً أكثر من البلاد العربية الأخرى . وفي كل حين يكشف رجال الأمن في مصر خلية من خلايا الشيوعية . وإذا تم تقسيم الأرض فواجب ولاة الأمر منذ الآن إيجاد موارد أخرى للمصريين لخفيف الضرس والفقر عن الوادى الأعظم

حناية الملة مصر بين

ألقيت في دار المعلمين العليا بالقاهرة (يوم ٥ مايو سنة ١٩٢٧) محاضرة في « أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » عدلت فيها ما نشره المستعربون من علماء المشرقيات من الكتب العربية القديمة وأثنىت على همهم في احيائهم وانقاذ تصحيحها والتعليق عليها ووضع فهارس لها ، وثبتت لو سامح علماؤنا وأدباؤنا في هذه الخدمة الجليلة لأن الكتب كتبنا ، والمدنية مدنيتنا ، وصاحب البيت أحق بالعطف عليه وعلى من فيه .

فمنض صديقي العلامة الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله عند اقام كلماتي يقول إن علماء المشرقيات لا يتroxون من خدمة علومنا الاخديمة لهم في سياستها ودينها ، ويطنعون في الاسلام والعرب بلا حق ، والتعصب الديني بعميهم . فتبرم بعض الأساتذة الحاضرين بكلام الاستاذ جاويش وعدوه خروجاً على الموضوع ، لأنني أثبتت على المستعربين من الغربيين

من حيث أفادوا حضارتنا ، ونحن استفدنا منهم بالعرض . وكان من شهد الحاضرة الأستاذ علي الشمسي باشا وذير المعارف يومئذ فقال صديقي الأستاذ سيد كامل : سامع الله الشيخ جاويش على ملاحظاته على هذه الحاضرة التي تخلل فيها البحث وبلغ نكنا صاحبها من موضوعه ، وهو من يتعرض لدح المستشرقين في السياسة والدين وإنما ذكر أفضاه على لغته وحضارتنا بشعر كتب أسلافنا ، أو ما هذا فحواه .

أعجبت وما برحت أتعجب بما تم على أيدي علماء المشرقين في خبرة أدبنا ، مع علمي أن جلهم يعمل لسياسة لا تنفعنا ، وأن منهم قسبيون وداعاة دين ، وجواسيس يتخدون من الاستشراق آلة للوصول الى آخر لهم . وأحب مع هذا إلا يفوتنا أنه ليس من المعقول أن نطلب من لم يتادبو أدبنا ، ولم تفعل بهم أحاسينا ، ولا دانوا ديننا ، أن يعتقدوا ما نعتقد ويكتبوا فيما نكتب . فلكل جنس تفكيره ، ولكل قبيل نزعته ، ولكل جيل غرضه . على أن ذلك لا يعنينا من الخدر من هؤلاء المستشرقين وخاصة من كان بلادهم غابات سياسية في بلادنا .

الباكتستان والبنغال

زارني أوائل الحرب الأخيرة مع صديقي خليل مردم بك مسلم هندي عجوز يحمل وصاية من بعض معارفي في مصر ، وهو يتكلم العربية ويظهر الصلاح والتقوى ، وبعد حماورة قليلة ظهر لي أنه صاحب أفكار متضادة غير متناسقة ، وشككت فيه وفي مهمته ، خصوصاً لما سأله عن عمله فقال مرة انه يستغل بالفلسفة ، وأخرى أنه صحافي ، وما ظنته إلا أنه يستغل لحساب الانكليز . ثم وضع لي واصحي سؤالاً وهو قوله ألا يسرك أن يستقل المسلمون في الهند ؟ فأجبناه بلسان واحد نحب أن تستقل الهند كلها وألا تعجز حتى لا يكون المسلمون مطبعة للمستشرقين ،

فما رأقه رأينا وقال انه من المتعذر اجتماع الونبین مع المسلمين . ولا
قلنا له انه ليست للمسلمين في الهند بقعة خاصة حتى يؤسسوا بملکة على
حياتها قال ان استقلالهم غير متعذر ، وستكون الملکة الاسلامية شطرين
تفصل بينها بلاد الهند وكیتن . (المسافة بينها الف ميل فقط)
استقلت الهند منذ أربع سنين وكانت أرجو لو خفت المدود من
تعصيهم حتى يتأنى الجموع بينهم وبين مواطنיהם المسلمين في أرض واحدة
وتحت علم واحد . ولو تيسر استقلال الهند من غير تقسيمهما لاغبط
كل عاقل ينظر في العواقب بنور البصيرة . وأنا ما جوزت حياتي فحة
أرض ذات مساحة محدودة الى شطرين أو ثلاثة حفاظة أن يقل الارتفاع
بما كما لو كانت قطعة واحدة ، فكيف أوفق على تقديم الهند الى حصني
بستانيل أن ترتفع الفتنة من بينها على الدهر ، وما حدث من اختلاف في
السنين الأخيرة بين الشعبين العظيمين سبب اهراق دماء كثيرة . ثم ان
المهندستان بقي في حكمها أربعون مليوناً من المسلمين فكان بسع ملي
الباکستان ما وسع اخوانهم في دولة الهند .

الجمهوريه عندها

زرت رئيس الجمهوريه الثالث لدى عودتي الى دمشق في بعض السنين
أحمل اليه سلام ملك مصر ، وكان قبل سفرني عهد اليه بتقدیم تحياته
إلى جلالته . فقال لي رئيس ديوانه اني في مصر لا أتعارف إلى الجمهوريه
فقلت له : أوَّلَكُبِّيْكَ مفوضكم بذلك ؟ فأنكر أن يكون كتب .
وقلت للرئيس : نعم اني لا أتعارف إلى الجمهوريه في شخص مفوضكم
السيد جمال مردم بك ؛ فقد دعاني مرتين في منتب الى بعض حفلاته
في المفوضيه فلم أجبه الى دعوته ، ولم أعتذر اليه ، لعلني بأنه بدس

عليه وبتعد ايذائي ، ويُظهر لي الود ويبطن خلافه ، فرأيت من الصواب
الآن أكثر سواد أصحابه بحضور حفلاته ولا الااطف من يضرر لي السوء .
وفي السنة التالية هبطت مصر فلقبت صديقي الاستاذ عثمان عرم
باشا من عظامه وزراء القطر وأكبر مهندسيه الاعلام ، فقال لي : انه
باغه أن أكثر من نصف أهل سوريا لا يقولون بالحكم الجمهوري ، وإن
هوام في الحكم الملكي . فقلت له ما معناه : أنت تعرف يا باشا منزلة
السوريين من العلم والصنائع والتجارة واننا بلغنا درجة عالية في الحضارة
والثقافة حتى كدنا نسامي الراقين من الغربيين ، وتعرف أيضاً أنا
ناهضنا أكبر دولة حربية من أجل حريةتنا ، فكيف نوعى لأنفسنا
ـ وقد نانا استقلالنا تماماً غير منقوص ـ أن نعود فنطلب الانتداب
 علينا مرة أخرى ونستبدل الانتداب الفرنسي بالانتداب الانكليزي بزعامة
ملك قد لا يرضينا حكمه . واني اذا قلت لك أن واحداً في المئة منا
يفضل الملكية أكون الى المبالغة ، ويدخل في هذا الواحد من طردوا
من خدمة الدولة لسوء أخلاقهم ، أو لأسباب سياسية وحزبية . وإذا
كان هناك نقص في أدوات الحكم الآن ، فالنقص يكمل بطول الزمن
وما مرد ذلك الا أمور اقتصادية وفنية ، والمالي يعوزنا ، والفنيون فيما
ليسوا من الكثرة بحث يسدون الحاجة ، ونحن مع هذا آخذون بالترقي
السريع وسنبلغ ما ننتهي . ثم ان بعض الرؤساء هم من أبناء الاعيان
ربوا في عهد العثمانيين في مدارس تركية عالية ، وطالبوها بالحرية واضطهداها
وغرّبوا وسجّلوا ، وأتي زمن استولوا فيه على أزمة الحكم . الى آخر
ما قلت . وعدت الى دمشق وزرت رئيس الجمهورية وقصصت عليه مدار
بيني وبين العظيم المصري من حدث ، وما تنازل أن بشّكري على
تعارفي هذه المرة الى الجمهورية .

الرّؤُسُمُ الْعَرْفِيَّةُ

وَدُّ كَثِيرٌ مِّنْ يَقْدِرُونَ الْمَسَانِلَ بِقِيمَتِهَا ، لَا بِأَسْمَانِهَا وَظُلُومَهَا ، لَوْ دَامَ الْحُكْمُ الْعَرْفِيُّ فِي سُورِيَّةِ بَضْعَ سَنِينَ (أَيَّامُ الْبَلْمَلَةِ السِّيَاسِيَّةِ) اَوْ ضَعَ الْأَمْرُ فِي نَصَابِهَا ، وَإِنَّمَا يَفْتَحُ مَجَالَ لِمَنْ يَعْكُرُونَ صَفَّاءَ الْخُلُقِ بِاَسْمِ الْحُرْبَةِ ، وَيَخْلُونَ بِالْأَنْظَمَةِ ثُمَّ يَدْعُونَ الْمَحَافَظَةَ عَلَيْهَا .

لَا يَعْرِفُ مَعْنَى الْحُرْبَةِ مَنْ لَمْ يَنْفَعْ نَفَافَةَ حَرَةٍ ، وَمَنْ كَانَ هُوَ وَآباؤُهُ وَأَجْدَادُهُ عَيْدًا لِكُلِّ دُولَةٍ تَقْوَمُ وَلِكُلِّ قُوَّةٍ تَظَاهِرُ ، لَا يَرْجُى أَنْ يَفْيَدَ فَلَامَةُ ظَفَرٍ فِي إِنْشَاءِ أَوْضَاعَ حَرَةٍ . وَلَنْ يَصْبُحَ الْأَسْرُ عَلَى غَيْرِ هَذَا مَا دَمَنَا نَتَمَّعُ بِهِنَّاتِ الْحُرْبَةِ دُونَ أَنْ نَدْفَعَ ثُمَّهَا إِلَيْهِ كَلَّا دَفْعَهُ أَهْلُ الْغَرْبِ ، وَجَدُّوا أَجِيمًا إِلَّا حَتَّى رَسَخَتْ فِي عَقُولِهِمْ وَفُلُوْجِهِمْ ، وَنَحْنُ مَاذَا عَلَيْنَا مِنْ الْحُرْبَةِ عَلَى حِينَ لَمْ نَفْهَمْ رُوحَهَا وَلَا مَا نَتَوَفَّعُ مِنْ نَعْمَلِهَا أَنْ نَسْعِيَ الْفَوْضَى حَرَبَةً وَنَسْتَرِيعَ إِلَى حُكْمِ الْأَفَاقِينَ .

الْحُرْبَةُ عِنْدَنَا هِيَ اسْتِئْنَارُ الْكَبَرَاءِ بِالْغَافِنِ ، وَطَرَحَ الْمَغَارِمُ عَلَى عَازِقِ الطَّفَقَاتِ النَّازِلَةِ مِنْ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَارْضَاءَ بَعْضِ الْأَسْرِ بِتَفْضِيلِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ فِي الْاِسْتِخْدَامِ ، وَتَرْكُ جَمِيعِ الْقَوْمِ لَا يَعْطُونَهُمْ حَقَّوْفًا تَعْرَفُ لَهُمْ بِهَا الْعَادَةُ وَالْعَرْفُ . وَهَبَّهُنَّ أَنْ تَنْظُمَ حَالَ مَلَكَةٍ لَا يَنْظَرُ لِمَذْهَهُ الْفَتَّةِ أَنْهُمْ أَمْ جَزْءٌ فِيهَا .

كَانَتِ الْقَوَافِنِ فِي الْاِدْوَارِ السَّالِفَةِ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ ، قَسْمٌ يَطْبَقُ عَلَى الْذُقْرَاءِ وَعَلَى مَنْ يَتِيسِرُ تَطْبِيقُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ الشَّعْبِ ، وَقَسْمٌ يَعْفُى مِنْهُ أَقْرَبَاءُ الْحَكَامِ وَحَوَالِيَّهُمْ وَحَوَالَيِّهِمْ ، وَمَنْ يَقُولُ فِي أَذْهَانِ الْقَائِمِينَ بِالْاِمْرِ رِعَايَتَهُ ، وَيَرَوْنَ مِنَ الْوَاجِبِ اعْفَاءَهُ مِنْ أَحْكَامِهِ ، وَنَصْرِ الْقَانُونِ تَابِعٌ لِذَمَّةِ الْمُشْرِفِ عَلَى تَنْفِيذِهِ ، وَالذَّمَّةُ قَلِيلَةٌ وَبِاَلْأَسْفِ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِنْ رِجَالِ الدُّولَةِ .

أما في عهد الحكم العربي ، فالقوانين نافذة على الرعية كافة ، ولذلك يذهب بعضهم إلى أن نشر الأحكام المعرفية نافع بعد النورات ليأمن القوم غاللة من يتخدون القوانين سلاحاً يقاتلون به الاحرار .
القانون الصالح هو النافذ على الكبير والصغير ، ولو كانت فيه بعض التقص في الظاهر ، وما دام لا ينجو أحد من سلطانه ففيه مفعى لجميع طبقات الشعب ، ولا يحق لأحد أن يفتح فاه بالشكوى وأن يدعى أن هذا عدل وهذا ظلم . علينا أبداً أن نعود أنفسنا طاعة القوانين ، نطعها برضاناً و اختيارنا لا نتبرم منها ولا نتملل .
(كتب هذا الفصل عقب الثورة السورية الأولى)

مُؤَطَّلَات

ما كانت الحروب الصليبية إلا لطحة عار سودت تاريخ أوربا . ولا تقل عنها عاراً جميع حروب الاستعمار في القرون الحديثة .

على نسبة انغمس الناس في الماديات يبعدون عن تعاليم الدين ويتناسون فروضه وواجباته ، ولا يكاد يعهد متدين استجتمع مقومات الحياة ، ولا صاحب ماديات قام حق القيام بما يأمره به الدين .

كان البشر في الأزمان الغابرة يتقاتلون في ساحات الوعي ، ورعايا المقاولين يأمن من الغارات في مدنهم ودورهم وحقولهم ، وفي هذا العصر أصبح يباح لكل محارب أن يقتل ويidمر ما هان عليه القتل والندم في أرض عدوه لا فرق بين المسلح والمحارب .

كيف لا يقتبض العاقل اذا رأى حونه عدد من لا يكذبون ولا

بسرقون أكثر من عدد من يخالفونهم . يوم كانت الناس أقرب إلى الاعتقاد بالأخرة كان الخير موفوراً في عامة الطبقات .

على كل وطني أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن من المسائل الوطنية ما لا ينحل أن لم يشترك كل وطني بمحضه من العناية بها ، ويوجد من ماله ووقته ما وسعه الجود ، والا بقي النقص ملازماً كل ناحية من النواحي التي يعوزها الجهد . الترثة بدعاوى الوطنية من دون القبام بها تفرضه لا يصلح بها حال ولا تقام مدينة .

ما تفرد رجل عن قومه بفضيلة الا حسده لثامهم وأبغضوه ، وإن يساملوه الا اذا جاراهم في انحطاطهم وخسدهم ، ولا يزبون يقولون فيه كل ما ينبع عن رداءة أو بخلع الثوب الجديد الذي يحاول ارتداه ويساوينهم في مساوئهم .

جارت الشعوب اللاتينية على العرب وعاملوهم في كل قرن بأقصى ضروب الشدة ، وكان الباباوات السبب الأول في هذا الجور الفظيع فانهم ما غفلوا يوماً عن ايفار صدور أبناء كنيستهم على العرب ليضعفوهم ويردومهم على أعقابهم . لو لا رومية ما نشبت الحروب الصليبية ، ولو لا رومية ما طرد العرب من الاندلس وصقلية .

يشبه فتح العرب الاندلس صاحب رسالة في الاحسان أبلغها لمن يحب على أكمل وجه ، ولما انتهت مهمته جازاه عبيد احسانه على ما قدم لهم من خير بأفظع ما يعامل به انسان .

حروب الكاثوليك والبروتستان في اوربا مثال من قسوة قلوب الغربيين وتعصب رجال الدين .

أعجب أهل الشرق والغرب بدعابة المهاجم المندى
ليخرج أمنه من رق العبودية الى ساحة الحرية ، وكان يحترمه حتى
أعداؤه الذين ناصبهم العداء ليجلوهم عن وطنه ، فكافأته أمنه على جهاده
العظيم بأن قتلته يد أحد أبنائهما .

عندما يجري تنصيب صغار العمال وكمبارهم بالنظر الى ~~كمبارهم~~
لا بالشفاعة ولا الحماية بتنظيم جانب عظيم من الحال المشاهد في أدوات
الادارة في الشرق العربي .

لما جرى تنصيب درجات المعلمين والمعلمات في احدى وزارات المعرفة
بعث أحد الرؤساء الموكول اليهم أمر التنصيب - وكان سفيهاً مسخراً -
إلى ثلاث معلمات يقول : انه لا يصنفهن الا اذا خلا بهن الحلوة التي
يوريدوها ، فأجبتهن : صنفتنا ولك ما سألت . بهذه الأخلاق الساقطة لا يربغ
نشء صالح .

أظهر ما أقبلنا عليه من مظاهر المدنية شهود قاعات السينا ومطالعة
الروايات الفرامية والبوليسية ، ولما كان هزل هذا النوع من المليارات
يزيد على جده بات يخشى على الاخلاق أن تتورى أكثر مما هي متربدة .

من سوء بخت أمي استبلاء دولتين عليها تحالفانـا في مدنيتها .
خرجت الاولى من أرضها بعد أن قضت على المدنية القديمة ، وغادرتها
الثانية تاركة وراءها شيئاً من المدنية الحديثة .

غابت زمناً بالنظر في حال الجزائريين والتونسيين والمرابكشين مع
الاستعمار الفرنسي ، وأنفقت قسماً كبيراً من وقتها اندبر ادارة الترك
العثمانيين في ديار العرب ، فثبتت لي ان الدولة الراقصة كالدولة المنحطة
سواء في الظلم والجبروت .

نسمع جميع شعوب الارض تكره الحرب ، ثم هي تدخل فيما
لبنان بالحق والباطل من أعدائهم ، أو من صورتهم أنهم أعداؤها ، وليت
شعرى ألا يوجد في عقلاه الدنيا من يصف دواء ناجعاً لـمداواة هذا الداء
الوسيـل ، داء الحرب وقتل الأئـمـس وتدمـير المـدـنـ والقرى على خـوـ
ما اخـرـعوا القـبـلةـ الـذـرـيـةـ لـأـمـلـاـكـ الـحـرـتـ والـنـلـ .

مات غني كبير ولم يوص بدرهم للفقراء حاذياً بذلك حـذـوـ معظم
جماعـهـ منـ الـأـغـنـيـاءـ فيـ هـذـهـ الـديـارـ ، وـقـالـ منـ عـرـفـوهـ وـعـرـفـواـ ماـ جـعـ
منـ ثـوـرةـ أـنـ لـوـ كـانـ فـيـ حـيـاتـهـ يـخـرـجـ زـكـاـةـ أـمـوـالـهـ لـاستـحقـ عـلـيـهـ لـفـقـراءـ
كـلـ سـنـةـ مـبـلـغـ عـظـيمـ يـعـولـ مـئـاتـ مـنـهـ .ـ نـعـمـ لـوـ أـخـرـجـ أـغـنـيـاءـ الـمـسـلمـينـ
زـكـوـاتـ أـمـوـالـهـ بـدـقـةـ مـاـ بـقـيـ مـنـ يـدـ يـدـهـ إـلـىـ الصـدـقةـ .

جرت العادة ألا تقاتل الدول الكبرى أعداءـهاـ أـلـاـ باـشـرـاـكـ الـدـوـلـ
الـصـغـرـىـ مـعـهـ ، وـهـذـهـ الـدـوـبـلـاتـ مـقـطـورـةـ عـلـىـ الدـوـامـ فـيـ ذـنـبـ الـدـوـلـ
الـعـظـىـ ، وـمـتـ بـذـلـ الـمـالـ عـنـ سـعـةـ يـصـبـحـ سـاسـةـ الـدـوـلـ الـصـغـرـىـ مـنـ
بعـضـ عـمـالـ مـنـ اـسـتـبـعـوـهـ ، وـتـغـدـرـ الشـعـوبـ الصـغـيرـةـ كـانـهـ بـعـضـ رـعـابـاـ
الـشـعـوبـ الـكـبـيرـةـ .

من أـعـظـمـ الـبـلـاءـ أـنـ يـلـيـ جـاهـلـ عـلـىـ عـالـمـ اـرـادـتـهـ ، وـيـطـمـعـ فـيـ مـتـابـعـتـهـ
عـلـىـ هـوـاهـ دـوـنـ اـعـتـراـضـ .

لـيـسـ مـاـ يـجـريـ مـنـ دـمـوعـ الـفـقـراءـ أـفـلـ مـاـ يـشـرـبـ الـأـغـنـيـاءـ مـنـ الـخـورـ ،
الـفـرـيقـ الـأـوـلـ يـشـقـيـ وـيـعـذـبـ ، وـالـثـانـيـ يـنـعـمـ وـيـطـربـ .

فيـ أـوـاـخـرـ عـهـدـ الـعـثـائـيـنـ كـانـ بـعـضـ الـعـهـالـ فـيـ الـوـلـاـتـ الـعـرـبـيـةـ لـاـ يـرـونـ
مـاـنـهـ مـنـ سـلـبـ مـنـ يـبـدـوـ لـهـ سـلـبـهـ مـنـ الرـعـابـاـ ، وـمـاـ كـانـ الرـشـوةـ
مـاـ يـنـكـرـ ، وـقـدـ يـخـجـلـ الرـاشـيـ وـلـاـ يـخـجـلـ الرـاـشـ وـالـمـرـثـيـ .ـ وـعـادـتـ

هذه الحال فتجددت في العصر الحديث ، فكان الحكم الديوغرافي كالحكم الاستبدادي حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل .

قال أحد رؤساء الجمهورية لصاحب شرطته ذات يوم : أكفي شرء
فلان يعني أحد أرباب الجرائد وهو لم يسفه إلى أخذ رشوة ، وكان
يكلمه بحرية . فإذا كان صاحب الامر يدعوه إلى قتل من لم يباله على
أهوائه ، فمن يلجأ إليه في حماية الأرواح والاعراض .

ظن بعض الرؤساء أنهم يبتزون أموال الرعية بطرقهم السافلة ويعمى
أمرهم على أرباب المدارك ، لقد كذب ظنهم أن من الأمور ما يحمل
شاهده معه . إن لم تكن هدايا الحلي النادرة ، والحلل الفاخرة ،
وعشرات الأكياس من الأرض والخنطة وصفائح السنن والعسل وغيرها
ضربياً من الرشوة ، فما هي الرشوة ياترى في عرف هؤلاء المنتفعين ؟
إن رئيساً يدعى الزاهة ويقبل المدايا على أنواعها ، وبسكت عن سرقات
من يرأسهم هو شريكهم وإن قال بعفته شركاؤه .

اختلت الآراء في مصدر ثروة عظيمة جمعها عاملان من عمال احدى
الدول العربية ، فمن قائل أنها جنياها من رواتب سيدعها وانعاماته ،
وهما في أرضه من طرق الانتفاع . ومن مدع أن الإجازب من أرباب
المصالح في تلك المملكة هم الذين غذوهم بهذا المال . وسواء صح الرأي
الأول أو الثاني فهما لازماع فيه ، أن هذا المال غير شريف كمعظم
ثروات العمال في هذا الشرق .

الدول الغربية تغدق المال اغداقاً على من تصطعنهم لنقل أخبار
ملوكنا ورؤسائنا ، وربما فرضتهم عليهم فرضاً إذا وقع في نفسها أنهم
ينفعونها في سياستها .

يدعى بعض العمال الزاهة ويقبلون دعوات أرباب الصالح يشاركونهم في فصفهم ولهم ويشربون من شرابهم ، ويأكلون طعامهم ، ويخلعون منهم ثوب الوفار . مسكنة هذه الزاهة يتوقف تحقيقها على شروط كثيرة ، ونصف العمال أبعد الناس عن مراعاة ذلك .

جاء تيمورلنك الترني أوائل القرن التاسع الى الثامن في - هـانة الف
مقاتل فيها ذكر أرباب الأخبار فلم يقبل الدمشقيون أن ينزلوا على حكمه
مغوروين بخمسة آلاف جندي كانوا يرابطون في القلعة ، فضرب تيمورلنك
دمشق وحلب ضربة هلك فيها عشرات الآلاف من الخلق وذهبت النروة
وعلم الحراب . مثال من التقاء أعظم مهاجم بأضعف مدافع ، وقد جمع
هذا الى قلة تدبيره عناداءً وغروراً .

لو لم يستغل العرب لأول أمرهم بمسألة الخلافة لفتحوا دولة الروم
وانشر الاسلام في أوربا وعمت العالم دعاته .

ما أشد اغترار الناس بالجمعيات الخديوية وبخاصة اذا توهم الداخلون فيها
مقدماً ، فقد ظن من دخلوا في الماسونية أنها جمعية تفيد الانسانية وتفيدهم
في دنياهم ، ولو عرفوا أنها جمعية صهيونية لا يقصد منها الا مصالح اليهود
ما انخرط فيها هذا العدد الذي من المسلمين والمسحيين .

لاستيلاء النصرانية على فلسطين في القرون الوسطى حارب أهل الغرب
المسلمين قرنين ورجعوا بالفشل ، ولاستيلاء اليهود على فلسطين في العهد
الحديث حارب الصهيونيون المسلمين أشهرآ فأبلغوا ماطمحوا اليه بمعارنة
بعض دول النصرانية لهم .

ألفت أميركا القنبلة الذرية أواخر الحرب العالمية الأخيرة على مدینتين
من مدن اليابان فهلك مائتا ألف انسان وانتهت الحرب ، وما زالت
هذه القنبلة مثار البحث بين الدول الحاكمة على أقدار الانسانية لعمرنا

وهي الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى حامية الديمقراطيات ، وروسيا رافعة علم الشوعية . وقد أجمع العلماء أن بعض قنابل تكتفي بحراب الأرض وابادة المدنية ، وليس بعد ذلك همجة .

لما انقرض مذهب المعتزلة تراجع أمر المسلمين عامة ، ذلك لأن قوة أهل الاسلام كانت معلقة على الحلة ، والحللة متخ جالها يومئذ بما عرها من ضعف في جسمها وروحها .

تذرعت فرنسا بكل مالديها من قوة حتى تبقي لها مستعمراتاً الاسلامية ملكاً أبداً فسدت منافذ الحرية عن رعياتها وعانت بقدسائهم وضمهم الى جسيتها بالقوة ، وأبقتهم في جهالة وفقر ، فغرست بذلك في نفوسهم من بغضها مالا تزيله الايام .

أنت الاحزاب السياسية الى الوزارات في هذا الشرق الفريب بأناس لا يعرفون من أمرها الا ما يعرف الحداد من صنة الساعاتي .

ما يتعسر له قلب كل عربي أن ملوك جزيرة العرب وأمراءها لم يبدأوا حتى الآن بالسير على آثار الشعوب العربية الناهضة ، ولا تذரعوا بذرائع النهضة على ما يحبب ، وما ندري حتم يسوفون والزمان حافر ومن لا يحابيه بهلك .

ما يبكي أن ما أبدعه الغرب من الاختراعات العظيمة لخدمة الانسانية اتخذه أرباب السياسة منهم ذريعة لقتل الانسان حتى يستولي القوي على ملك الضعيف ، ويستأثر بوارده ورزقه .

نشأت مع الانتداب في سوريا ولبنان طبقة من الوزراء لا يناظرون عن الاصوات الا بتناقضهم بلباسهم ، وركوبهم أفحش السيارات ، فعجبت لمن كان بأيديهم نصبهم وتحججهم كيف كانوا يسكنون عنهم ، على معرفتهم

بما تكتب أيدיהם ، و كانوا يأتون بهم الى الحكم على جن لا يجهلون
ما يجلبون بسوه - يرثهم من الفرق العظيم على سمعة الانتداب نفسه .
و كان هؤلاء الأوصوص يرضون بعض المتنسبين بموالاة امداداً بالعظيمة اليهم
ويشاطرونهم المفاص ، وهم الى ذلك يتظاهرون بشتم أمنهم ويتهربون من
محبيتها ويستميتون في الاخلاص لدولة الانتداب .

غاظني اص يعيش بأكل أموال الحلق وهو يظهر بظهور الصلاح مكان
شأنه شأن أهل قرينه كان أهلها يعتمدون بعهائم خضر ويقال لهم السادة
في النهار فإذا جن الليل ينزعون عهائمهم ويلبسون لباس الأوصوص ليبرأوا
كل ما طالت اليه أيدיהם .

كلا خطفت في الرؤساء الغيرة على الحرم فسدت الانساب وتداعت البيوت

ما ينقضي عجبي من انسان يرتكب كل ما يبعث بالمرارة وهو عند
نفسه أنه يخدع من حوله بظوره بلباس التقوى .

من غرائب مصر أن رجلاً من أعظم البارزين من رجال سياستها
رفع إلى أرقى منصب ديني رجلاً من أصحابه بحججة انه كانت له عليه بد
أيام الدراسة . وسد إليه المنصب العظيم وهو مريض مرضًا يمنعه من
القيام بأعبائه . لم تولة الامر يكافئون بما يال من يريدون المطاف عليهم
وهذا أفضل من أن ينصبوا في مقامات يتناولون فيها المشاهرات العظيمة
ولا يوفون ببعض ما يجب عليهم من الواجبات .

قلت لأحد العارفين ان فلاناً من عظام رؤسائنا قد ثبت نزاهته في
عدة مواطن فقال : لقد قلت الحق الا ازه يتسامح مع المرتشين في
حكومته كأنه لا يريد أن يثير عليه مسائل هو في غيبة عنها أو انه
يرتقب الزمن حتى يتمكن من صرف الفاسدين والاستعاذه عنهم بـ

يخرجهم لبغفهم . وهذا لا يقوم عذراً له على سكوته عن المرتكبين
على أي حال ، وما أظن أحداً من رجالنا خلا من هذا العيب ، ومن
أجل هذا كان الفساد أبداً متسللاً في هذه الدول .

كم أتمنى أن يلهم المولى من وسدت اليه مقاليد الحكم في ديار العرب
أن يفكروا في المصلحة العامة زيادة على تفكيرهم في مصالحهم الخاصة .
عشرات من الوزارات تعاورت الحكم في العراق والشام ومصر في العهد
الأخير وما كان اهتمامها بواجبها على الأكثر عشر اهتماماً بدفع صالح
الاحزاب المعادية لها . وبما ينجعل ان كل وزارة تتألف لاتستكفي
من بذل الوعود المغربية الأذلة واعلامها بما ت DOI وذاتها القيام به من
الاصلاح فيتتحقق بعد تخليها عن الحكم أن كل ما وعدت به كذب في كذب .

جارت الطبيعة على بعض الفتيات فبقاءهن عوانس في بيوت أهلمن العمر
كله ، وهن مائلن الا ليكن أمهات .

كلما زاد عدد رجال الخاتمة طال حل القضايا وزادت النفقات على
الدعائي . انعاب الخاتمة سبب هذا التطويل والتضليل .

بعض عمال الدولة يستهدون الناس ، والمدية رشوة مقنعة بقناع جميل .

ما أظن أمم الأرض أنشأت أفضل من أبي بكر . وعمر وعثمان ولا
أعظم بلاء منهم في خدمة الحق والعدل ومع هذا يكثر بعض فرق الشيعة

من لعنهم على ما لم يقل به الدين ولا العقل . وينتلقون لهم من المساويه
ما لا أثر له الا في قلوبهم النفرة (١) .

لو جمع كل ما أنثاء الشيعة في دولهم من الاحسان ما وازى عشر
ما نم على أيدي السلاجقة في فارس والعراق والشام وآمد الصغرى من
الحسنات . والسلاجقة أنراك جماعيون .

سألت بعض من يرکن الى أقوالهم من الداخلين في المارونية مما
أفادوه منها ، فـ كانوا يأسفون لوقت أضاءوه في أمور ما انتبهت الا ان
كانوا مطية لأغراض الرؤساء والمقدمين في الدرجات .

غلة النفط في العراق تنفق بتقدير ، وغلة في نجد تعرف بتقدير ،
وفي ذلك اشاره الى عقلية الحكومتين .

أخذ رجال الدولة السعودية يستغلون ثرواتهم في مصر ، يبنرون
المزارع ، ويقتنون العقارات ، ويبنون القصور في القاهرة وضواحيها ،
عوا ما لهم في البلاد الأخرى من الاموال والاملاك ، هذا وقد عم
الفقر سكان الحجاز ونجد ، ولا من يسأل هؤلاء الرنوت من أين لكم هذا ؟ .

(١) في كتاب الحجج الفطعية لاتفاق الفرق الاسلامية صورة الماظرة التي جرت سنة ١١٥٦هـ
بين عبد الله السوادي البغدادي من علماء السنة وبين الشيعة وقد جاء ملك العجم طهاب فلى الى العراق
واراد ان يعترف بصحبة مذهب الشيعة وانه مذهب جمهور الصادق قال طهاب انه شرط حين الماظرة
في صحراء مغان عام ١١٤٨ رفع سب الشيدين والآن رفعت السب فن سب قتلته واسرت اولاده
وعماله واغتصبت امواله . وحدث السب ايام الشاه اسماعيل الصفوي ولم تزل اولاده بهذه تفقو اره
حق كثرب السب وذلك عام ٨٠٧هـ ودام السب ثلاثة سنين واجمع علماء السنة والشيعة في تلك الماظرة
على ذكر الصحابة بغير نصار ذكرم ومناقبهم ومناقبهم في كل خبرة وعلى لسان الأئمة كلامهم بذلك
لأن بيكر وعمر وعثمان من ائب وفضائل يستنبطونها من الآيات والأحاديث ما يعجز عنه فنول اهل
السنة ويفهون رأي العجم والشاة اسماعيل في سبهم .

سمعت بعضهم يقول ان الصفات الشخصية لا تأثير لها في حالة الموظف
أي انه لا يضر المقصوص فواره ولا الفاسق فقه ما دام يقوم بعمله البوسي
المفروض عليه . ومن الاسف أن من يجب عليهم تحري حقائق المستخدمين
م أوغل في الفساد من م تحت أيديهم ، لذلك نراهم يوحون من
لا يستحق الرحمة .

سألت في الحرب العالمية الاولى أحد المستعربين من علماء الامان ،
وكان قفي في الهند دهرآ يدرس العربية في جامعة اليفرة في شمالي الهند ،
هل صح أن الشيعة يبلغون ثلاثة مليوناً في الهند ؟ فانتفض وقال : هذا
الاحصاء مبالغ فيه جداً اذ الشيعة هناك ما زادوا على نصف مليون ، أي أن
جماعتهم ومتممون بالبالغة في تقدير كل ما يرفع من شأنهم أوصلوا
الشيعة يومئذ في الهند الى ستين ضعفاً مما هم في الحقيقة . واقد رأيت
جميع الشيع التي انشقت من الاسلام تبالغ بعدها مبالغة مضحكة .
سأل أحدهم أمامي وجلأ دخل في مذهب القاديانية كم بلغ عدد جماعته
فقال : أربعة ملايين . والقاديانية ما تجاوزوا الى اليوم ثلاثة عشر شخص
على ما حفته الثقات من القاديانيين أنفسهم .

زعم بعض المنشقين عن جمهرة المسلمين أن التاريخ لا يؤخذ من كتب
أهل السنة لأنهم يكتبون ، والواجبأخذ عن مؤرخي الشيعة لأنهم
صادقون . ما أضيق عقول هؤلاء الدعاة أضافوا الى تعصبهم الذميم مكابرة
في المحسوس وقلة أدب .

يجادر بعض المعتبرين الانتقاد وهم من أشد المشارفة جباً للمدح والتقدير .
وإذا انتقد منتقد بعض الظاهرين منهم يفقد اتزانه ، وإذا فرطهم مفرط
يغتبطون وبعدون ذلك منه له عليهم .

كان من أعظم أمني الشيعة في الاسلام أن يؤسسوا لهم دولة تجمع شملهم وتبث في العالمين دعوتهم ، فوفقاً إلى تأسيس الدولة الابوجية في الشرق ، والدولة الفاطمية بصر ، والدولة الصفوية في المجم ، وكانت كلها أخط بادارتها وسياساتها من جميع الدول الاسلامية ، وفيها من العبوب ما يزيد على ما في الدول الجماعية .

بحارل بعض الامامية انكاراً ما صدر من جماعتهم ، وينهبون لهم الاعذار ، ويبرؤونهم مما نابذوا فيه الحق ، وإذا حاجتهم ينكرونهم أنكرواها وقالوا ان الشيعة فرق كثيرة ، والامامية براء من هذه التقولات ، ويدعون أنهم يفضلون عليهما فقط ولا يشترون الصدقة . والنفضيل بأدب لا يعلم بقدر ما ينفع الطعن في عشرات الالوف من الصحابة قام الاسلام على أيديهم .



ساعة التمرق

من أبلغ ما قرأت في الصحف المصرية كتاب استقالة الاستاذ مصطفى مرعي بك من وزارة الاستاذ حسين سري باشا . أنشره هنا بودجاً يفهم منه روح كبار الساسة ، قال :

ـ حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

تحية وبعد فانك تعلم كما بعلم غيرك أنني انا استتركت في حكومتك على أمل في أن لك غاية هي جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ، وان لك هدفاً ، هو الاستعانة بالقوى المزتلة على مواجهة الخطير من منا كلنا الداخلية والخارجية .

وقد تبين أنك لا تغبوا (؟) هذه الغاية ولا تتوصل بوسائلها ، بل انك تبدو كما لو كنت مسلطاً لتجعل من كل حزب حزبين ومن كل فرقة فرقتين .

وقد رأينك بنفسك ترى الرأي للحق وتنقضه للباطل ، وتقول الكلمة وتنكرها . ولم يقع ذلك مرة واحدة ، بل وقع مراراً في الخطير من شؤون الدولة .

اما افظلك واما عبـــارانك ، واما اسلوبك في ادارة مناقشات مجلس الوزراء ، فقد أصبح هذا كله مضرب الامثال وموضع التندر في كل مكان .

لذا ، أجيطك علماً باعتزالي العمل في الوزارة ، والله المسؤول أن يدفع عن بلادنا السوء ، وأن يقيها غواائل الفساد ، .

١٦ أكتوبر ١٩٤٩

مصطفى مرعي

الحنبليات الضارة

قال لي أحد أبناء وظني من مهاجري الشاميين في الأرجنتين إنَّ
يحمل من مواطنه فيها إلى بلدته دير عطية في جبل فلدون متني أنَّه
إيره سوريه لبناء جامع ومدرسة انانث ومدرسة ذكور ، وأنَّ بعض
التراثيين قال له : إنَّ في هذا المال الذى تأثرنا به نظراً ، لأنَّ منكم
من يملك كروراماً واسعة يعسر عنهم لبييعه خمراً وهذا حرم فأجبت رسول
الحسين ، وقد عجزت عن الرد على ذلك القول من طريق الدين : بارك الله
بالمال ومال المترعين ، إنكم تتبعون النهوض بين خلفتم وراءكم من الأهل
والعشير وليس بعد ذلك احسان ووطنية .

وسألت صديقي العلامة عبد الحسن الاسطوانى أكبر علماء الحنفية
في الديار الشامية عن حكم هذه الاموال فأتألم بالنص من كتب الفقه ،
وقرأ عليَّ ما يلي : « وجاز بيع عصير العنب من يعلم أنه ينخدث خمراً
لان المعصية لا تقوم بعينه » وأبلغت هذه الفتوى مواطنى الكريم فاغتنط
بها وجماعته المفترعين أي اغتابطاً .

ومن هذا النوع من رمي الشريعة بالجحود ما يأتيه بعض أغبياء القطر
العربي من ايداع أموالهم في المصارف وأكثرها للجانب دون أن
يتناضوا عنها شيئاً من الفائدة تدبناً . وتقدر هذه الودائع بعشرات
الملايين من الجنيهات يتغافل أصحابها منأخذ أرباحها وهي لها وجه
حلٌّ اذا صرف في اطعام الفقراء وكسوتهم وتعليمهم . والعمل على ذلك
جارٍ أكثر من جيلين . فكم ربحت مصارف الحربيين من أموال المصريين
بهذا التعميم المروهوم ، وكم حرم أرباب المؤس من الانتفاع بفائدة هذه
الاموال . الا بعد ذلك من باب الحنبليات الضارة ومن الجحود الغريب ؟

أغراض السياحين

قص علي صديقي خليل مطران الشاعر عليه الرحمة ما وقع له مع أحد أصدقائه من الأمراء قال : طلب الي ذات يوم أن أنظر فيها بصدر عن مكتبه من الرسائل أفهم عبارتها وأنفع أسلوبها ، فأخذت أختلف إلى قصره مررت في الأسبوع . وأرادني بعد مدة أن أنوّط له مع صاحب الأمر الأكبر في فض مشكلة تهمه . فقلت له : يا مولاي أنا لا أصلع لهذه السفارة لعدة اعتبارات ذكرها ، والأولى أن يكون الوسيط بينكما من عبار أكبر من عباري كأن يكون أميراً أو سفيراً . فيكان جوابه وعلى هذا فانت تنتفع من صاحبك فلا تحب التوسط بيننا في مشكل يهمني فضاوه على يدك . فأخذ الغضب من الآخر الخليل وقال : اني أختلف الى القصر منذ سنة كذا لأنظر في الرسائل الصادرة عن ديوانك فالتمس منك أن تفضل وتسأل دائزتك هل قبضت درهماً مقابل ملي أو اجرة العربة التي تنتظرني حتى أعود فان كنت لم تعطني شيئاً حتى الآن وانت أكرم من السحاب كيف ينفعني خصمك بشيء وهو من أجل الحلق ؟ قال وتفارقنا والانقباض ظاهر على وجهي ، وحاول بعدها استرضائي فابت .

قال : ومضت برهة من الزمن وارتقي صاحبي الى منصب يستطيع فيه أن يضر وينفع ، فما هي الا أيام حتى داهم داري جماعة من رجال الامن العام يقتلون أوراقي ويطلبون مني القصيدة التي مدحت بها خصم الامير . فلم يعنروا على غير ما طبعته في الديوان . وكان المقصود منه خدمة مصر فقط . ثم ترافق اليه أن ذلك الصدر العظيم تذرع بنفيي من مصر بدعوى أنه شخص غير مرغوب فيه الا أن الانكليز لم يقبلوا بذلك . وكان السبب في وقايتي من التغرير بـ رجل منهم ألف كتاباً بالفرنسية في الغوص

الصافي (السلافي) أهدانيه فقراته وكتبت فيه مقالة نشرت في احدى الصحف الكبرى ، وذلك على غير معرفة بالمؤلف . ثم اجتمعنا وشكري وهناته على ابداعه في تأليفه ، ورجوته أن يكتب كتاباً على غراره في الفنر العربي ، وأنا أقدم له ما عندي من المواد عليه يجد فيها بغيته . هذا الرجل هو الذي قال في خيراً ونجوت بفضله من التغريب والنشر بدقة لا يندر وقوع مثلها من أمراء الشرق ولذلك كان أكثر الناشرين يعتمدون ما يمكن عنهم وينشدون مع ابن الوردي :

جانب السلطان واحد ربطه لا تعاند من اذا قال فعل

مجمع مصر

لما اقترب موعد افتتاح مؤتمر جمع فؤاد الأول للغة العربية لاحظ أحد أصدقائي في المفوضية المصرية في دمشق آني غير مستعد للسفر الى مصر حتى أحضر جلساته كالعادة في كل عام لأنني لم أطلب جوازاً والحكومة المصرية طلبتني . فألحّ عليّ صاحبي بالذهاب . وزاد هذه السنة (١٩٥٠) الحاج بعض أخواتي ونفصلوا وأوردوا لي حبيبيهم لاجابة الطلب فاعتذررت بقية نشاطي للسفر الى المؤتمر كما اعتذررت في العام الماضي بصحني . وكان الحق في جانب من حاولوا اقناعي بالرحيل في السنتين الماضيتين ، لو كانت النقلة من قطر الى قطر سهلة عليّ ، وها قد اعتذررت هذه السنة الثالثة عن الاشتراك في المؤتمر الغوري .

آني أفضل أن يشغل هذا المقعد في مجمع مصر من هو أصبر مني على معاناة مسائل استغلت بها زماناً طويلاً ، وعندي الآن ما يشغلي عنها . ولا تطيب نفسي بعد اليوم للتقيد بأراده غيري ، واجتهد المرء يتغير ، وفي هذه الحقبة من العمر يحتاج الانسان الى المدوه ، وألا تقع عينه على ما يكره ويزعج .

الصاف المربي

كلا زاد عدد من تخرجهم المدارس من الطلاب والطالبات فيزيد فرقاً
صحف زيادة محمودة ، وتنشر الثقافة بين الشعوب العربية على نطاق
الطبقات والأجيال ، وعلى نسبة ذلك يكثر ما نطبعه الصحف من الأعداد
ويناز كنابها بيراعتهم ، ويزفون على قدر شهرتهم .
عمدت أعظم جرائد مصر انتشاراً تطبع في اليوم من أيامه إلى
ثلاثة آلاف . ومن الصحف اليومية والاسبوعية اليوم ما يطبع منه
خمسة وعشرين ألفاً .

وعهدي بكتاب مصر بالامس يعيشون في ضنك وضيق ، ومهم
في أيامنا من اغتنى . وقد عذوا بما ندر عليهم أفلامهم من الربح كبعض
كتاب الملاك الغربية . ومنهم الاستاذ عباس محمود العقاد وفكري أباظة
ومحمد التابعي ومصطفى أمين ومحمود أبو الفتح في الاحباء . مثلكما بهؤلاء
وهنالك كثيرون لا يقلون عنهم تقفتنا ودخلنا .

دخلت صحفة مصر في دور الافتتاح ، وقلدت الغرب في معظم مظاهرها ، فكان من ذلك انتشارها في الشام والعراق ، وأصبح لها في هذين القطرين مكانة أربت على مكانة صحفها المحلية ، ذلك لأن هذه ما زالت صحف أفراد أو أحزاب ضعيفة . وصحف مصر صحف شركات وأحزاب غنية . وفي أرض العرب تقرأ حتى جرائد الأحزاب العربية كما تقرأ الصحف الاخبارية ، وتتلى مجلات الموز كأني تتصفح مجلات الجدد وبشترك الرجال والنساء والاطفال فيتناول الصحف .

وربما عرف ابن بغداد والموصى والبصرة ودمشق وبيروت وحلب رجال القطر المصري كما يعرفهم ابن مصر الكثيرة ما يطالعونه في صحفها من اخبارهم وأدركوا مر السياسة المصرية كنهاه المصريين وزيادة .

أبواب المنشآت

يوم أعلن القانون الأساسي في الدولة العثمانية (١٩٠٨) وأطاحت حرية الصحافة كانت جريدة المتبس أول جريدة في الشام طلت على الولايات العربية بأفكار حرة لا عهد لها بمثلها . وحاول ولادة تلك الأيام من العثمانيين أن يسكنوها ناسين أن روح حكمتهم تبدل ، وأن دولة الاستبداد دالت ، وكانت المحاكم والحق يقال أعدل من أن تتأثر بأهواء المحاكمين ، ولطاماً أخذتنا من ظلمهم حتى في معظم قوة الاستبداد العثماني .

أما في عهد الحكم العربي فكانت الحرية في بعض السنين تلمث وتحتضر ، وودّ بعض الرؤساء لو يعاقب كاتب هذه الفصول على مادوّن في تأليفه الأخيرة التي حلت آراء لا توافقه ويرى من مصلحته إغلاق باب دون انتشارها ، ولو كانت المحاكم تفصل في مثل تلك القضايا على ما يشهي الرؤساء ما ادخر هؤلاء وسعاً للقضاء على رجال الحرية بما انطوت

عليه جوانحهم من حب الانتقام وشدة الحقد وفرط الاستبداد ، فلم يبق اذاً أمام الرؤساء للتنفس الا حمل زعانفهم على التمكّن بالمؤلفين وترتيب افكارهم ، وكان اولئك الرؤساء يعاملون بعض الصحافيين الناشرين اذا غضبوا عليهم بارسال زبانيتهم يضرر بونهم حتى يدمورهم وحدث ذلك مات بعضهم من شدة الغرب . هذه هي حرية الجمودية في بعض أيامه . لم تدرك عقول من يمثلونا غير الاعنة على حرية الخلق ان لم يستطعوا أن يتذروا لأنفسهم على ما يحبون من معارضتهم لامتناع المحاكم عن الحكم لهم بما يريدون ، ذلك لأن المحكمة قانونها ولها فاض يدرك مغبة العبث به . أما رجال السياسة والادارة فقانونهم على الاغلب من اختيارع فرانجهم ولا يطبقون من الانظمة المعمول بها الا ملامهم أهواهم .

الفصل الرابع آخر ف

كان احد وزراء مصر من جملة المدعوين في قصر الملك ذات ليلة ، وللا جي ، بطبق الدهم اخذ قطعة منه ووضعها في صحن ، وحاول تقطيعها بشوكته وسكينه ، فطاحت بعيداً . فضحك المدعوون وما ادرى ان كان حاول ارجاعها الى طبقه ليأكلها حباً بالاقتصاد . فقللت لمن دوى لي هذا ان أصل هذا الرجل من الريف وما مرن على مصطلحات المدينة في بيت ابيه . ولما وصل الى المقامات العالية بقي على عاداته الراسخة وما قدر ان يتمثل العادات الجديدة على كثرة محالته الكبراء بحكم منصبه . ورأيت وزيراً منهم لما مدد يده يصافحي كانت أظافره الطويلة مبلوحة وسخاً أسود تأذن النفس منها ، فاستدللت بهذا المنظر ان الوزير لا يعرف النظافة وما اهتمى الى ان بسيط على طرق المتمددين ، ولا على طراز المتدفين في هذا المعنى .

ولقد ظلت عادات الفلاحين وآخلاقهم مائلاً في كثير من الوزراء الذين يرجعون في أصولهم إلى الفلاحين ، والمنحط يبقى على المنحط . اطه محتفظاً بأخلاق أهله ولو كانت ظواهره أنه متمدن ، والممال لا يورثه ما فقده ولا المظاهر الحديث ينقوله من قبيح إلى أحسن في برهة وجيزه . نحن حراس على تقليد الغربيين في عادات فم حسنة وفانتنا أن هذه العادات رسخت فيهم في الاحقاب الطويلة وهي تلقين من الآباء والأمهات ونتيجة اختلاط وتغير وتدریب . والغالب أن العادات المموجية يبقى انزع بعضها في المتعلمين من ابناء الطبقات النازلة مستحکماً إلى جيل أو جيلين . رأيت طوائف من الناس في المآدب والمجتمعات ومنهم الغني قد احتفظوا بأخلاق بيوتهم وعاداتها في مظهرهم الجديد ، يتجلّى ذلك في سكان جبال الشام الذين هاجروا إلى أميركا وغيرها ، فانهم لا يحسّنون على الأكتر الجلوس ولا الخطاب ولا الطعام ولا السير على طرائق أهل العصر ، ترى ذلك مائلاً في النساء والرجال ، ومني رأيت من رأيت من الجنين تعرف أنها بقياً بعد الغنى والغربة الطويلة فلاجدين وأبناء فلاجين . لبت المدارس تدرب بالعمل تلامذتها على سلوك سبل المتدينين وتلقنهم فن الحياة ومصطلحات العصر ، كما يعلموهم منذ الصغر الصلة وما يتبعها من أمور الدين . تعلم الصبيان ولا تغفل عن الفتيات .



بـَأَرِيفِ الْمَهَارَكِ

يقول غروست، المؤرخ : قد يتجاوز عمل مؤسسي الملك الحمد الذي ما كانوا يتوفونه . أخضعت حكومة الاشراف الرومانية لسلطاناً في القرن الثاني قبل المسيح الامارات الميلينية ، وما كان يدور في خلادها انه سيكون من ذلك توحيد جامعة الميلينيين ، ونشر كلتهم في العالم ، وأن هذه الحفنة الضئيلة من اليونان سيقوم منها رجال بزنطية الذين اشتهروا بعجرفهم في الفرون الوسطى . وفي العهد الحديث ادخلت الثورة الفرنسية ونابوليون النظام على الشعوب الالمانية واخرجتها من بلبنها ، وما كان يشك انهم يعلمون على ماتخالف مصلحة بلادهم ، فنشأت الوطنية الالمانية والوحدة الالمانية . وهكذا كان من الانكليز لما شرعوا بضم اجزاء الهند في وحدة شاملة وما رأوا انهم بما اتوا يوحدون اجزاء مملكة متعددة جغرا فياً وذهبوا الى ان لهم فائدة من خدمها في سلك واحد ، بيد ان نتائج سياستهم تعدت الحدود المنتظرة فجمعوا بتأليفهم هذه الوحدة الادارية التي خلقها الطبيعة من جبال هيملايا الى رأس كامرون بين سكان الهند وما حبوا حباباً للعقاب ، وباجدادهم يملكون الهند خلقو امة هندية . اه واصلح الغرب الخطا الذي ارتكبه في اليونان قديماً والمانيا والهند حديثاً على رأي المؤرخ ، وقام يفرق كلة الشعوب ولا يجمعها ، وسار على ما يتفق مع اطماعه من التقسيم ، فجعل من مراكش مملكتين لكل واحدة منها ملك . وسيق للدول المتعددة أن قسمت الديار الشامية بعد الحرب العالمية الاولى الى سبع دول ثم أرجعتها الى أربع ، وفصلت بريطانيا العظمى السودان عن مصر ، وجعلت الهند شطرين ، شطر مسلم وشطر وثني ، واقتطعوا من جسم اليمن عدة امارات على المحيط الهندي ، وجعلوا من سواحل الخليج الفارسي امارات مستقلة ، وأنشأوا من كل امارة دولة على حبها وألفوا من ولایة مملكة ، وصاغوا من عمالة امارة .

وهكذا قسموا بحسب أغراضهم مala تجوز قسمته ، وما راعوا مصلحة السكان ولا طبيعة البلدان . ولا قصد الدول الكبرى من هذا الشرق المكين الا منافعهن الخاصة . ورأينا انكلترا تنشيء بعد الحرب العالمية الأولى من الأرض التي كانت معروفة بلواد الكرك على العمـد العثماني، مملكة دعمها مملكة شرق الأردن ونصبت عليها أميراً ثم جعلته ملكاً . وانكلترا نصي اليوم الى تأسيس مملكة عربية ثانية على الحباج الفارسي سكانها مليون نسمة ، وبالطبع تقيم لها ملكاً و مجلس نواب ووزارة مسؤولة وغير ذلك من التوابع واللاحق .

وهكذا شأن الدول في التقسيمات الجغرافية ، وحرصن على تفريغ أجزاء القلوب في الشرق أشهـه بحرصن على تحجزة أرضه ، يفـعن المجال للمذاهب الجديدة ويـربـحـن بكل صاحب بدعة وطريقة ، ويفـتـبـطـن يومـ بينـ الـبـيـتـ الـوـاحـدـ منـقـسـماـ عـلـىـ نـفـهـ ، وـيـهـيـئـنـ لـكـلـ مـلـكـ مـنـ يـنـازـعـهـ عـلـىـ الدـوـامـ ، حـتـىـ لاـ يـصـدـعـ بـغـيرـ أـمـرـهـنـ وـلاـ يـسـبـحـ إـلـاـ بـحـمـدـهـنـ . وبـسـيـاسـةـ فـرـقـ تـسـدـ نـشـرـ الغـرـيـوـنـ كـلـفـهـمـ عـلـىـ اـفـطـارـ الـعـرـبـ مـنـ أـقـصـيـ شـمـاليـ اـفـرـيقـيـةـ إـلـىـ آـخـرـ حدـودـ الـيـمـنـ وـنـجـدـ وـالـفـرـاتـ .

قال لافيـسـ المؤـرـخـ : كلـ قـوـةـ تـنـضـبـ ، ولاـ يـتـأـقـ أـبـداـ أنـ تـكـونـ قـدـرـةـ التـصـرـفـ بـالتـارـيـخـ مـلـكـاـ أـبـدـيـاـ لـدـوـلـةـ . وـرـثـتـ أـورـباـ مـنـ آـسـياـ مـنـذـ ثـلـاثـةـ آـلـافـ سـنـةـ أـصـوـلـ الـحـكـمـ وـلـنـ تـحـفـظـ بـاـ وـرـثـتـهـ أـبـدـ الدـعـرـ . وـنـحـنـ نـقـولـ حـقـقـ اللـهـ ذـلـكـ .

أمثال

صرف عمراً في مطالعة ما أبغاه العرب من تأليف ، فبقدر ما كتبت
أرثاح الى أسفار الأقدمين كنت أنقض من بعض كتب المحدثين ، ومن
أكثر ما عدلت النظر فيه مضيعة لا وقت كتب المناقب والمناقب ، فما
حيكت في كل عصر بضرورب من المذيان والبهتان . ومن أبغى ما جعل
في النثر مناقب الأولياء والصالحين وفي الشعر أماديع الأمراء والكباراء .

قد لا تظهر عيوب الادارة في الدول الكبرى ظمورةها في الدول الصغرى .
خسارة الغني الألوف لا تورثه عجزاً بقدر خسارة الفقير المثاث .

لو كانت القصور التي يشيدها آل سعود في مملكتهم تبني بأيدي
أبناء الحجاز ونجد لمان الأمر لأنه يكون منها رزق لسكان تلك الديار
ولكن معظم موادها وبنانها وفرشها وفراشها من أميركا شريكه المملكة
العربية السعودية في النفط الذي تستثمره أميركا ، فـ كأن هذه تعطى
باليمن وتأخذ بالشمال .

ما فتح الانكليز مدارس خاصة بأبناء الاعيان الا ليصوغوا منهم طبقة
خنارة . معول الانكليز في الحكم على الاشراف المثقفين .

يوم يقدر العلماء مقدار التبعات التي تقع على عوائدهم يصبح الناس
بألف خير .

من كان اكبر همه العطف على ابناء الشوارع فهو منهم او شبيه بهم .

حاولت منذ بدء حياتي ان آلف الموسيقى الغربية وان افهم ما فيها من ميزات فلم تقبلها نفسي وعند ذلك ادركت ان الموسيقى تربية ، وال التربية ابداً تختلف في أمة عن أخرى .

استحضرت من عامي كان له بعض الظهور في قومه عندما سألي ابن تقع اليمن من بلادنا ؟ فأجبته بسذاجة تشبه سذاجته في سؤاله : وجّه وجهك الى القبلة ، وبعد ارض الشام تبدأ ارض الحجاز وبعدها تقع اليمن . ليت كل جاهل يتنزل لسؤال عمالاً لا يعرف ، فقد ادركت انا تعلموا الجغرافيا بطالعة الجرائد وبالقاء مثل هذا السؤال على العارفين والانتفاع بالأجوبة عليها .

عرفت ثلاثة فضاه وشيخ مدرسة وتاجرًا متصلحاً جمع كل واحد من الثلاثة الأول من مال اليتامي والا زامل بضعة الوف من الدنانير مررت منهم فمات منهم اثنان على الاثرو وجُنْ " الثالث جنو نا مطبيقاً ثم ملك . وجمع شيخ المدرسة بضعة الوف من مَقْلَ الوقف فـطا المخصوص عليها ومات بعد قليل ، وكذلك هلك الناجر المتصلح الذي اتجه بالورق النقدي فخسر ثروته كلها وما استطاع مثل الاربعة الذين تقدموه أن يبوح لأحد بما حل به من النكبة لأن هذه التجارة محظوظ وهو مشهور بتدبره .

شاهدت بعض الدارسين يتوقفون الى الشهرة على حساب من سبقهم الى خدمة العلم ، ويحاولون اسقاطهم والهزء بأعمالهم ، وهم مانجعوا وان ينجعوا ، وماتوا بغيظهم وما استفادوا الا أن اندفعوا فلة أدبهم وعظيم سلطتهم . أما الذين سلكوا الطريق المستقيم ، وجوهوا أعمالهم وأحسوا بنقصهم بعد الدراسة ، وداروه بالاستزادة من العلم فقد وصلوا من الشهرة الى درجة تتجاوزت ما كانوا يرجون .

ـ أني تاجر انكليزي يقطن الاسكندرية عن بجرى امور الانتداب في الشام وذلك قبيل انتهاء أيامه ، فقلت له انه يتخطى على غير مدي . فقال : هل ترى الفرنسيين انتظمت أحواهم في بلادهم ؟ فقلت : الهم لا . قال : اذا كان الامر كذلك فكيف تزيد من لاجحسن تنظيم بنه ان ينظم بيت غيره .

ماتبادات أخلاق العمال في أدوار ثلاثة ، دور الترك ودور الفرنسيين ودور العرب . كان الموظف في هذه العهود منها علت منزلته بصانع رئيسي ولا يراجعه في أمر مخافة أن يهدى صاحبه ذلك تطاولاً عليه فيغضب ، وكنت اذا قلت لا أحدهم : هذا أمر تقرر على ما يظهر بلا بحث ولا نظر قال : الحق معك وأنا على رأيك ثم يمس في أذني : هكذا أمر الرئيس وهو لا يوافق على غير ذلك . وهذا الخلق مائل في الوزراء وضرره منهم أشد . أنعم وأكرم بهؤلاء الاولئاء لصلحتهم الخاصة فقط .

من صفات الموظفين من دأبوا على مصانعة الرؤساء أيام كانت أحزابهم ومشاربهم ، بودعون الراحل بالاسف والاكتئاب ويستقبلون خلفه بالفرح والسرور ، ذلك لأنهم يعتقدون انهم لا تسلم لهم مراكزهم الا بهذا النوع من النفاق .

ـ بما تشمئ النفس منه مصانعة الوزراء من نزلوا علينا من الافرنج حاكبيه وملعبين ، كانوا اذا خرجوا من حضرتهم اطلقوا السنتهم بالقدح فيهم ، زاعمين ان الوطنية تقضي منهم التظاهر بهذا الخلق السافل . لو كانوا على شيء من حب وطنهم ويتآفون من احتلال الغرباء ارضهم لنصحوا لهم وارشدوهم الى طرق الخير .

ـ كنت اذهب الى ان خيار الفرنج اذا ساوا خيارنا في صفاتهم الحسنة فهم من حيث الكثرة والقلة اكثر عدداً من جماعتنا ، ورأيت من

خبارهم من يتجاوزون عن خيارنا بتجويدهم صناعتهم ، ونظيرهم فيما اندر من **الكبريت الاحمر** ، اما الاشرار منا ومنهم أوانـك عليهم لعنة الله والناس اجمعين .

قال لي مدير شرطة افريقي : من اعجب ما شاهدته في بلادكم اذا كنا اذا قبضنا على احدكم في بيروت يأنينا من يقول لنا احـسـنـتـمـ بـاعـنـفـاـكمـ هذا الحـبـيـثـ ، وكان المتوقع منكم ان تعتقلاـهـ قبلـ الانـ ، وما نـزـىـ الاـ انهـ يـسـتـحـقـ القـلـيلـ بـاـنـسـبـهـ . وكـانـ اذاـ اعتـقـلـنـاـ سـخـاصـاـ فيـ دـمـشـقـ يـجـيـئـنـاـ الـوـفـدـ بـعـدـ الـوـفـدـ يـرـفـقـوـنـ فـلـوبـنـاـ عـلـيـهـ وـيـصـغـرـوـنـ مـنـ شـأـنـهـ ، وـفـدـ يـدـعـيـ بـعـضـهـ اـنـ مـعـتـوهـ لـاـيـؤـبـهـ لـاـ صـدـرـ عـنـهـ . تـنـاقـضـ فـيـ الـاخـلـاقـ : نـفـةـ شـدـيـدةـ وـرـحـةـ مـفـرـطـةـ .

قبل لاحـدـ العـقـلـاءـ أـتـرـضـىـ انـ تـكـوـنـ رـبـنـيـاـ كـبـيـراـ وـاـنـصـارـكـ منـ الرـعـاعـ وـالـسـفـلـةـ فـقـالـ : مـلـكـ بـلـادـيـ مـلـكـاـ اـبـدـيـاـ لـاـ يـفـيـ بـاـ يـلـحـقـنـيـ مـنـ الصـفـارـ باـسـتـبـاعـ هـؤـلـاءـ الـاـنـصـارـ .

قالوا ان فلانـاـ كانـ جـدهـ وـابـوهـ عـلـىـ صـفـاتـ طـيـبـةـ فـكـيفـ نـشـأـ اـبـنـهـ نـشـأـ نـخـالـفـ نـشـأـ اـهـلـ بـيـتـهـ ؟ فـكـانـ الجـوابـ : ان فـلـانـاـ عـشـقـ الـظـمـورـ فـارـتـكـبـ فـيـ سـيـلـهـ كـلـ ماـيـرـبـ الشـرـيفـ بـنـفـسـهـ عـنـ اـرـتكـابـهـ ، نـمـ رـأـىـ مـعـاشـرـ الـأـوـبـاشـ لـنـفـعـهـ لـهـ تـوـمـ الـحـصـولـ عـلـيـهـ مـنـهـمـ ، فـسـرـقـ طـبـعـهـ مـنـ طـبـاعـهـ

ربـماـ كـانـ فـيـ النـسـاءـ مـنـ يـفـضـلـ الـحـجـابـ عـلـىـ السـفـورـ حـتـىـ تـسـرـ صـورـهـنـ الـقـيـيـعـةـ عـمـنـ بـسـارـقـوـهـنـ النـظـرـ مـتـخـيـلـيـنـ انـ هـنـاكـ جـمـاـلـاـ مـاـوـقـعـتـ عـلـىـ مـثـلـهـ عـيـنـ

انـ لـمـ نـظـهـرـ أـخـلـاقـ الـمـنـظـورـ يـهـمـ عـلـىـ جـلـيـتـهـ يـظـلـ الفـشـ سـارـبـاـ فـيـ الـمـكـمـ وـفـيـ سـائـرـ أـعـمـالـ الـحـيـاةـ .

مثى عرف أهل المدن مقدار تعب الفلاح حتى تغصب أرضه وتنمو
أشجاره يكفون عن حسه مما يحيييه من غلتها وثمرتها .

تتمثل أخلاق الظلم في أبناء الظلة منذ الصغر ، كبعض الامراض
السازية فلما ينبعو منها المصائب بما لها عالمها بالحقن والعقاقير والطعام المغذي .

فقل ان فلانا قربه صاحب الشأن على سوء سيرته المتعارفة ، فقلت
لهم : لا تتمجلوا سينافي اليوم الذي يلفظه فيه كما تلفظ النواة من التمرة .

عذبت لو كانت علامات العالم في الأخلاق أوفر من علاماته في
الثقافة ، ان أخلاقه سبب أول في نجاحه ونجاح من يدعوه بضاعته .

أكدو1 أن فلاناً كان يستعين بالطلبة لما كان يدرس لهم في الجامعة
المصرية حتى يأنوه بالنصوص الالازمة لتأليفه ، فيكلفهم في ذلك شططاً ،
فقلت لهم : وكان في نشره كتب غيره لا يعاون أصحابها على طبعها الا
إذا جعلوا له حصة من الأرباح ترضيه ، ودس اسمه الى جانب اسم المؤلف ،
وتقرب بكتابه مقدمة الكتاب . وليس وراء ذلك أثره . ما أقبح الطمع
فيمن يجب أن تتجبر منه نفوسهم قبل كل أحد .

قال لي أحد لداني : الفرق طفيف بيننا وبين من تقدمناهم ، يوم
كنا نجده في الدرس تركونا وانصرفوا لاهو يعيشون ، فـكانت النتيجة
ماترى فيهم وفيينا .

أعرضت عن دجل وقع منه ما سامي فأقسم وهو كاذب أنه ما أني
ما يكدرني ، وأنه لا يستغني عن صداقتني ، فقلت : انه يحاول أن يستخلصني
لحظ نفسه فيكسب من اتصاله بي ما يجعل مني دريئه له فيما يهمه من
هذه الصدقة .

نق أن من دأب على سلب الأمة ، وحده عقله المأفون أنها لا نطلع على ما يأتيه في سر ، هو من البلادة بـ^كان عظيم ، الأمة لا تعرف ما سالباً غيره ، والسلوب أول ما يقع نظره على ساليه .

من عدوا التمويه على قومهم مهارة يفتضرون بها متى رفعت السناة التي كانوا وراءها يلمعون ، فبـ^كقطون سقوطاً لا يرتفعون بعده .

غاية ما يرضي العالمي منك أن تبادر لسلام عليه ، وتطيب خاطره ، وتوهمه أنك مشاركه في عواطفه . وإذا اتسعت حالتك ورضخت له بذرئاته أو دعوته إلى طعامك استعبدته . ووطئن نفسك اذا أبطلت عادتك معه أن ينقلب عليك ويغتابك ويعييك .

من طالت عشرته اطائفة تشبه بها من حيث لا يشعر ، فمن المعلمين من افتقسوا من أخلاق الأطفال لطول اختلاطهم بهم ، وبعض من يعتبرون في العرف من الكباراء تدنت أخلاقهم لكثرتهم ما تنزلوا بعقولهم إلى مستوى العقول المنحطة .

كانت الأمية من علامي الضعف في العرف فأصبحت في الحرب الأخيرة علامة البسر وسعة العيش بما دفع التجار ، ومنهم نشأت طبقة الأغنياء المحدثين ، فأصبحت الأمية بذلك سارة الآثاره والنعماه .

ليس من الفضول تحفيك في الـ^ؤال عن صحة صاحبك وصحة عياله وسير أشغاله ، عذابتك بكل أولئك دليل اهتمامك بأمره ، وهذا من أسباب دوام الصداقة .

أفرط أحد الرؤساء في قبول المدعايا ^{بـ}من يطمع في الاستفادة من نفوذه حتى أصبح لباسه واباس عياله ومعظم طعامه ونفقات رفاهيته تأتيه بالجحان وبعد هذا ما أخال مكابراً يدعى أنه يبقى له شيء يقال له نزاهة واستقامة .

تطول آجال بعض العلماء في الغرب إلى أبعد مما قدر لها في العادة .
لبت الفاطر بن على كل من يستعملون عقولهم بطول الأجل .

قالوا ان فلاناً أساء لأمهه فاستحق ما حل به من البلاء أراحتنا الله
بذلك ، فقلت الأولى أن تدعوا له بطول البقاء حتى يرى كل يوم نتيجة
عمله الآخرق ، وبصريح عبرة لمن تحدثه نفسه أن يسير على طريقته في الحياة .

من عاثر الأولاد نزل إلى مستوام في العقل بحكم العدوى والقدوة ،
ومن صاحب أصحاب الموبقات هونوا عليه ارتكانها .

ذكروا أن أحد الوزراء الانتدابيين على إيفاله في افتراض الربع من
أي طريق كان ، وعلى افتراضه مبالغ جسيمة ما نوى يوماً ردتها
لأصحابها - لا يزال يغتر في الدبور وليس بينه وبين الفقر المدفع إلا
خطوة بسيرة ، فقلت : ما في ذلك موضع للعجب ، فان الرجل الذي يجلس
إلى منضدة الفهار كل ليلة وينسر الآلاف والآلافين لا تأملوا أن يكون
مصيره غير هذا ، والعجب أن يجد في مواطنه من يسلم عليه ، وما يجيئه
في الواقع الا من كان على شاكلته في فساد الطاعة وخراب الذمة
وقلة الشرف .

لا تقبل قول من يصانعك بقبول حسن فهو يصانع غيرك كما يصانعك ،
ومصانعك أضر عليك من يذكر لك عيوبك في وجهك .

قبل لرجل أساء إلى صاحبه بلا سبب : أصفح عنه ، بما تفضي مكارم
الأخلاق ، فما هو أول من أساء . فقال : أود أن أخرج على قواعدكم
وأذكريه بالسوء واذكر كذبه وفساده ، لا حول دون ظهور أمثاله
من الساقطين .

من سعى لنفسه بالتزويد كان اعظم مزور ، ومن استعمل الكذب على كل من يواه كان اعظم كذاب ، وليس بعد التزويد والكذب عيب .
لبت لي من القراءة ما أقطع به لـ ان كل كذاب فالكذب رأس المآثم .

العمَلة من أشرف الناس ، يفيدون بما تصنعه أيديهم ، وبأنكلوت رزقهم حلالاً ، وهم أقل الحلق فضولاً .

قبل ان فلانا تولى ولاية عظيمة فكان أول ما أثاره خيانة امه ،
فقلت لهم لا تعجبوا وهل كان الا صورة من والده ، وهل هذا الا
نسخة صحيحة من أهل وكمهم سلبة ظلمة .

كانت الفلاحة اشرف صناعة لو لم يغتئد بعض الفلاحين استهلال
السرقة من حاصلات جيروانهم .

لاتتوسي في أمانتك والزم التوسط فيها ، فان حصل ما جاوز رجاءك
اغتبطت ، وان لم يحصل لم تكن لتشغل نفسك بالخيال .

مني أدرك السوقـة - والسوقـة هـم كل الناس ماعدا المـوك - انه
ما سبق لغشاش ان نجح استقام امن الـامة حتى تشبهـ بأخلاقهاـ أخلاقـ
المـسلمـينـ فيـ عـصـرـ الصـعـابـةـ .

قاومـيـ بـعـضـ العـهـالـ مقـاومـةـ عـنـيفـةـ حتـىـ أحـرمـ رـاتـبـ التـقـاعـدـ كـأـنـيـ
اتـقـاضـاهـ بـمـاـهـ اـخـاصـ .ـ وـلـوـ بـحـثـتـ عـنـ السـبـبـ ماـ رـأـيـتـ اـحـامـلـ لـهـ
عـلـىـ مـاـأـتـىـ الاـلـلـزـمـ الغـرـيـزـيـ المـفـرـوسـ فـيـ الطـبـاعـ .

بعـضـ النـاسـ يـعـادـونـكـ وـاـنـتـ لـاـتـعـرـفـ انـكـ أـسـأـتـ اـيـهـمـ ،ـ هـكـذاـ
كـانـ حـالـيـ معـ بـعـضـ كـبـارـ العـهـالـ وـمـاـ اـدـرـيـ أـكـانـ ذـكـ عنـ مـنـافـةـ اوـ
عـنـ حـسـدـ .

صفار المأمورين اقدر من كبارهم على تصعيب اشغال ارباب المصالح ،
عندم خارج للتبليغ وخارج للتفصيـد ، يعمدون الى استعمال الاولى اذا
ارضيت خاطرـم بالمال او خافوك لما كانـك ، ويعمدون الى الاخرـى اذا
انت لم توـرضـهم .

اولاد القراء احرصـ على اكتـابـ العلم من ابناء الاغـنيـاء وابنـ الفقيرـ
احسنـ خلـقاـ من ابنـ الغـنيـ ، والـبنـاتـ اكـثـرـ من الصـبيـانـ رغـبةـ في الـدرـسـ

لـذـويـ الـبـسـارـ اخـلـاقـ خـاصـةـ عـلـىـ ماـ هـوـ الـظـاهـرـ مـنـ حـالـمـ ، هـمـ فـلـماـ
يـخلـصـونـ الـوـدـ لـاـنـهـ ، وـلـاـ يـقـومـونـ بـاـ يـتـرـبـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـوـاجـبـاتـ ،
وـكـيـفـ يـصـدـقـونـ مـعـ مـنـ يـعـنـقـدـونـ اـنـهـ لـاـ يـمـلـكـونـ كـمـ يـمـلـكـونـ .

في الاصـدـقاءـ منـ يـوعـونـ صـدـاقـتكـ مـادـامـواـ يـنـتـفـعـونـ بـهـ ، فـاـذاـ حدـثـ
انـ كـانـ لـهـ مـنـ هـذـهـ الصـدـاقـةـ مـاـ يـتوـهـونـ انـهـ يـؤـذـيـمـ مـشـواـ مـعـ مـنـ
يـتـخـيلـونـ النـفـعـ مـنـهـ وـتـخـلـواـ عـنـكـ ، فـاـذاـ يـقـنـوـانـ انهـ اـنـكـشـفـ لـكـ مـاـ خـالـفـواـ
فـيـ الـقـوـاعـدـ الـمرـعـيـةـ بـيـنـ الـاصـدـقاءـ اـقـبـلـواـ يـعـتـزـدـونـ بـلـكـ ، فـاـيـكـ بـعـدـ هـذـاـ
انـ تـدـعـوـمـ اـصـدـقاءـ فـمـ مـعـارـفـ عـرـفـهـمـ ، وـلـفـظـةـ الصـديـقـ كـبـيرـةـ عـلـيـهـمـ .

منـ يـنـسـاـهـلـ فيـ بـعـضـ حـقـوقـكـ عـلـيـهـ وـيـنـدـهـبـ إـلـىـ انـهـ يـجـوزـ عـلـيـكـ
ماـ اـرـتـكـبـ فيـ سـرـ ماـ يـغـضـبـكـ وـلـاـ يـرـضـيـكـ اـحـذـفـ اـسـمـهـ مـنـ جـرـيـدةـ اـصـدـقـائـكـ
وـمـعـارـفـكـ ، لـاـ تـكـثـرـ بـهـ سـوـادـ مـنـ تـعـرـفـهـمـ ؛ اـمـاـ هـوـ فـيـعـودـ بـلـكـ مـنـ
احتـاجـكـ وـيـنـتـنـاـمـيـ اـذـاـ لـكـ .

وـاجـعـ سـجـلـ مـنـ عـدـدـهـمـ اـصـدـقاءـكـ كـلـ مـدـةـ فـرـبـاـ نـسـقـطـ عـلـىـ مـنـ بـدـلـمـ
الـزـمـانـ ، وـعـنـدـهـاـ تـكـوـنـ اـنـتـ بـالـجـيـارـ اـمـاـ اـنـ تـرـكـنـ بـلـيـهـمـ ، اوـ تـنـفـضـ
بـدـكـ مـنـ صـعـبـهـمـ ، فـالـصـدـاقـةـ كـسـائـرـ الـامـورـ تـحـولـ وـتـحـولـ .

قامت في الأعوام الأخيرة نهضة مباركة لتجديد مظاهر المدن وتنبئها وتنظيم شوارعها وساحاتها وقصورها ومصانعها ، ومن لنا بمحركه مثلها لقضاء على ما بلي من مصطلحاتنا العائنة عن توزيع النفوذ بالفضائل .

في معاشرة الأخلاق أمور دقيقة قد لا يتدى إلى النفوذ إليها كل انسان . جرت العادة أن يتعاطف أبناء الحرف الواحدة اذا ما التقوا ، فيرى بعضهم من الوفاء أن يكرم في بلده بعض من ينزلون عليه على ما اعتاد الناس منذ القدم . وإذا نزل المضيف على من سبق له أن أكرمه في بلده قد ينكره أو يعامله معاملة جافة . ولم أجد مثل هذا الضرب من الضيقان اسمًا أطلقه عليهم ، وأمثالهم اليوم غير قلائل في كل بلد . ومن شهدت بعضهم يستنكفون عن قبول دعوتك لهم في بلدك أينما أنت على غير استعداد لأن يعاملوك بالمثل على اكرامك في موطنهم ، هم لا يرغبون في أكل طعام غيرهم حتى لا يأكل أحد «عائهم» .

بحث بجي لبعضهم فما قابلني عليه بحب مثله ، فأدركت أن من القلوب ما لا يعرف الحب ، وإذا قدر لها أن أحبت كان حبه مزعزاً يزول لأول عارض .

من يحاول أن يرأس قوه بالمالك يفقد مني ظهر أمره حتى ما كان له من صفات حسنة .

لي صديقان من الاعيان المثقفين ما قصرت في رعايتها منذ أول نشأتهما وكانت لي بد في تحسين سمعتها ، احتجت إليها مرة في أمر يهمي فحولا وجهها عني ، واعتذرنا بعد حين عن اجاية ملتمسي بأعذار لا تقنع طفلاً . أربع بصدقة لا تتعذر المباطة والافا كهه .

فــ يعيش المرء ستين سنة ولا يجتمع له أكثر من عشرة أصحاب

فإذا تخض الزمان هما يدعوا إلى خيبة الوجاه في وفائهم ، ودُّلو عاش
حياته بلا صاحب ولا غير .

ما ارتاحت نفسي إلى صحبة التكبر ولو كان ملائكة ، وكانت أفر
من عشرة التكبيرين فرار السليم من الاجرب ، وكثيراً ما انكبوا عليهم
بأكثر مما تكبروا على .

يتجلّى التواضع في الملوك بما لا يتجلّى في الصعاليك ، والملوك لا يترفّعون
عن الناس إلا بقدر ما يوفّهم خدامهم وعامتهم .

لا يرقّ المؤمّن أن يسمعوا ثناء على أحد ، كأن في الثناء على من
يستحقه نقصاً في تكرّر تهمّ ، وحطاً من أقدارهم .

كنت أذهب إلى أن من المبالغات المألوقة ما قبل من أن الحمد
يكثر في أبناء الحرقـة الواحدة وفي العلـماء خاصة ، ويختـفـ كلـاـ تـبـاعـدـتـ
ال أجـسـامـ وـتـرـاـخـتـ الصـلـاتـ بـيـنـهـمـ ، فـعـلـمـيـ الزـمـنـ أـنـ مـاـ قـالـوهـ صـحـبـ وـأـنـ
تـخـاصـدـ العـلـمـاءـ أـشـعـ تـخـاصـدـ .

يصغر الحاسد من عمل المحسود أبداً ، وأنت لا تقطع لسان الحاسد
إلا إذا سأله أن بعد لك حامده ، وسؤالك هذا صفة في وجهه ،
وضربة على أم رأسه .

من دخل في المسائل العامة استهدف للنقد ، تصامم عما يقولونه فيك
ان كنت تعتقد الصواب فيما تأتي وتذر ، والبابلي كفيلة بدخول الملـلـ
على نافذتك ، فيكشفون ألسنتهم عن تزييف ما لا تدركه عقولهم ، وأنت
أبداً وطن نفسك على تجويد عملك ففي تجويدك قهر كل منافس .

العاقل يحسب حساباً لكل شيء ، والجاهل لا يبالي إلا بما فيه نفسه الملوس المؤقت . ولا يزال المتبدّل بعد للمستقبل عدته ، والمتواحسن لا يتم لغير الساعة التي هو فيها .

صاحب صاحبي صاحبي كما يقولون ، بيد أنني غير مضطر إلى أن أؤالي من والاه وأعاديه من عاداه . أنت قد تُحب رجلاً وتكره أخيه ، وللرجل والكرامة أسباب منها طبيعي ومنها اتفاقي . قد تستطع شخصاً وغيرك بتنقله ، فلا تطلب إلى كل أحد أن يحب ما تحب ويكره ما نكره . مقاييس الحكم على الحب والبغض مختلف وقاعدتها لا انطرب .

قد ينفق أن يعرف أحدهم بين أهل حبه بالاستقامة وحسن الخلق ، فإذا دخل في الأمور العامة أو اشتراكه وغيره في مسائل اقتصادية تجلت حقيقته مجردة لا تؤبه فيها أمام من طالما خدعهم بظواهره . منها بلغ الرجل من مراتب التهذيب لا يخلو من نقص ، ولو خلا كل الناس من العيوب لعدوا في مصاف الانبياء .

ذكروا أنه كان ينظر إلى فلان في الحكومات السالفة بأنه من رجال الدولة ، فلما نُحي عن عمله قبع في بيته وما عاد يظهر في المجتمعات والمحافل ، ولا يسمع له صوت ولا رأي ، فقلت : إنـه عاقل إذ من الصعب أن ينال المرء الحظوة في دورين ، وإذا أردتم معنى آخر فقولوا إن قيمته كانت بالكرسي ، وبظاهره من أجلـه على الكرسي فلما ذخرـ عنـه لم يبق له الموضع الذي كان له في النفوس ، والنجلـ لا يـعاد .

إذا بالفتـ بـؤـاسـةـ صـاحـبـكـ زـدتـ صـادـقـكـ معـهـ اـحـكـاماـ ،ـ وـهـوـ فيـ حـزـنـهـ أـكـثـرـ أـيـامـ الـعـمرـ اـحـتـيـاجـاـ إـلـيـكـ .

من غريب ما شهدته من صاحب لي يحب الدعاية كثيراً أن يصوغ

أمور الجد في قالب من المزمل أبضاً ، فإذا ما تخلى عن المزمل حتى في
جده ظهرت البرودة على حديته لخروجه عن مالوفه .

عاليان مصريان مسلمان بيت كل منها لأخيه بصلة القرابة ، دعا أحدهما
أحمد ^{ذهب إليه السيد} إلى اتخاذ الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، وتحمس الآخر للاستعاضة
^{لـ العزيز هوبي} عن اللغة العربية الفصحي بالعامية المصرية ، ولو نجحت دعوته لنشأ
الحجر الأول من بنية العربية والاسلام .

الحرس على الشرة بورت طالبها سخرية أحباناً ، وإذا غالى المرء في
طلبها قد يكون فيها حتفه ، ومن وصل إلى الشرة في العادة ينهزم أمامها
وهي تعن في طلبه . الشرة كالحسناه لا ينال وصالمواكل من ركض وراءها .

الحقد يكمن في الحقد كمون النار في العود ، والحقد لا يرغبه من
حقد عليه الا قطع رزقه واسفاطه وأحباناً هلاكه .

رأيت بعض البيوت في الشام ومصر منقسمة إلى حزبين يراسين
متخالفين ، على ماترى في الباينيا نصف سكان البيت من المسلمين والنصف
الآخر من المسيحيين .

لانعدم الا على من عرفت ما انطوت عليه جوانهم ، اعتنادك على
من لا تعرف منشأه وتربيته يوقعك في مشاكل كانت يتأتى لك تفادها
من الأول .

المثابرة أنس كل نجاح ، رأيت بيوتاً تجارية على شفير الانفلاس ، وكان
من مثابرة القائمين عليها ان استعادت بالصدق قوتها ومكانتها ورجعت إلى
خير ما كانت ترجو .

عجبت لمن يعتبون على أنا لم نوفهم حقهم عند الكلام عليهم بالقدر

الذى تطلبه الحقيقة . ان من تمحضوا البحث في سيرتك كشفوا من ما لا تورنه في أنفسكم .

من بني مجده بيده أفضل من هباء له أهله . ومن عمل لنفسه بنفسه كان أقرب إلى بقاء ما جنى من عمل له غيره ، ذلك لأن من تعب في جمع ماله كان أحقر عليه بالفطرة .

يخرج أرباب العبريات من صفو الطبقة الوسطى والدنيا ، أكثرها يخرجون من صفو الطبقة العليا ذلك لأن هؤلاء مثاغيل يماه الحياة عن كل ما يجلب الخير ويدفع الشر .

ماذا تقول في خلق من لا يستحب من التصريح بأنه لا حنا له عيش أو يرى الفتى مشتعلة الاوار في كل بيت من بيوت أهله وعشائره .

أسقط الحرف حرفة الجاسوسية وأفظع أنواعها ما ينفله الجاسوس من أمراء أمنه إلى أمة غريبة ، وما يكون فيه ضرر لمن ينقل عنهم وفائدة لمن ينقل إليهم .

لغة ما يمر بالقروي من الحوادث يذكرك أبداً إذا أطعمته رغيفاً ، وساكن المدينة ينساك ولو أطعمته خروفاً .

قل أن شهدت أهل قرية لا يتعادون ، وما عمدت سكان ضيعة يثنون على جيرانهم من أهل الضياع الأخرى ، وليس تعادي سكان المدن بأقل من تعادي القرويين ، وبقدر ما يحب هؤلاء البعيد عنهم يبغضون القريب إليهم .

حربي بن جاوز السبعين وصحته متهدمة أن يتخل عن الاعمال العامة يرضاه لمن كانوا في سن تساعدهم على السعي أكثر منه . رأيت الطمع

يقوى في مثل من كانوا في هذه السن من الشيوخ فظهر لي أن ما قالوه قد يأصل من أن المرء يشيب وتشيب معه خصلتان الحرص وطول الأمل ، ما كان صادراً إلا عن تجاذب طوبية .

المفي كالشاعر قد لا ينتفع من تعاطي ما تتيح به أعصابه ونكتور بتأثيراته خيالاته ، وهو بالافراط ينفك قواه فيبعد في المستهربين .

يطيب الفناء والموسيقى في أوقات مخصوصة والاكتئار من ذلك يأصله بالاكتئار من المزبل ، بعضه ولا كله .

إذا قابلت رجال الجد بالمزبل ظنوا بك السخرية جم ، مازحت مرة من ليس بيدي وبينهم غير الرسميات فتأملوا وأدركت حالاً ما فرط مني وعزمت بعدها ألا أبداً مهدني بشيء من الدعاية ان لم آنس منه استعداداً لقبوله .

كثيراً ما كانت الحال تحكم عليّ بتصفح بعض كتب الفلسفة التي كانت تصدر باللغة العربية منذ أوائل هذا القرن فكانت أخرج منها بعد عناه العينين بلا زبدة وانقلب آسفاناً على ضياع وقتني في تلاوتها - كما أسفت لتصفح بعض كتب التصوف - واذ كنت لأأرى أن أخدع الناس أصرح بأني ما فهمت شيئاً مما تلوت ، خالفاً بذلك بعض أدعياها الفلسفة في مصر لعهدنا ، فانهم يبشرون بالفلسفة كأنهم من كبار العالمين بها ، ولا ينجعلون من وضع أسمائهم الى جانب مترجمين ترجموا كتاباً وهم لم يترجموا ولا يحسنون الترجمة من لغة من اللغات ، وأنا على ثقة انهم لا يدركون ما في الكتاب المنشور . يأتون ذلك ليقال عنهم انهم فلاسفة . ومنهم من يترجمون عن اللغات وهم لا يدركون ما ينقلون . الفاظ عربية ومعان الله أعلم بمحلها . ومنهم من يلقون من عندهم تفاسير يسمونها مصنفات وهم عند التحقيق لا يدركون معنى لما ينشرون في الملايين ، ويبشرون به بين طلبتهم ومربيتهم ، وما يجعل أني كنت أفهم ما نشره في الفلسفة من درسوها حق دراستها

من شباب العلماء وكم ولهم وما اكتفوا بدعوى معرفتهم وكتب أفر
ما يقع في يدي من كتب الفلسفة باللغة الفرنسية وأنقذها ، ولكنني
ما جوزت لنفسي أن أدعىها قط أو أكتب فيها رسالة أو مقالة لأنها
لم تنشر بها نفسي كما هو الواجب .

يكثـر بعض العظـاء إلى الـيـوم الزـواـج من عـدـة نـسـاء عـدـا من يـنـمـعـون
بـنـ من السـرـاريـ ، وبـفـضـيـ بهـمـ هـذـاـ الفـرـامـ إـلـىـ تـدـاعـيـ صـحـتـهـ ، فـإـذـاـ
زـيـدـ عـلـىـ ذـكـ مـعـاطـاهـ الخـورـ أوـ الـخـدـرـاتـ اـجـتـمـعـ عـلـيـهـمـ دـاءـآـنـ ، وـمـاـ اـجـتـمـعـ
الـدـاءـآـنـ إـلـاـ يـقـتـلـاـ . رـأـيـتـ أـمـيرـآـ مـنـ هـذـاـ الصـنـفـ فـيـ أـوـاـخـرـ الـعـقـدـ الثـانـيـ
مـنـ عـمـرـهـ كـانـ يـجـمـعـ عـلـىـ عـصـمـتـهـ أـرـبـعـ زـوـجـاتـ ، وـعـرـفـتـ كـبـيرـآـ تـزـوـجـ مـنـ
الـنـسـاءـ مـئـةـ وـثـلـاثـيـنـ اـمـرـأـةـ وـيـدـ أـوـلـادـ بـالـعـشـرـاتـ .

الـفـرقـ بـيـنـ الـجـاهـلـ وـالـعـاقـلـ أـنـ الـجـاهـلـ يـسـهـلـ كـلـ شـيـءـ مـنـ غـيرـ
استـهـالـ عـقـلـهـ ، وـالـعـاقـلـ يـفـكـرـ إـبـداـ فـيـ الـأـمـورـ قـبـلـ الـاـقـدـامـ عـلـيـهـ يـعـطـيـهـ
حـقـهاـ مـنـ النـظـرـ وـالـوـرـبةـ .

لـاـتـنـظـرـ إـلـىـ اـخـوـانـكـ نـظـرـ الزـاهـدـ فـيـ حـبـتـهـ ، إـذـاـ اـشـتـرـ ذـلـكـ عـنـكـ لـاـ يـقـيـ
كـ مـنـ يـعـطـفـ عـلـيـكـ .

الـمـوـضـوعـاتـ أـكـثـرـ مـنـ الـكـانـيـنـ ، وـالـمـشـارـكـونـ أـوـفـرـ مـنـ الـاخـصـائـيـنـ ،
وـالـعـالـمـونـ أـقـلـ مـنـ الـعـالـمـيـنـ .

مـنـ الـقـرـىـ مـاـ سـلـمـ أـهـلـهـ مـنـ دـاءـ التـعـصـبـ الذـيمـ بـعـضـ الـلـامـةـ فـيـاـكـرـواـ
تـعـلـيمـ أـبـنـاهـمـ وـنـجـحـواـ نـجـاحـ أـبـنـاءـ الـمـدنـ وـزـيـادةـ . وـمـنـ أـهـلـ الـقـرـىـ مـنـ
قـتـلـهـمـ تـعـصـبـهـمـ فـرـضـواـ بـالـجـهـلـ لـأـوـلـادـهـ مـخـافـةـ أـنـ يـكـوـنـ مـنـ الـتـعـلـيمـ بـزـعـمـهـ
مـاـ يـفـسـدـ عـلـيـهـمـ دـيـنـهـمـ ، فـظـلـواـ عـلـىـ جـمـاـلـهـ بـادـيـةـ تـنـاـولـ ضـرـرـهـاـ دـيـنـهـمـ
وـدـيـنـهـمـ مـعـاـ .

ما كنت أظن أن من أهل القرى في هذا العصر من يضنون بأولادهم على الدرس في مدارس مجانية منظمة ، ويرسلون بهم إلى قرية بجاورة لينتعلموا في كتاب فاسد الطريقة ، بدعاوى أن مدارس الحكومة تخرج جههم تخريجًا يبعدم عن دينهم ، وهؤلاء التلاميذ هم أبناء فلاحين ضفت عقول آباءهم بما لقتهم أدعىء التصوف من خيالات وأوهام .

من أعجب الظواهر الاجتماعية أن تجد الطرق الصوفية من يدين بها في زماننا زمان النور والمعارف . لبت الحكام يشتدون في عقوبة من يخالف القوانين النافذة في الدولة فيقلون مثلًا كل كتاب يؤخر توقي الإبناء والبنات ، ويفرضون كل اجتماع لا ينجلي إلا عن سخف وهراء .

افتتحت غير مرّة على صديق لي يشتغل بالسياسة وقد جمع بين ثقافتين أن ينصرف إلى التأليف مدة فيكتب ما يثبت به كفایته باللغة العربية ليفتح له باب الجمع العلمي العربي ويشاركه أعضاءه في جهادهم فيفيد ويستفيد فكان يعده وعداً ضعيفاً . ومن أخذت السياسة من قلبه وعقله لا شأن للعلوم والآداب في نظره .

قال العلامة كرينكوس المترعرب المشهور : ما فرحت حياتي كفرحي يوم تفضل الجمع العلمي العربي وضمني إلى أعضائه . وأنا قلّ أن عهدت شرقياً انتخب عضواً في هذا الجمع وظهرت منه العاطفة التي ظهرت من صاحبنا الغربي . الغربيون أجمالاً أكثر من الشرقيين تقديرأً للأشياء .

كان لي صديق من أعيان رجال المعرفة وعلى جانب من العلم ، زينت له أن يكتب كتاباً في تاريخ التربية عند العرب ، ووعده أن أدفع إليه ما عندي من المواد في هذا الموضوع ، وعندها أسرى لانتخابه عضواً في الجمع العلمي فكان يسكت ولا يجيب . والغالب أنه ملّ من الحاجي فأرسل إليه مع صاحب لي قوله إن ما فيه في العالم وظيفته

ربما أكفيته ، أما مسألة دخوله في الجمع فيرجو ألا ذكرها له بعد الآن
فتكلفت عن الحاجي .

انتخب المجتمع العلمي العربي بعض السنين عضواً مراسلاً فاعذر . فسألته
عن سبب رفضه ، فقال انه داخل في جمعية الصاليلك ولا يليق بالصلوك
أن يكون عضواً في جمع علمي . ولما اختره جمع آخر عضواً فيه
خرج عن صعلكته فقبل العضوية ، لأن في المجتمع الثاني فائدة مادية ،
وفي المجتمع الأول معنويات فقط ، والمعنويات لاتهم على الغالب كل انسان .

من بدأ منذ فجر حياته باشادة مجده على دعائم راسخة ، وما ونت
له همة حتى من الشيخوخة ، كان كمن شاد قصراً منيناً في شبابه وظل
يعتاره بالتعجب والتزين بما يعجب به كل من دخله من أرباب الذوق السامي .

يظن بعض ضعاف العقول أن التزوير يخدع به من يرتكبه ماشاء الله
أن يخدع ، ومتى افضح المزور في مسألة واحدة ينتشر عقد تزويراته
بأجمعه ، ويتجلی ما كان مستوراً عن الأعين .

ارحم الظالم والمظلوم : الظالم لما سبقى على ظلمه في الآجلة والمظلوم
لما يناله في العاجلة من ظالمه ، وكلامها جدير بالرحمة .

مجلس يضم عدة عناصر يحاول كل واحد فيه أن يستولي على عقول
المجتمعين ويتكلم بلغته فقط ، كمجلس يتألف من أحزاب جمّة كل فرد
فيه بصحح مشربه وهواء .

دعوت أيام الوزارة إلى الاجتماع إلى في الديوان ثلاثة عشر دكتوراً
في الحقوق والآداب وقلت لهم : إن الأمة علمتكم في جامعات الغرب
وهي فقيرة ، على أن تعلموا أولادها ، فرجائي إليكم أن يعبد كل واحد
منكم لهذا العام محاضرة أو حاضرتين يلقيها في المجتمع العربي زكاة

عليه ووفاه حلق وطنه ، واعلوا أن هذا الجموع ليس اليوم بمحاجة الى حاضر اتكم لأن له من علم اعضائه الذين ستخلفونهم بعلمكم فقط ما في الكفاية الآن . اذا صع عزمكم على اجابة طلبي تجعلون من هذه الحاضرات كتبآ ينتفع بها الفاصي والدايني وتخلدون بها أسماءكم ، فوعدوني خيراً ، والى الآن لم يفوا بوعدهم ، وأظن أكثراهم نـوا مـاتـلـموـهـ في المدارس ولا يذـكـرونـ اليـوـمـ الاـ مـاـ لـبـدـ مـنـهـ لـلـنـوـظـفـ .

اجتمعت في سويسرا الى طالب من أهلها وهو في سن المراهقة ، ومن تلاميذ المدارس الثانوية ، فشاهدته يفكـرـ في الموضوعات التي تـطـحـ نفسه الى الخوض فيها في مـقـبـلـ أيامـهـ ، وـبـعـدـ لها العـدـةـ في مـفـكـراتـ وـجـزـازـاتـ ، وما رأـيـتـ من تـخـرـجـواـ منـ أـبـنـائـناـ منـ الجـامـعـاتـ منـ سـارـواـ علىـ هـذـاـ النـجـاحـ السـدـيدـ ، لـاعـقـادـهـ أـنـ مـاـ يـلـزـمـهـ التـفـكـيرـ فـيـهـ هوـ تـحـتـ أـيـدـيـهـمـ مـنـ أـجـبـواـ الـكـلـامـ فـيـهـ ، وـلـذـلـكـ لـاـ يـرـوـنـ أـنـ لـاـ يـشـغـلـواـ أـوـقـاتـهـ باـشـيـاهـ قـدـ تـلـزـمـهـ وـقـدـ لـاـ تـلـزـمـهـ . وهذا من جملة الفوارق بين شبابنا وشبابهم .

شاهدت في بعض الرؤساء من الكذب والتزوير والدس ما لو قسم على أهل حـيـ كانت من المدن الفاجرـةـ ، ومع هذا يـعـدـ الـأـغـيـاءـ ذلك منه دهاء وسياسة .

استغرب بعض المـفـكـرـينـ اهدـاءـ أحدـ اـمـراءـ الـعـربـ ثـلـاثـ سيـارـاتـ فـخـمةـ لـفـنـ وـرـاقـصـتـينـ فيـ مـصـرـ وـانـفـاقـهـ أـرـبعـهـةـ أـلـفـ دـولـارـ عـلـىـ مـاـ دـأـبـ أـقـيمـتـ فيـ أـمـيرـكـاـ ، فـقـلـتـ : هـذـاـ مـالـ لـمـ يـتـعبـ مـنـفـقـهـ فـيـ جـنـيـهـ .

ما زـارـ الـإـمـبرـاطـورـ غـيلـيـومـ الثـانـيـ الـأـلـمـانـيـ السـلـطـانـ عبدـ الحـمـيدـ الثـانـيـ العـثـمـانيـ فيـ عـاصـمـهـ مـلـكـهـ أـهـدـىـ السـلـطـانـ الـإـمـبرـاطـورـةـ تـاجـاـ مـرـصـعاـ بالـجـواـهرـ الـكـرـيـةـ قـبـلـ انهـ صـرـفـ فـيـ خـمـسـهـةـ أـلـفـ لـيـرـةـ عـثـمـانـيـةـ ذـهـبـاـ ، فـقـالـ الـإـمـبرـاطـورـ انـ السـلـطـانـ لـاـ يـنـظـرـ فـيـ الـعـوـاقـبـ ، وـفـيـ روـاـيـةـ انهـ بـحـنـونـ . كانـ يـكـفـيـ أـنـ يـهـيـ

ضورته وعليها توقيعه ، وينفق هذا المبلغ العظيم في تعزيز أسطوله حتى ينافس بقوته أسطول اليونان جيرانه على الأقل .

باقتصاد بعض المالك العربية ماتنفقه على السيارات فقط توفر أموالاً عظيمة تكفي لتأسيس مدرسة في كل حي ومنزلة وقرية ومدينة من أرضها .

في أي طبقة من طبقات المالك تضع ياترى من يبذل الاموال لبنيه
جنون ، وأهل بلاده يمرون ولا من يطفهم ، ويجهلونه ولا من
يطعمهم ، ويعرون ولا من يلبسهم ، ويجهلونه ولا من يعلمهم .

أولئ الغربيون بالرجوع الى الاحصاءات يبنون أحکامهم عليها في كل ما يجزئهم من المطالب . ايت من انتفخت اوداجهم بما اورتتهم مناصبهم من الزهو يرجعون يوماً الى طريقة الاحصاء ليحصوا لنا ماتم على أيديهم لغير امتهم .

اذا لم يكن العالم على مستوى متقارب بين علمه وأخلاقه فائي مجلد من مجلدات العلم أنفع منه ومن علمه ، أي أن الجماد الصامت في هذه الحال أفضل من ذاك الإنسان الناطق .

عرفت فناناً قضى سبابه وكهولته وهو يشرب ويطرد الى المزبعة الثاني من الليل ثم تاب وأخذ يصلّي ويصوم ويتبعده ، ثم دخل في طريقة أجمع أهل الاسلام على أن تعاليمها الكفر بعينه ، ثم تخلى عنّها وبقي على حالة لا تستطيع أن تحكم عليه مع من يبقى . في الناس من يؤذنون بلا عقل ، ويُكثرون بلا عقل . والنفع المادي هو المحرك الاول لشعورهم على الغلب .

ماضي الماجرون من السوريين بما يرفع من مكانة وطنهم الاول ،
يجودون لأنماضه بألف الاوف راضين مفتبطين . وطنية الشامي تويد

كما شاهد المقربين من الأمم الأخرى يبذلون كل نفس لانعان ساقط دُوَّم .

باسم الطريقة عبث شيخ في الغوطة بعفاف بعض الابكار من بنات مریديه ، وباسم الطريقة ادعى مصرى النبوة فيها قبل واعتصم بالغوطة يرتفق فيها ويوفه عن نفسه . طريقة الاول شبكة لاستراق الحال وطريقة الثاني أحجولة لسلب المال .

روى أحد السباح ماذكره له من المبالغة بعد رئس سابق قتلت له كذب من قال هذا ، ولا شك أنه كان عبداً من عبيده ينقطع فناته مائته ، فلم ير عزاء لنفسه وقد رأى سيده هو ، الا هذا الاخلاق البایخ يعزي به نفسه .

اصطحب رجلان سهلي وجبلی ، وكان السهلي صاحب دعاية ، فقال الثاني الأول : الآن يجيء أبني فترى جمال طلعته وتشهد ظرفه ولطفه ، اني أحبه وأعجب بصفاته . وجاء الصبي وهو في نحو العاشرة فلما رأه السهلي قال لصاحبه : قل آمين ، وأكده عليه ثلات مرات أن يقول آمين من أعماق قلبه فقال : الله يتصف لك عمره ، ما نظرت عيني صورة أبشع من صورته فهو كالمسخ ، ولا قذارة كفدارته ، تستقدر كل عين تراه ، ولا هناماً أبشع من هنامه . لو كان الامهات لا يعنيهن بغير تربية الجليل من أولادهن هلك قسم عظيم هن بلدن ، ولكن القرد في عين صاحبه غزال .

طبعت على تقدير أعمال الرجال والتنويه بالعاملين من النابتة ، وربما زدتهم من النساء لأبعث هممهم ، كنت اراني مسوقاً الى هذا الخلق لأنني كنت في مقام يقتضي الاخذ بأيدي المقصرين حتى ينشطوا ، وكان بعضهم ينكر عليّ صنيعي هذا وآخر بعده بما ينافي الاعتدال ، والاعتدال يوجب

عندم أن توزن أفعال النافذة بالثأفيف والا عدة الشجع غالباً وربما حببوه مصانعاً . ولا أدرى أي الخلقين أجدى على المجتمع التنشيط أم التنبط أنا وفريق كبير من أخوانني درجنا على أن الخير في مدح العاملين يزيدوا نشطة ، وغيرنا آخر الاعتدال فقط بعضهم في منتصف الطريق بما أوهمن من عزائهم حتى لم يكدر يظهر منهم رجل يعبد شيئاً . وبهذه الطريقة دفعت الشباب إلى التعلم ، وأشعلت الفيرة في نفوسهم ، وقويت النافذة بينهم . أما صنف المعتدلين فقد أخفقوا هم ومن نظوعوا للاضعاف هم . ما أشبه من يحتقر عمل العاملين الا بوجل قليل البضاعة يخشى عليها البار اذا ترك المجال لمن يشاركونه في التجارب بمنها . وأقبح بذلك من خاق فيه ضيق عين وضيق عطن .

أنخطأت بأن فتحت فنيي من توهمت بهم الصدافة فتشبتت نفسي بهم ، ونسرت أنهم ما بنوا صداقتهم على أغراض . فكان منهم من يتقلب تقلب الحرباء تراه في الصباح غيره في المساء ، وهو في الآخر غيره في الأول واعلم ما كان يشعر بما يأتي ويدر . وسواء كان النسبان أو التناسى أو غير ذلك من حالات النفس هو الذي حملهم على ما حملهم فإن هذا الخلق قبيح وجده قبيح . بعض من توهمت بهم من المهرجين أصدقاء ثبت بعد التجربة أنهم معارف فقط أظهروا الميل إلى لأرب من المأرب ، فكان خررهم على لا يعتمد به ، أما الشاميون فكانت العلاقة بهم اوضح ، ولذلك كان أذالم أشد .

رأيت تجاراً لا يلذهم الا أن يظروا بظهور التقوى والصلاح ، يستحلون اهداه بعض كبار رجال الدولة ابتغاءفائدة مادية يتوفونها منهم ولو لا ذلك ما أهدوا ولا تقربوا . من خلق التجار الشج لا يخرجون عنه الا اذا وقع في نفوسهم أن ما ينفقونه على غير العادة هو لزيادة ثروتهم . أنا لا ألوم الناجر على خلقه هذا ، فمن أخلاق التجار الاحتيال على الكسب

واماً ألوم ذاك الذي قبل هديته حتى يدوس القانون ويربحه الألوف من دم الفقير .

لورضيت أن أسكن مصر عالماً من عمال قصر الملك فزاد لأبغضني ثلاثة أرباع من تعرفت اليهم من إخوانى المصريين ذلك انهم يفسرون رضي بالخدمة عدم انى جئت أشاركم في خبزهم واعتدى على حقوقهم .

من المشاهير من تويد عظمة دولتهم في مكانتهم وتوليمهم صيناً بعيداً ، ولا يرقى شهرة عالمية الا من استغل بالسياسة العامة ورددت صحف العالم اسمه شهوراً وأعواماً بالخير أو بالشر ، وشهرة العالم أقل من شهرة السياسي على كل حال .

من أحب شعب القضاء على أحد رجاله جمع له من المساويه ما صح وما لم يصح . لما عزم الطامعون في الخلافة على دفع بعض خلفاء الامويين عنها انهموم بهم كاذبة لا يقع فيها المجانين .

اذا أراد امرؤ قتل كلبه ادعى انه مصاب بالكلب ينهش وبؤذى ، اذا مالت نفس رجل الى طلاق امرأته نسب البها من العيوب مالا يجتمع مثله في عشر نساء قبيحات .

قلت لصاحب طلب اليه أن انشر له في الجريدة مزاحدات لعامل بلده ، وكان صديقي أيضاً ، ونشرت له ما اراد وانا موافق صدقه ، فلما عزل العامل بما كتب فيه عزمت على صاحبى أن يصدقني ، وقد تم له ما سعى اليه من عزل العامل فسألته هل صح كل ما انتهت به فقال : لا والله ما رأينا أعف منه يداً ولساناً وفرجاً الا أننا لا نتحمل هذا العيار من الرجال ونخب من حاكمتنا أن يأخذ منا ويعطينا ، وهذا كان كالحقيقة قطعة واحدة لا يلين .

لا يظهر الرجل المنافق بظاهره الحقيقي من الاخلاق الا يوم ينولى
مثلاً تكون له فيه سلطة ، قد يكون الرجل من لا يأس بتفاقته و اذا كانت
أخلاقه التي ورثها من أهله ناقصة فاحشأً فقد تفاقت بعض نعمها .

كنت أذهب الى أن الكل خاص بأهل مصر لـ كان الحرارة في
فطحهم ، وإذا به منتشر في سكان الشام وخصوصاً بين المتعلمين ، ما أهان
عنهم جودة الماء و اعتدال الأقليم .

انك تشتعل بما بت اذا حاولت أن تجعل من البخيل كريماً ، ومن
الطائش حليماً ، ومن الجھول عليماً ، ومن العجب بنفسه حكيناً .

ادعاءات الوطنية

لقيت سوريه من أدعياء الوطنية منذ قام الحكم العربي على عهد
الامير فيصل ما أزعجهما وأفضى مرضعهما ، فدخل الخلل على مصالحها من
أول تأسيسها ، وسارت سيراً نكراً تزعزعت له حالتها الاقتصادية ،
والاقتصاديات أول ما يحكم بها على أمة فهي معيار سير الدول والامم .

قرأت في مذكرات صديقي الاستاذ فائز الغصين قوله : « دخلت
البلاد في السنتين اللتين دام فيها الحكم الفيصلي في عهد جديد ، الا أنه
لم يدم طويلاً ، فقام بعض من يعتبرون أنفسهم وطنيين و عالمين بالسياسة
أكثر من كل أحد و يعدون سواماً من المارقين » ، يوجهون الشعب نحو
عداء الافرنسيين والإنكليز على السواء . هذا و سوريا ليس لها جيش
يؤمن بصد عنها عادية العدو اذا أراد بها سوءاً ، فكانت ترى الشعب
على اختلاف طبقاته متهمساً . بذلك على هذا النجم ما أجابني به
أحد المنظرفين من أن له قلباً يحارب به سبع دول . فسألته ولماذا

تخاربون فرنسا وانكلترا في آن واحد ؟ حاربوا أحدهما حتى إذا ما تغلبتم عليها تخاربون الأخرى ! وادرك الانكليز إلا فائدة في الخبازم إلى السوريين ، فتركوا سوريا واتفقوا مع الفرنسيين ، فكان مكان من احتلال الفرنسيين لسوريا الداخلية وعجز الجيش العربي ، واستلامه الأربع . وبأن خطأ رأي هؤلاء المتبعين وكانوا ولا يرون شرآ على البلاد بأ Ramirez وتوجيه أنهم الخطأة . هذا ما كتبه القاضي العادل في مذكراته ، وهكذا رأى العقلاء من هذه الفئة الجاهلة التي ولت نفسها الرعامة واستأنفت بحق الكلام عن السوريين من دون توكييل منهم ، وذلك في آخر الأوقات التي صارت إليها حالة ديارنا بعد الحرب العامة الأولى . وما ننسى اليوم ما كان من تزعم «شيخ كتاب» على إرادته على الآهاب وعلى الأمير ف يصل ، وبيث في النفوس روح الثورة والعداء للأجانب ، وكان بعمله الآخر سبباً في إزهاق أرواح مئات من الناس ، وما كانت غايته إلا الظهور والاستئثار باللغام ، وكان يزيد في رعننته كلما رأى آراء مساعدة ودعوه في تضليل العقول ناجحة . وهو بما أنه لم يخسر شيئاً ، وكان الخامرون من ساروا في ركب مغرورين مخدوعين ، أما هو فجمع ثروة عاش بها سرفاما . ومن الغريب أن يظل مرجعاً يعتمد برؤيه إلى عدم قريب ، بعد أن رأى الشعب خطأ جميع مناهجه في السياسة . وكان هؤلاء الدعاة الذين تولوا الكلام في سياسة الأمة زماناً يوفون أنهم لا ينجحون فيما يحاولون بلوغه إلا إذا نالوا من المؤمنين العارفين . وكان أيسر شيء عليهم الطعن في وطنية من لا يشاعرهم في أذكارهم . ولا يتعففون عن حل الأذى إليهم ، وترامهم تحت الطلب لكل من يدعهم إلى القيام بهيجه سياسية أو حزبية وهم من الصنف الذي يخدم بضعة أحزاب ويبدل عدة مشارب ومذاهب في مدة قصيرة .

والى اليوم وبعد مضي ذهاء احدى وثلاثين سنة قضتها سوريا في حنة السياسة الحرقاء لا يزال من ساروا على طريق الضلال يتحفرون للوثبة كل ساعة وهم على قدم الاستعداد للاقاء الامة في تملكة لقاء مفتوحة ينالوز ، لو لا أن قلتمنس القوانين من أظفارهم وعرفتهم الأيام أقدارهم .

الوزراء المُرتجلون

قسم عظيم من تولوا الوزارات منذ أول عهد الانتداب في سوريا ولبنان لم تسبق لهم خدمة الحكومات من قبل وكانوا وسطاً ، وأقل من الوسط في سياساتهم ، وما تولوه من فروع الادارة . وكان جههم بعض الامور سبباً أكبر في اخفاقهم ، يخرجون على القوانين لأنهم لا يعرفونها ويترکبون أغلطاً فاحشة لا يدركون . وأدنى نظرية في حركاتهم تفتق على سيرتهم حتى وصلوا الى كرسي الوزارة ، ومما زالت الوساطة التي تذرعوا بها ومنهم من حرم الذكاء والتعليم الابتدائي ، وتولوا رئاسات الوزارات أيضاً ، وأنى عليهم زمن وهم يديرون عدة وزارات في آن واحد وجاء مالهم من رأس مال ، معرفة الطرق الى توجيه الوزارة إليهم واتقان الدسائس التي يستخدمونها يوم تخونهم قوتهم . وبما ساعدتهم أن أرباب المقدرة لما شاهدوا الحكم يصل الى مثل هذه الأيدي عزفت نفوسهم عن توقي المناصب ، فكانت المصيبة مزدوجة ، لم ينتفع بالصالح للخدمة ، وتقلدها محدود الفكر ، قليل الخبرة .

من عيوب المجتمع

أليس من عيوب الحضارة أن ترسل بعض المالك الرافية إلى الاحتياط بأسعار حاصلتها من طريق اتلاف الزائد عن حاجة الأسواق . فقد أتلفت هولاندة مئات الآلوف من البقر والخنزير ، وجعلت كندا من حاضرها وقوداً للفاطرات ، وأحرقت أوستراليا حبوبها ، وقطعت البرازيل مئات الآلوف من أشجار البن لتخفف غلامها ، وفاقت حاصلات الولايات المتحدة من الحبوب والبطاطا فتصح بعضهم للحكومة أن تعيد الجزء الزائد منها لتصل إلى السعر الذي يرضيها .

كل هذا وملاءين من البشر في الصين والهند يموتون في الجماعات من قلة الغذاء وليس في الغربيين من ينبعدهم بما هم مستغبون عنه .

خواطر

عهدني بعض المتأخرین من شیوخ الأزهر وقد تتلوا الشريعة صافية نقية كالشيخ المراغي ، ومنهم من مزجها بالطريقة والحقيقة كالشيخ الظواهري . مذهب الأول مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب الثاني مذهب ابن عربی الباطنی المتصرف ، الأول هو الاسلام ما شابته شائبة والثاني خطوط من الشريعة اختلطت بأوهام وأحلام . وشنان بين الطريقتين والشیخین .

كان اسلام الولايات العربية من جسم السلطنة العثمانية شرآ على الترك وغيرآ للعرب ، استقلت أربع دول عربية : العراق واليمن والمحجاز ونجد ، وأربع دول في التمام : سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن .

وبدت في جيّها الحياة السياسية والاقتصادية ، وكانت أيام الترك أشبه ببدن الموتى لا حركة ولا سكون .

أسلوب الانكليز في القضاء أدخل في الأسلوب العملي منه في النظري ، والتطويل في فصل الدعاوى طريقة الفرنسيين ، وكان العرب في الجاهلية والاسلام يرغبون في الحكم الخامس السريع وهم على ذلك الى اليوم .

من العظمة ان يفعل المرء الحير لainⁿ ولا يستكثر ، وأن يدفع حتى عن عدوه غالفة تصييه ، ولا يصرح بما تتحمّل لانقاده ، وأن يقوم بما يفرض عليه من الاحسان لقومه من غير أن يتوقع الاشادة بذلكـه والتنويه بفضله ، وأن يحسن لنـه هو في حاجة الى الاحسان ويتناهى ما اسدى اليـه ، وأن يتواضع للصغير قبل الكبير ؛ فالمتواضع يكتسب القلوب من دون ثـن ولا عنـاء . ولا يكفي المرء أن يكون عظيـماً كـما قال أحد عظامـه الغرب ، والواجب أن تبدو عظمـته في الوقت المناسب .

لك أن تُعرَف التجربة بأنـها زبـدة النافع في الحياة من جهـود الإنسان ، ومن التجارب نـشتـأت بعض العـلوم كالطب والـسيـاسـة ، ومعـظم ما فيهـ سـعادـة البـشر على هـذه الأرض هو ابن التجـربـة . وجـيد مـكتـوباً على أحـدى المـذـكرـات : التجـربـة شـعار أـسـلـحة مؤـلـفة من كلـ سـلاح جـرـحـناـ به .

لا يُنـتفـع بـنـصـح النـاصـح ان لم يـكـنـ من نـصـحـ له حـمـنـ الـظـنـ بـنـاصـحـه .

تـكـثـر مـشارـيع أـربـاب الذـكـاء النـادـر فـتـتوـزع قـوـامـ ويـكـونـ نـجـاحـهمـ وـسـطاـ . يـقـولـ كـبـيـي شـاعـر الـآـلـانـ : التـفـكـيرـ سـهـلـ وـالـصـعـوبـةـ فـيـ الـعـملـ ، وـالـعـملـ بـحـسـبـ الـفـكـرـ أـصـعبـ شـيءـ فـيـ الـعـالـمـ .

كنت أتمنى ألا أعرف تراجم بعض الرجال على حقيقتها حتى لا يسو
ظني بالبشر ولا ينقطع أملـي من اصلاحه . واليـوم أتمنى ألا أقف الـوقوف
كـلهـ على أخـبار دـول الشـرق الـادـنى ، وـفي دـيـار الـعـروـبة خـاصـة ، حتـى لا أـصـاب
بـالـيـأس مـن نـهـضة شـعـوبـه المـؤـلـفة مـن أـعـضـاه صـالـحة وـأـعـضـاه فـاسـدة .

تعيش المـالـك بـقـوـة التـسـلـل ، ولوـلا الحـرـف مـن القـواـزنـ ما قـام في
الـقـرـى وـالـمـدـن حـجـر عـلـى حـجـر لـاـنـ الـإـنـسـانـ في ذـاـتـه متـوـحـشـ محـربـ
حـسـودـ طـمـاعـ .

في اـحـصـاء دـولـيـ حـدـيـثـ أـنـ سـكـانـ انـكـلـاتـرـاـ يـنـقـدـمـونـ الـأـمـمـ كـلـاـمـاـ في
قـرـاءـةـ الـكـتـبـ ، فـقـدـ تـبـيـنـ أـنـ ٥٥ـ فـيـ الـمـئـةـ مـنـ الـانـكـلـيزـ يـقـرـأـ الـفـرـدـ مـنـهـ كـتـباـ
وـاحـدـاـ فيـ الشـهـرـ عـلـىـ أـقـلـ نـقـدـيرـ . وـيـجـيـءـ بـعـدـمـ الـنـزـوـجـيـوـنـ يـقـرـأـ مـنـهـمـ
١٥ـ فـيـ الـمـئـةـ وـالـفـرـنـسـيـسـ ٤٩ـ وـالـكـنـدـبـوـنـ ٤٢ـ وـالـأـلـمـانـ ٤١ـ وـالـطـلـبـيـانـ ٣٤ـ
وـالـسـوـيدـيـوـنـ ٣٣ـ وـالـأـمـيـرـكـانـ ٢٠ـ . وـمـنـ حـقـنـاـ هـنـاـ أـنـ نـسـأـلـ كـمـ وـاـحـدـ
فـيـ الـأـلـفـ يـقـرـأـ الـكـتـبـ يـاـ تـرـىـ فـيـ مـصـرـ وـالـشـامـ ، أـعـظـمـ بـلـادـ الـعـرـبـ مـدـنـيـةـ .
وـاـذـاـ كـانـ لـاـ يـقـرـأـ الـكـتـبـ عـنـدـنـاـ وـاـحـدـ أـوـ اـثـنـانـ فـيـ الـأـلـفـ فـيـ الشـقـاءـ الـآـدـابـ
فـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ وـبـاـلـعـادـ يـوـمـ يـجـرـيـ التـنـظـيـرـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـ أـقـلـ أـمـمـ الـغـرـبـ قـرـاءـةـ .

كـنـتـ فـيـ الطـفـوـلـةـ مـوـلـمـاـ بـنـسـلـقـ شـجـرـتـيـنـ الـمـيـسـ وـالـزـعـورـ أـقـطـفـ مـنـ
غـرـهـاـ وـأـنـخـطـيـ أـشـجـارـ الـفـوـاـكـهـ الـلـذـيـدـةـ فـيـ مـزـرـعـتـنـاـ . دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ الـطـفـلـ
أـيـضاـ يـحـبـ الشـيـءـ النـادـرـ وـيـؤـثـرـهـ وـلـاـ يـمـلـىـ إـلـىـ الـمـذـولـ .

قـلـتـ لـاـحـدـ كـبـارـ أـعـضـاءـ الـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ أـنـ معـنـىـ الـقـرـارـ الـذـيـ اـتـخـذـنـهـوـ
فـيـ التـزـامـ الـحـيـادـ فـيـ حـرـبـ كـوـرـياـ أـنـ الدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ سـتـلـزـمـ الـحـيـادـ فـيـ
الـنـزـاعـ الـقـائـمـ بـيـنـ الدـوـلـ الـدـيمـوـقـراـطـيـةـ وـالـدـوـلـ الشـيـوـعـيـةـ . فـقـالـ : اـذـاـ ضـغـطـوـاـ
عـلـيـنـاـ فـلـاـ فـائـدـةـ مـنـ قـرـارـنـاـ .

أشرت في هذه المذكرات الى أن النظام الشيوعي لا تمضي كل الام ، والسلوكي في مقدمة من يبنونه ، لأن تعاليم الاسلام تختلف مبادئ الشيوعية في بعض المسائل . ولبيت الاقطار العربية بمحاجة الى هذا النظام الجديد لتوزيع الثروات توزيعاً عادلاً في الجلة ، والثروات عندما لاتشهد بضمائمها ثروات الغرب الاهم الا العراق ومصر ، وهذه تنظر الان في غنى الاغنياء لما فيه مصلحة الفقراء ، ولما يجب ان يكون هؤانا مع الدول الديموقراطية لانا ما عهدناها - ما عدنا فرنا - تدخلت في شؤوننا الدينية وما منعتنا من الاستمتاع بجريانها . ولو قد تيسر لنا ان تكون على الحياد حقيقة في هذا الفزع الاكبر اسكن من ذلك الحياد اما وهو متعدن فالحياد قد يضر^ه بنا . لا تبني الدول الحازمة مستقبلها الا على العقل والتفكير الصحيح . حرب بشرط مقبولة افضل من حرب عاقبتها مجحولة .

كتب اليه من نيويورك صديقي الاستاذ فارس الخوري عضو جمعية الامم يقول : نحن هنا نعالج أضخم القضايا المهددة للعمران البشري كله باحتلال استباقي ألفي مليون من البشر في حرب طاحنة لا تبقي ولا تذر . والظاهر أن العقائد الاجتماعية أشد تحكمها في النفوس من العقائد الدينية ، فالصراع الراهن هو بين نظامين اجتماعيين النظام الذي يسميه أصحابه اغريقون ديموقراطياً ، والنظام الشيوعي الذي يسميه آله الآخرون ديموقراطياً أيضاً . وهذا الثاني يتطلب التوسيع ويأخذ خطوة المجموع ، والأول منها يتطلب العافية ويشتند في الدفاع عن نفسه ليحصر الشيوعية في دواوينها حذراً من أن تحتاج المعمور كله ويجرف تبارها ديار الغرب كما جرف الشرق ، والظاهر أيضاً أن الوقت أى الزمان يجري مع الشيوعية ويسكبها أنصاراً ومعتنقين سنة بعد سنة فمن مصلحة الغربيين أن يسرعوا بالقضاء عليها في مدها ان استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، وهم يعرفون ذلك

وبحمون بالعمل ولكنهم يحبون لهذه المخاطرة ألف حساب . وما لمحن في الأمم المتحدة نصارع المفاجآت ونحاول خضد شوكتها وقد أقمنا أنفسنا نحن الدول الآسيوية الأخرى مقام الوسيط المحابر لعلنا نتبع في كشف هذه الفمة مع العلم أنت لا تعتقد مالاً راجحة على النجاح أه .

هذا ما كتبه الأستاذ يوم ٧ كانون الثاني ١٩٥١ ومعظم الأمم في الشرق والغرب تستعد هذه الأيام للعرب والعالم كله من خشيته في بلاد لم يشهدوا مثله .

يتشابه المصريون والشاميون من وجوه ويتباينون في أخرى . تكثف الغباوة في مصر بمزوجة بذكاء وخفة دوح واهتمام . ويكثر الدهاء في الشام بخالطـه ذكاء على غلظـة وجهل مع جد . وأضر الغباء والوانـه ما يتراوـهـ في بعض الطبقات التي درست الدروس العالية ونولـت امرأـ من أمورـ السـلطـانـ .

انتدبـتـ وزارـةـ مـعارـفـ أحـدـىـ الدـولـ الـعـربـيةـ رـجـلـاـ مـنـ حـمـلةـ الشـهـادـاتـ العـالـيـةـ ليـتـصـلـ بـرـجـالـ المـعـاهـدـ الـعـلـيمـةـ فـيـ بلدـ بـجاـورـ ،ـ فـاتـىـ عـلـيـهـ أـشـهـرـ لـمـ بـوـاجـهـ خـلـلـاـمـاـ أـحـدـاـ مـنـ أـمـرـ بـالـاجـتـاعـ إـلـيـمـ .ـ وـانـتـدـبـ بـرـيـطـانـيـاـ الـعـظـيمـ رـجـلـاـ مـنـ أـبـنـائـهـ مـلـئـ هـذـاـ الغـرـضـ فـيـ حـكـومـةـ عـرـبـيـةـ ،ـ فـاتـصـلـ ثـانـيـ يومـ وـصـولـهـ بـأـرـبـابـ هـذـاـ الشـانـ وـدـامـ عـلـىـ اـجـتـاعـهـ إـلـيـمـ مـرـتـينـ فـيـ الـاسـبـوعـ ،ـ حـتـىـ اـسـتـوـفـيـ مـاـنـدـبـتـ حـكـومـتـهـ لـلـوقـوفـ عـلـيـهـ .ـ تـأـمـلـ هـمـةـ الـعـرـبـيـ وـهـمـةـ الـغـرـبـيـ وـقـدـرـ لـنـفـسـكـ جـهـلـ الـأـوـلـ بـالـوـاجـبـ وـمـعـرـفـةـ الـثـانـيـ بـكـلـ مـاـ فـيـ الـوـاجـبـ مـنـ تـبـعـاتـ .ـ

يـظنـ بـعـضـ مـنـ تـخـدـعـهـمـ الـظـواـهرـ أـنـ فـيـ رـجـالـ الدـوـلـ ذـكـاءـ فـانـقـاـ وـعـلـىـ نـادـرـاـ وـتـجـربـةـ عـظـيمـةـ ،ـ وـلـوـ خـبـرـوـمـ لـرـأـواـ جـهـرـهـمـ مـنـ الـمـوـسـطـينـ فـيـ مـزـايـمـ عـلـىـ الـأـغـلـبـ ،ـ وـبـالـمـاصـادـفـةـ اوـ الـاحـتـيـالـ فـقـطـ وـصـلـوـاـ إـلـىـ مـاـ وـصـلـوـاـ إـلـيـهـ

دأبت جريدة المقتبس على ذكر الحسن والقبيح من أعمال رجال الادارة والقضاء على العهد العثماني . وكانت حكومة تلك الأيام ترتكب غالباً الى ملاحظاتنا فتباشر الى نقل مال السوء او عزلهم او انماء خدمتهم ، وقد سرت مرحلة محكمة الاستئناف بكل ما صدر من رئيس وأعضاء وكتاب حتى الآذنين والمحضرتين . وبعد عشرات من كانت جريدةتنا سبب لزخاتهم عن مراكزهم . ولما جئت أدون مذكرةي كان موضوع سيدات الموظفين من أهم انجازها ، ذلك لأن طلائع الاصلاح لا تبدو الا يوم يطرد الحائزون من خدمة الحكومة .

كنت في الجريدة أكتب كتابة تؤثر في الحال وتُطبع من الغد ، واليوم أكتب ما يحفظ وينتفع به في الحاضر والمستقبل ، ولا قصد لي الا تطهير جهاز الحكم ليبدأ الاصلاح سليماً من الشوائب . فيما مضى كنت أنطلب الممكن من الاصلاحات فوفقاً الى الفرق على أيدي بعض الحونة ، وبالطبع لم يرض مما كتبته من نكتبوا بروزهم ، وافتضوا بسبعينات أعمالهم . وقد اغتبطت بما أقدمت عليه لأنني أفضل أن ينكِّب الفاسدون الذين اعتادوا الاحرار بالناس والدولة ، وأن أكون واحدة لخفيف الظلم عن هذه الأمة المسكونة ولو بعض التخفيف .

ابنى صاحب الحاجز ونجد وولي عهده فصربي فخم في الطائف ومكة قبل انها قاما عليها مع فرسنها بليونين من الجنجات المصرية . ولو أنفقا هذا المال العظيم في نشر العلوم والصناعات وتعبيد الطرق والاصلاح والري بما يضمن للشعب القوت الضروري لأقام لها قومها متى شعروا عشرة قصور أفحى من هذين الفهرين اعترافاً بجميل الملك العربي وابنه .

كنت منذ أيام الشباب اذا قرأت كتاباً باللغة الافرنجية في موضوع طريف أحدث من اجتماع اليهود بخلادة مطالعت ، وأوردت عليهم ما علق في ذهني من موضوعه ، فاذا أتمت حديثي لا أعدم رجلاً من أهل المجلس

يشنى على أن أنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية ويصادق بعض من حضر على قوله . وقد يكون بعضهم من يحسن التقل من لغة فرنسية وعلى شيء من العلم . وما شهدت واحداً يقول : في نبأي افتخار هذا السفر وترجمته فما رأيك ؟ اعتاد قومي ان يحملوا جميع الأنفال على عاتق من يرون له بعض قوة ، لأن يتقاسموا الحمل يخف عمله وبشرى كروا جميعهم في أجر حمله .

اتقاء ثلاثة امور تحفظ على المرء بعض صفاتك في الحياة وهي الا يتزوج من اقاربها ولا يزوجهم ولا يشارك صديقاً له في امور مالية ولا يفرق ثروته على ورثته في حياته .

عهدت رجالاً ظهروا فجأة في عالم الشهرة ، واقتربت منهم أمن في حالم ، فاستبان لي انهم دون الوسط بعقولهم ، وأقل من الوسط بعقارفهم ، سادوا وليس لهم من أسباب السيادة شيء يذكر ، فصدق عليهم ما وصف به فولتير الفيلسوف احد مواطنه يوم قال انه كان قائداً وما مست يده سلاحاً طول حياته ، وكان عضواً في الجمع العلمي ولم يملك القلم بيده .

كانت بريطانيا العظمى اذا جرى ذكر الدول تقول بلسان الحال انها ليس لها مع احداهن صدافة ولا عداوة . وانها لا تهم لغير مصلحتها ولهذا لا يستغرب تخليها عن الصين الوطنية واعترافها بالصين الشيوعية ، وفي كل عصر كانت صدافة انكلترا موقنة تستعين بن تصادق على الخروج من مأزق وقعت فيه فاذا امتنت عدوها تخلىت عن صديقتها ، وسياستها على كل حال خالية من العاطفة .

مئات الالوف من السيارات صُرِفت فيها عشرات الملايين من الجنيهات بمجموع في هذا الشرق القريب ، ناعمة على أهلها اسرافهم وعلى حكوماته

فلة بصيرتهن . وقد كثرت السيارات في لبنان (فيه ٤٨ ألف سيارة مليون وربع مليون من السكان) حتى كادت تصبح عاصمتها مستودع سيارات . وكل ذلك دال على أن أميركا - وفي معاملتها تصنع معظم هذه الحوافل - تستعمر الشرق الأدنى استعماراً غير مباشر .

في حياة الشعوب أمور غامضة يصعب تعليلها . كتب الباحثون من أهل المشرق والمغرب في الخطاط المسلمين ألوفا من الصفحات ، ودونوا المواقفون والخالفون ما هذتهم إليه آراؤهم من أسباب التدني ، وما يجب على المسلمين التذرع به لصلاح ما هم فيه من نقص ، وما أظن ما قالوه هو كل ما يجب أن يقال ، وأهل الأيام تكشف عن أسباب ما مرت بخاطر أحد حتى اليوم .

قام مذهب الشيعة بدعاوة أن صاحبهم (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) مظلوم في ابعاده عن الخلافة ، وما يرجحوا إلى اليوم يحملون على كل من لم يوافقهم على رأيهم . فهرون الرشيد متلاً لما لم يوافق العلوين على مشاكلتهم العباسيين وما التوى في سبيل الذب عن الخلافة وأخذ القائمين على دولته بذنبهم ، اختلقو عليه ما كان بعيداً عن أخلاقه كل البعد ورموه بالفق والنجور ، وقال المعتدلون منهم انه كان سيء النديم وهو فرد الدهر محمود الصفات .

يحتمل بعض ما وضعه الشيعة لتأييد دعوتهم الا شتم الصحابة الكرام ، أما قدفهم في الاميين والعباسيين وفي كل من يستشم منه ريح الانحراف عن أمير المؤمنين فمن أيسر ما ارتكبه دعاتهم . وما يرجحوا منذ فرون يندبون ويبيكون ويلعنون لا ينتهون ، وهذا من أعجب ما سمع في المذاهب .

تعلقت الفلسفة في طبقات الحوادث منذ خمسة آلاف سنة وانتشر التصور في طبقة العوام من المسلمين منذ الف سنة فـ كان من الاول توسيع المدارك ومن الثاني خروها . عانى بعض النبهاء الفلسفة في كل جيل وأمة فقوى العقل فيهم . وزعم المتصوفة انهم ينظمون الحياة الأخرى بطرقهم على حين هي مبدوطة في كتب الدين فلا تحتاج الى زيادة جديدة . خرّجت الفلسفة رجالاً انتفع بهم العقل ، وخرج التصور رجالاً عبّروا بعوهر العقل .

قد تكظم أمة غيظها من انحراف راعيها عن الجادة ، وتغضي عن عيشه واماله ، فإذا نزل صبرها تنفجر فجأة ازفجار الرجل بالحرارة الشديدة وتقعد لتعاسبه على ما أنسى وبيانه .

إذا جرأ عظيم على هنك شرف أمة وبدأ يهزأ بقدساتها ومشخصاتها لا يصدها شيء عن نشر مثالبه في الخاصة وال العامة وبين الابعدين والأقربين ، وقد تغضب عليه لأسباب يراها بعضهم غير جوهرية ، قال لي عالم سياسي ان عظيمينا قد جمع حوله صنوف العناصر من سكان حوض البحر المتوسط الا العرب فإنه حرمه خدمته وهم أحق بها من غيرهم . وهذه الغلطة كان قومه كثيراً ما يعودونا عليه وينسون ما له من حسنات .

نجاح الشباب في سياسة الملك أقل من نجاح الكهول والشيوخ ، ذلك لأن في دم هؤلاً من الصفاء ما ليس في دم أولئك . تكثر المغامرات في الشبان خلافاً للشيوخ . والملك في الأربعين والخمسين من عمره أقرب الى النجاح لأنّه يحسن اختيار رجاله ، وبرجاله يحكم على عقله وجودة سياساته .

تكرر النّاصر على سلامة الجمهورية السورية في هذه الأيام . ومن المتأمرين من يحاول الدخول في الملال الحصب أي التحالف مع العراق ويقصد فريق إنشاء سوريا الكبرى أي ضم شرق الأردن إلى سوريا أو ضم سوريا إلى شرق الأردن وقد اهتمت حكومة الجمهورية إلى ما يراد بها وسلمت إلى القضاء من جرزا على القضاة عليها .

اعتد الشّرقيون أن يتسرعوا في الحكم على الرجال ~~وبشكيلوا~~
الاماديع بأعظم المكابيل لمن يتولى المناصب العالية من أول يوم بتولاتها ،
يعمونهم بالصناعات ويطلقون عليهم من النعوت أنفسها ، حتى إذا بدت
الأخطار غلطاتهم في تسرعهم يتراجعون عن أحكامهم الأولى . من عادة
الناس أن يفتروا في اثبات المنافب والثواب ، وما كان أولام أن
يجربوا من يدحونهم أو يقدحون فيهم باديء بدء حتى لا يباء الظن
فيهم مادحين وقادحين .

رأيت دعياً في الشعر يطعن في جماعة من العلماء من دون سبب
ورأيته يعود بعد حين يتراضاه لأنه بدا له أن يدخل في جمعيتهم ومم
ما عرفوه الا متشرداً طرد من بلده لسوء أخلاقه في تدخله فيها لا يعنيه
وعاش وما يزال يعيش بالجنسانية للغريب على قومه .

قبل ان نظام حيدر آباد الدكن أدخلته حكومة هندستان في جلتها
وقد استقلله في امارته وتبدلت أمواله العظيمة . وكان أغنى غني في
العالم جمع ثروته من قاصديه ، فكان بدلاً من أن يعطيهم يأخذ منهم .
وكان حريصاً بكل ما في الحرص من معنى قبيح ، وما رق قلبه يوماً
فنزل عن جزء من ماله ليعاون فرمه وينفع الإنسانية .

قال أحد المفكرين لا يخلو بعض من دخلوا في جمعية الإرهاب من
ذكاء ومعرفة فكيف أقدموا على ما لا تضمن نتيجته فعرضوا سمعتهم

لزوال ووطنيتهم لآخر ، فأجبت ما دفعهم الى انتكبوه الا حب الظهور والغرام بالمناصب وما تربب اليهم من أموال طلقتها لهم بعض الدول المجاورة . ولو كان الدافع الى ذلك وطنيا صرفا لكانوا سلكوا طريقا أخرى ليس فيها تدمير ولا قتل .

ما دام قامك في الارض غير طويل خف عن نفك وطاعة الاحزان
واحلب لها التبرور ما استطعته لا تكن أنت والزمان عليها .

تزيد قيمة المرء بما ينطوي عليه من صفات صالحة . من الناس من قيمتهم قيمة الماس ومنهم من قيمتهم قيمة الحصا .

كلما تقدمت المدنية ندر الزواج وزاد الفحش وقلّ النسل . الاقطاع التي ظلت على الفطرة بعض الشيء تنسى أكثر من الاقطاع التي سارت في طريق المدنية الفاسدة ، وأهل المدن أقل نسلاً من أهل القرى لصعوبة الحياة في الحواضر وسهولتها بين أهل الحرث والضرع .

لاحظ ملاحظ أنه كانت الأولى السكوت عن نقد أخلاق بعض
تقادياً من غضبهم ، وقد جاء ما يدور على الستتهم مصدقاً لما وصفوا به .
من تطلب رضا الناس كان عليه أن يعنى عن مساوئهم ، ومن كانت له
دعاة يوبد توفيقها لا يسعه إلا فول الحق منها كافه الامر .

من أجمل العادات زيارة الأحياء قبور الاموات في الاعياد والمواسم

يكونهم ويدركونهم ويترحون عليهم . بيد ان زيارة الامميات بعضهم بعضاً تتفع أكثر من زيارة الموتى ، ومن الحبي يستفاد ما لا يستفاد من الميت

كان الناس قبل انتشار المقاهي واللامبي والاندية يعقدون مجالسهم في بيوت مقدمتهم ينسون وينماطقون ، ويستفيد صغيرهم من كبيرهم ويعلم عالمهم جاهلهم . وقد بطلت هذه الاجتماعات المقيدة بجوم المدنية الحديثة علينا ، فندر اجتماع المتهاجرين والمتائهلين الا اذا كانت عرضاً في الشوارع والمجتمعات ، وقلت الفوائد التي كانت تجني من الناف . وكانت بيوت أعيان القوم أندية تقىض نفعاً ، فيما تعليم وتدريب وفيها طرب وسلوي ، وأجمل ما فيها اخاء دائم متبدال ، وصدقة ذات تراحم .

أدركت طبقة تعد من العوام كان أساندتها من عمار المجالس الخاصة وأصبحوا بما أصابوا من تجارب وحفظوا من أحاديث جميلة من تذكيراتهم وينتفع بعض آرائهم . بطلت هذه المجالس وبالأسف وما أكثر ما أنت الأيام والليالي على المفید فأبطلته .

لايسوغ لك أن تعد بذلك آخذاً بأسباب الحضارة الا اذا شاهدت فيه صورة الماضي الى صورة الحاضر حتى تعلم فضل أجدادك وآبائك ، وتعلم أبناءك غداً فضلك عليهم .

كثيراً ما نوهت بما تم على ايدي اعْمَاءِ لجنة التأليف والترجمة والنشر بحضور من القائمة العامة للعلوم والأدب ، بما وفقت الى نشره من الكتب المحررة المنقحة ، وما كان اعجباً اقل من ذلك باجتماع بعض اعضائها والطارئين على القاهرة من المصريين وغير المصريين في ناديهن كل اسبوع ، يستفيد المبتدئ من المتمهي ، ويأخذ كل طالب ما يفيده ، خصوصاً وأعضاء اللجنة من الاساتذة الرافدين ومنهم المؤلفون والمتّرجمون والناشرون الذين انفقوا أعمارهم في خدمة الآداب .

كلا فلت قال المصريون كذا وارتأى الشاميون كذا ، وود المراقبون
كذا ، أقصد بقولي الخاصة من أهل كل قطر ، وفيهم يدخل القابضون
على زمام الحكم وأرباب الأفكار والصحافة والعلماء والأدباء ، وغيرهم من
دخلوا في الطبقات الراقية وخرجوا من الطبقات النازلة . ولما هبطت مصر
قبل نصف قرن اعتتقد أنها أرقى الأفظارات العربية ومازالت على رأي
الي هذا العهد ، بيد أن افراطى هذا لا يحول دون تقد مواضع النقد
فيها ، لأننى أريد لها الكمال في جميع حالاتها .

أنا لا أعتقد الى الان ان المصريين يعرفون الشعوب العربية معرفة جيدة ، وكذلك هؤلاء لا يعرفون المصريين ، وحيثما لو اكثر المصريون من الوجلة الى الافطار العربية كما اشرت الى ذلك في هذه المذكرات على ان يطبقوا مفاسدهم فيها ويختلطوا باهلها اختلاط من ينوي الافادة والاستفادة لا يقتصر على اقامه من يصادفونهم في الفنادق والمتزهات ودور اللهو والقصف ، ولا على الاجتماع ساعة الى بعض رجال الحكم ولا على الاختلاط باهل المدن دون اهل القرى ، والواجب دخولهم في صيم الشعب ليعرفوه حق معرفته ، وكذلك يفعل الشاميون وكذلك العراقيون وسائر الشعوب العربية . ومن اطلع على خصائص قوم احبهم ومن طالت عشرته لاناس حن عليهم ونفعهم وانتفع بهم .

إذا عرف الناس قيمة الوقت مالوا الى الابحاز في كل ما يمكنهم ابجازه ، يوجزون في زياراتهم وافراحهم واتراحهم كما يوجزون اذا تحدثنا او تناقشوا واذا كتبوا وخطبوا . أصبح الابحاز في شرح العلوم وعرض الافكار من طبيعة هذا القرن ، كما ^{عد} الاصراع في كل شيء من ميزانه . حالة العصر لا تحتمل التطويل والبطء ، والكلام الموجز تشربه النفس ويفقى على ذكر من سامعه وتایيه على ما لا يكون مثله للطويل .

ولا يبعد ان تستحبيل الكتب بعد حين الى مقاطع صغيرة تنشرها النفوس بلا عناء وقد أصبح الانسان يفضل السفر في الطيارة والسيارة

على ركوب القطار ومتون البحار ، فكيف يسمع لنفسه ان يضيع اياً طويلاً في سفرة وفي وسعه ان يكتفي لاقامها ساعات قليلة . ولبس من المستبعد ايضاً ان تختر احجام الكتب في المستقبل فتصدر في صفحات مصغرة بحجم الكف قليلاً الاوراق ، دققة المزوف خففة المحمل هينة السن .

من حوادث هذا القرن : حشر البابا في رومية مليون كانوا ينكحون من اقطار العالم ليصرح لهم ان صرير العذراء رفعت الى السماء . وعلبهم ان يعتقدوا ذلك ، الا أن البرتستان في جنوب افريقيا بعنوا الى قداسته يقولون ان رفع السيدة العذراء الى السماء « اسطورة » ، انتقلت من خرافات الوثنيين . وقد سئل شيخ الازهر عن صرورة العذراء الى السماء فقال : لم يقع ذلك !

قال احد العلماء المعاصرین : ان الوسيلة الوحيدة ان تصل الى تحقيق الممکن هي الا تخلع بغير الممکن . وقالت العرب : إذا اردت ان تطاع فسل ما يبغى طاع .

كان غستاف الخامس ملك السويد من اعقل الملوك يقصد كل سنة الى جنوب اوربا للاستجهام وقال في آخر رحلة له الى نيس : ارجو أن اعود في السنة القادمة ان شاء الله . اقول هذا لأنه لم يبق اليوم غيره ملكاً مطلقاً .

فيما مضى سيطر رجال الدين على كل شيء في عالم المدنية وهاهم بعض من حرر العلم نقوتهم من الغربيين يحاولون نزع وصمات الدينبيين . قال فريق من الخبراء العالميين في باريس ان الكتاب الغربي يعمدون غالباً عند وضع كتب التاريخ الى اغفال ما قدمته الامم الاسلامية والاسيوية من خدمات جليلة للعالم وقال احد هؤلاء الخبراء وهو استاذ التربية المقارنة بجامعة

لندن ات تشویه التاریخ علی هذه الصوره كان سبباً في كثير من
منابع العالم . وقد اجتمع هؤلا، الخبراء لتقديم مجموعة من التوصيات
لهمیة الفقه الدولیة لوضع ترتیب يرشد المؤلفین والناشرین الى الطريقة المثلی
لتألیف کتب التاریخ المدرسیة . وصرح المستر سیدی المندی والمستر
میونیخ السیامی بأن تاریخ أمم العالم يتضمن التشویه بعد أمیرکا في الغالب
على حين أغفل من كتب التاریخ ذكر الأمم الاسلامیة ، والاسیوية ،
والافریقیة ، وجاء في توصیات الخبراء وجوب جمل التاریخ دویاً وأن
يتضمن كل شيء عن الشری وافریقیة .

تطورت المنازع بتطور الزمان وأصبح الناس لا يهمهم من العلوم
الا ما يسلیهم ويفيدهم في مادياتهم مباشرة ، ذلك لأنهم شهدوا في الحرب
الاخیرة نجاح الجهلاء أكثر من المتعلمين حتى لقد افتقروا العقارات وعمروا
القصور واستعمروا القرى والمزارع فزهدوا الماظرون الى كل ذلك في العلم
لأنه في نظرهم من العوائق عن جلب المال !

دأبت المجالات المهزولة على نشر صور کواكب السینما والرافصات
والفنیات في أوضاع مغربية . وكثيراً ما تصفحت هذه المجالات فرأيتها
على الاكثر تافهة لأنها كنثبت للجمهور والجمهور لا يهمه أن يتعلم بقدر ما يهمه
أن ينسلي واكثر ارباب هذه المجالات تجار ماهرون جسوا بعض قرائهم
فثبت لهم انهم لا يقبلون الا هذا الصنف الرخيص من الادب .

لو نجحنا بلادنا في سياستها الخارجية حتى تصبح بأمان من الاستراك
بالحروب بحارة الدول العظمى على أغراضها لكان ذلك أسعد الملك اليوم بما
قدّر لها من انصراف المهم الى العلم والاصحاء في الفنون والاهتمام الى
أساليب الاستفهام من طريق الزراعة والتجارة والصناعة على أحدث
الاصول الحديثة .

نبحث مصر في العهد الاخير بانشاء الجرائد السياسية أكثر من نجاحها بالمجلات العلمية وذلك لسببين وهم رغبة الناس عن العلم والادب وغرامهم بالجرائد الفــكارية تنشر ما يلذ العامة من مناظر وحكايات ، وتمثل لذلك باربع مجلات في مصر وتنتشر في الشام . فالمجلة الاولى أقدم المجلــات مات منشئها فلم تجد لها منشئاً من عياره ، ولا تهــا لها من ينفق عليها لاستخدام افلام كتاب بارعين فلقت افقات ثم قضت نحبــها . والثانية غير ورتتها صورتها ونقلوها من مجلة ادبية الى مجلة فــكارية لان عدم من كل ما تنشر الا ارضاء العامة بما يناسب عقولهم . والثالثة والرابعة انكل القائــون عليهــا في انشائهم على مقالات المؤازرين فان اتفق ان ظفرت الجلة بمقالة تعبــها كــانبيــا في تحضيرها والا اضطر قيــيم الجلة ان يحشوــها بما هــب ودب . والمجلــتان الشاميتان ليس فيهاــا من المزايا الا الثبات على اصدارــها ، وهم تستجــديــان المــقالــات وتكونــ على الــالــغلــب من الــدرــجة الخامــسة والســادــسة ، وقد تــزــرــ السنــة على هــاتــين المــجلــتين ولا تسقطــ فيهاــا على مــبحثــ مــفــيدــ فيــعــمدــ صاحــبــها الى النــقلــ والــاقــتبــاســ . وعــنــاكــ ولا نــكــرانــ لــاعــتــ بــمــجلــاتــ علمــيةــ قــليلــةــ منهاــ ما يــصــدرــ فيــ الشــامــ وــالــعــرــاقــ ومــصرــ استــوفــتــ شــروــطــ الــاجــادــةــ وهيــ ذاتــ مــوــضــوعــاتــ معــيــنةــ والــقــائــونــ عــلــىــ اــشــائــهاــ عــلــمــاءــ اــذــكــيــاءــ بــعــرــفــونــ مــاــلــهــ قــيــمةــ للــنــشــرــ مــنــ الــابــحــاثــ .

الناقدون والناقدون

من حسن التوفيق أن نشرت مذكوري في جياني ، فسمعت ما قاله فيها الناقدون والناقدون . زعم بعضهم أنني أغضبت الكثرين وأرضيت القليلين ، وأنني تسرعت في الحكم على الحوادث والشخصيات . وكان عليه أن يعكس حكمه فيقول إنني أرضيت الكثرين وأغضبت القليلين . ذلك أن مجموع من تصفحوا الكتاب ، ومن المتلقين خاصة ، قد أكبروا حرية ، وصفقوا الشدة على أرباب السير الرديئة من العمال وغيرهم . وما كان من غضبوا في الواقع إلا طائفة قليلة من السياسيين والمتلقيين ، وغير صحيح أنني تسرعت في الحكم على الحوادث والشخصيات ، فأنما ذكرت الماضي ولم أتعرض للمستقبل على ما يلام روح المذكريات . كتبت ما شهدته وأنكرته وشهده غيري وأنكره ، وما سجلت إلا ما يجب تسجيله . أما ما كان محظوظاً عن العيون فهو فيها أرى من علم الغيب ، وما أنا ولا غيري بعلم الغيب من العارفين ، حتى أضمن سلامة النقوس من العيوب أبداً ، أو أواخذ مما سيأتيه بعد حين من تعرضت لذكره . فحكمي إذا كان على ما وقع لا على ما سبق أو سوف يقع .

وبعد لما كنت إلا صادة في حكمي على صاحب الثورة الأولى المشير حفي الزعيم ، وقد أعجب بشورته عقلاء الأمة ، وما اختلف العارفون في عظم شخصيته . أما ما كتبته في رئيس الجمهورية الثالث فكلام غير منقوض بما كتبته في جده مثلاً ، فهو غير جده ، هو كان طموحاً إلى الجهد بطريق له خاصة خالف فيها أصول الحكم فجعل الحدود ولم يوع القوانين ، وبذر الأموال ولم يصرفها في وجوهها ، وقرب الرعاع الجاهلين وأفعى البلاء العارفين . وأنا لا أسأل عما يطرأ على أخلاق الأفراد ما داموا طول

وقال صديقي الاستاذ علي عبد الرزاق باشا من علماء مصر من كتاب :
وحدثك في بعض المواقف مهاجماً عنيناً في صراحة لا يازجها حذر ، وفي
مواقف أخرى كنت أقرب الى المداورة وأدنى الى الابهام ولكنك في
كلانا الحالتين واضح العبارة ومستظرف ومحبوب . ولقد اكون وقفت موقف
الشك والتردد ازاء ما جرى به فلذلك في بعض المواقف ، ولكن لم
يختارني ادنى اثر للشك ولا للتردد في انت وضعت بهذه المذكرات سجلًا
حافلا بالحوادث ملئاً بالمعلومات .

وقال صديقي الاستاذ محمد بهجة الانزي من علماء العراق من كلام على المذكرات في الجزء الاول من مجلة الجمع العلمي العراقي (١٣٦٩ - ١٩٥٠ ص ٣٥١ و ٣٥٣) : لست ازعم ان المؤلف قد سلم له كل ما دونه في ارتساماته وآرائه ، ولا سيما في السياسة والرجال ، فانه هو نفسه يعترف في آخر هذه المذكرات (ص ٩٩١) بأنه ربعا وقعت له هنات كان الاجدر ان يسلم منها كتابه ، ثم يذكر السبب في وقوع هذه المهنات له فيقول : وما كان السبب فيها الا بعض من أدلوها البناء بعلميات وهموا فيها . ولابته أشار الى هذه المهنات ، وبين وجه الخطأ الذي لم يعصم منه لتمييز مروياته عن انتطاعاته وآرائه ، وليرى الناس - ومن حقهم أن يعرفوا - هذه المهنات التي وقعت له « ومن فيك أحلى » قال وقد مررت في كتابه بأشياء لا أحبهها من هذه المهنات التي عناها بل هي من باب آخر مما يتصل بالسياسة وبالرجال ، وعلى بعضها

طابع العجلة والارتجال ، وعلى بعضها أثر الحدة والانفعال . وما يدرينا اذا أخذنا في مردعا ، وهي ليست بالكثيرة أنه يقول في ردنا ما قاله في تلك المحن من ذا الذي عص من الخطأ؟ ... فيسد بوجهنا الطريق الى بحاذته اطراف الحوار !

الى أن قال : وبديهي أن من يكتب بهذا الأسلوب المطلق عن أهل عصر يعيش بين ظهرانيهم ، ويعطي كل انسان كتابه بشحاله ، نا يعرض نفسه اغضب الناس وسوء فاليهم في حقه كالذى حدث له مع أصحابه وأحبابه بصر جن تقد سلوكيهم معه فثاروا عليه يناؤشونه انتقام ، وقوارض الكلام . وليس بمثل هذه السهولة تنسخ المودات بين الأصدقاء . وتتسى العهود بين العلماء اه .

وتلطف الاستاذ أحمد شكري فلاحظ في جريدة النصر فائزا : « ان هذه المذكرات هي أكثر من مذكرات هي تاريخ وتحليل اشخاص واصدار احكام مختلفة عليهم . وأنشد أن الاستاذ كرد علي كان مؤرخاً صارماً ، فأصدر احكاماً جريئة على اشخاص أصبحوا ملوك التاريخ ، ومنهم الامة العربية مكاناً رفيعاً في افكارها وذكرياتها . ونلا أشك أن علامتنا الكبير صادق فيما يقول ، ولكن لعل الامر جوانب أخرى ولعل ما انتقد في أولئك الاشخاص صحيح ، ولكنه عبارة عن هنات شخصية وتصرفات توجها ظروف لا تستطيع تقديرها ، فان من المؤكد أن عبد الكريم الخليل والشيخ عبد الحميد الزهراوي والسيد عبد الغني العريسي والشيخ أحمد طبارة وغيرهم من الشهداء الذين علقهم احمد جمال باشا على أعواود المشانق عام ١٩١٦ في ساحتى المرجة والبرج في دمشق وبيروت لم يكونوا معصومين من الأخطاء فهم بشر كغيرهم ، الا أن كونهم القافلة الأولى من شهداء النهضة العربية جعل لهم حرمة في النفوس ومكانة في القلوب ، فهم أول من فقدوا حياتهم لأنهم أربوا عن عقيدة عربية . أما أخطائهم الشخصية فالآمة لاتأبه بها كثيراً . ثم قال : انه كان بود أن

أصدر عليهم أحكاماً عامة تتناول عقيدتهم القومية وميلغ أخلاقهم لها في معزل عن التصرفات الجزرية التي قاموا بها . وقال انه فاتني أن أبدي رأيي في أحد جال باشا مع أني أسمت في ذكر العلاقات التي تربطه بي شخصياً والاتصالات القائمة بيننا حتى أنه كاد يعتقد ان لي في جال باشا رأيا آخر غير الرأي الذي اعتنقه المؤرخون العرب في أن هذا التركي كان سفاحاً غاشماً يغض العرب . . .

وأجيب على هذا أني ماطعت في وطني هؤلاء الرجال الأربع الذين ذكرهم الأستاذ الناقد ، بل أشرت إلى أن بعضهم ظلموني بذنبهم إلى أموراً مافعلتها ولا دخل لي فيها لو صدقها القائلون بالأمر يومئذ لأودت بحياتي ، وأنا لم أشتراك في الأحزاب العربية ، وما كان علي منذ إنشاء المقبس إلا عمل صحافي حر ، ولذلك لم أفسر ما ذكره إلي الأستاذ الزهراوي الا أنه يعني اتهامي بما أنا منه بوري ، ولا يبالي عثت بعدها أو قلت .

هذا وجه تعريضي ببعضهم ، وماذا أعمل وواجب المؤرخ أن يكتب للناس ما الواقع ، وأنا لا أكتب كتاب أدب وعواطف ، بل أكتب تاريخاً ومذكرات . جربت على هذا القانون معظم أيام حياتي في الصحافة أولأ والتأليف ثانياً ، مع علمي بأن عملي لا يرضي جميع الطبقات ، ولا يخلبني من ملامة . وكيف يريدني الأخ الناقد إلا ذكر من ذكرت إلا بالخير لشرف المقصد الذي آخذوا به ، ومنهم من استخدم اسمي ليروج بضاعته وإن اعتقاداً جازماً أنه يتحقق في ضررآ ، ومنهم من حاول إنماهي زورآ بما صورته له أخلاقه ، وما عبأ بما يتورط على شهادته المعلولة وما أظن الناقد الحصيف إلا موافقاً لي . على أن من قتلهم الأتراك في الحرب الأولى من رجال العرب ليسوا كلهم من طراز واحد وإن فيهم الشريف ، وفيهم من تجسس لغريب وشهد الزور ، وهم كلهم ليسوا كالاساندة عبد الوهاب الانكليزي وشكري العسلي وسلمي الجزارى و توفيق باسط .

أما طلب رأيه في أحد جمال باشا ، فاذكر أني وفته حفه من وصف فظائعه في سوريا والاستانة وأذنة وبغداد ، ولك أن تدعوه من ارتكب هذه الجنایات الفظيعة سفاحاً ، وأكثر من سفاح . والانصاف يقضي مع هذا ألا نلقي عليه وحده كل ما وقع للعرب من قتل ، وأن نقسم هذا الظلم الفادح بينه وبين حزبه ، حزب الانحاد والترقي ، وهذا كان يقرر وجمال باشا ينفذ .

وجوز الدكتور احمد امين بك المصري لــه في نقد المذكرات ، الخروج على الانصاف وذيف كل ما عرفت به ، فطعن في امانتي في التاريخ دون أن يأتي ببرهان ، وقال انه لا يرضيه أسلوبى في كتابي ولا طريقنى في البحث ، أما أنا فيرضيني أسلوبه وبمحنه ، ولا تورضيني بعض جوازب من أخلاقه . وادعى أني هيأت لفرنسا تقسيم سوريا ، فكما فاتني بتوصيد الوزارة اليه ، وهي دعوى أشهد بها على نفسه أنه قليل البصاعة في التاريخ والسياسة ، كما هو ضعيف في الفلسفة . وعجب كيف لم يعرف أن الوزراء ورؤساء الوزارات ما كانوا في عهد الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان أكثر من رؤساء دواوين وعلمهم اداري بحث . وكانت السياسة كلها بيد المفوض السامي يستوحى فيها وزارة خارجيته .

ولقد كنت منذ أول الاحتلال من أكبر المعارضين في هذا التقسيم ، وكتبت بذلك أنا ورفقائي إلى المفوض السامي الجنرال غورو نعرض على اقطاع الأقضية الأربع من جسم سوريا والحااقها بلبنان . ثم طلبت إلى المفوض السامي الميسو دي مارتبيل أن يقدم بضم لبنان إلى سوريا على صورة وحدة أو اتحاد ، فغضب غضباً شديداً وكان ذلك سبباً في اقصائي عن الوزارة . وقد كررت القول لأمين سر المفوضية الميسو روبيدي كه في أوقات مختلفة بضم لبنان إلى سوريا ، وإذا تمذر ذلك أن يرجع لبنان إلى ما كان عليه زمن العثمانيين متصرفية أو لواء مستقلاً فنأم

من مقترحي ايضاً وتقاطعنا من اجل هذه التصريحات (على ما فصلت ذلك في مكان آخر من المذكرات) وهكذا كنت في كل فرصة اطالب بالجمع بين سوريا ولبنان وأطلب ضم جبل الدروز ودولة الملوين ولواء الاسكندرورنة الى سوريا الأم . فهل أكون بعد هذا أداة من ادوات الانفصال حتى نكافشنا فرنسا بالوزارة ؟ على ان برناجي كان اوسع من ذلك ، كنت من دعاة الوحدة العربية ، صرحت بذلك للفرنسيين غير مرّة ، وقبلوني في الوزارة على علاني ، وما أنكرت قط دعوتي ، وكان تقسيم سوريا من اعظم ما آلمي من هزل السياسة الفرنسية والإنكليزية . كل هذا واحد امين لا يرضي الا ان يفتري عليّ وعلى التاريخ ليتخذ ما اختلق واسطة لطعن وما وجد غير الكذب سلاحاً يقالي به . اما انا فما زلت على رأيي في اخلاله فيها تحامل وتبعجح ، وكتب عن نفسه بجمل بقدمه سيرته . وكان من زميله أحمد حسن الزيارات ان استعمل الشتائم على طريقة سفهاء الصحافيين في مصر اوائل هذا القرن ، والسببه لا جواب له عندى .

محمد رسول الله

انصاف الخالق أشد وفعاً في النفس من انصاف الموافق . كتب العلامة المفكرون من الغربيين الاحرار في وصف رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ما كان انصاف ظاهره وباطنه ومنهم كارل ايلان الانكليزي وقد اشرنا الى بعض ما قالوه فيه في كتابنا (الاسلام والحضارة العربية) وآخر ما قرأناه في سيرة النبي العربي وتحليل عمله العظيم ما قاله شاعر فرنسا العظيم لا مارتين فال : لم يقصد رجل قط مختاراً او غير مختار الى غابة أسمى ، لأن تلك الغابة كانت فوق طاقة البشر وهي القضاء على مدخل من الحرفات بين الحالى والخلوق يجعل

الله للعبد والعبد لله ، وأن يعدل فكرة الأنلوهة المعقولة في الونية المادية المشوهة . وما عهد قط رجل مثله قام في وقت قصير بشورة عظيمة مستديمة في العالم ، لأن الإسلام بعد أقل من قرنين من انتشاره بالدعاة والقوة عم الأقطار العربية الثلاثة ودعوا إلى الله الواحد الأحد في فارس وخراسان وما وراء النهر والمند الغربية والشام ومصر والحبشة وبجمع الأقطار المعروفة من شالي إفريقيا وعدة أجزاء من البحر المتوسط وأسبانيا ونشرت من غاليا (فرنسا) .

فإذا كانت عظمة الغاية وقلة الوسائل ووفرة النتيجة هي الأسباب الثلاثة التي تبين عن نبوغ المرء ، فمن يجرؤ أن يشبه بمحمد رجالاً عظيماء من رجال التاريخ الحديث ، فإن من اشتهر منهم لم يجيش إلا جيوشاً ولم يسن إلا قوانين ، ولم يؤسس إلا ممالك ، فلم ينشئوا فيها أنشأوا إلا دولًا عادلة كان حظها أن تداعت أركانها بعدهم . أما ذلك الرجل فأباد جيوشاً ، ووضع شرائع ، وأسس ممالك ، وألف بين شعوب ، وأقام دولًا ، وضم شيل ملايين من البشر في ثلث العالم المعمور ، وزاد على ذلك أن بدل أفكاراً ومعتقدات وارواحاً ، واتى بكتاب أصبح كل حرف من حروفه شريعة قومية روحية سرت إلى شعوب من جميع اللغات والعناصر ، وطبع هذه الجنسية الإسلامية بطبع ثابت ، وقضى على الارباب المصنوعة ودعا إلى الاعتقاد بالله الواحد الأحد مجردًا عن المادة والهوى .

ومن يكون أكثر عظمة إذا قبست العظمة البشرية بكل مظاهرها بعظمة محمد الحكيم الخطيب الداعية المشرع المحارب المبدع في أفكاره ، ومؤسس التعاليم القائمة على العقل ، وعلى عبادة لاصور فيها ، ومنشئ عشرين مملكة أرضية ، وملكة روحية واحدة .

قال مؤلف كتاب أوجه الإسلام *Les visages de l'Islam* جورج ريفوار : من الجرأة أن يحاول المرء إضافة شيء إلى صورة هذا النبي التي صوره بها لمارتن .

وصف الشيوخ

وصف باكون الفيلسوف الانكليزي جماعة الشيوخ وصفاً ينطبق عليهم من أكثر الوجوه قال : انهم يكترون من الاعتراف ، ويطلبون في استشارتهم ، ويختارون قليلاً ، ويسارعون الى ابداً التأسف ، ويندر فيهم من يعمل في الوقت المناسب ، ويقعنون بالنجاح الوسط . وتزبد عليه انهم اذا اجتمع بعضهم الى بعض يبدأون بالكلام عن أمراضهم ووصف ما يتناولون من أدبة وعفافير .

النبوغ في اسبانيا

وصف هوفار أحد سادة الانكليز في هذا العصر نبغاء اسبانيا فقال انها أخرجت للامبراطورية الرومانية ادريان وترابان وسبيك وكتلابي والكنيسة سان دومينيك وسان تريز وسان اغناطيوس دي لوبيلا وسان جان دلاكروا والأدب سرفنتس ولوب دي فيكا وكالدون ، وللتصوير فلاسكينز وموريللو وكوييا - وأمة انبغت مثل هؤلاء هي ولا شك ذات مدنية غير عادية . قال هذا وهو من رجال السياسة . وأنجع مؤرخو البريطانيين أو كادوا يجمعون على أن اسبانيا أحاط أمة في قارة أوروبا . وقال العارفون انه قلما تم شيء في اسبانيا الا دير الاسكوربالي ورواية دون كيشوت .

الاستعمار المحمور

فلا ان فرنسا أسمت باستعمارها الى المسلمين خاصة والى الشعوب عامة . كتب روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق الى وزير خارجيته يقول مانصه :

عزيزي كوردل هول

قابلني أمس اللورد هاليفاكس (سفير إنكلترا في واشنطن) وطلب مني تأكيداً عن الحديث الذي روی على لسانی والذي ألمحت فيه الى وجوب وضع الهند الصينية بعد الحرب تحت الوصاية الدولية ثم منحها الاستقلال بعد ذلك .

لقد استعمرا الفرنسيون هذه البلاد التي بلغ سكانها ثلاثة مليوناً مدة مائة سنة تقريباً ، وأهلها الآن لا يختلفون مطلقاً عما كانوا عليه قبل مائة عام . حلبت فرنسا هذه البقرة حتى لم يبق في خرائها شيء ، والعدل يقضي بأن تحرر الهند الصينية من زير هؤلاء ويعطى لها استقلالها في حينه .

١٩٤٥/١/٢٤

فرانكلين بالاتور روزفلت

هذا ما قاله سياسي غربي كبير خالي الغرض في استعمار فرنسا وقال الاستاذ عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية في مؤتمر الشعوب الآسيوية نحن شعوب الشرق من أطراف المحيط الأطلنطي الى أندونيسيا ذقنا الأمرين في الروح وفي العقل وفي المادة على أيدي الأوروبيين المستعمرین وما أمانينا سوى أن نضمد الجراح التي أحدثها الاستعمار في أجسادنا وما واجبنا إلا أن نرعى الحرية ونثبت دعائهما فقد دفعت شعوبنا من أجل ذلك ثمنا غالياً ولا يسعنا أن نغمس أعيننا أبداً عن واجبنا نحو تلك الشعوب الآسيوية التي ما برح ترزح تحت عبء الاستعمار .

فهرس عام

ص		ص	
١٠٨٨	هل وفت العربية بغرتها	٩٩٩	السياسة في مصر
١٠٩٦	الاستهلال محكم	١٠٠٣	عناب أحباب
١١١٣	عجبانب المهمات	١٠٠٧	ذلة حباء
١١٢١	تطور الألفاظ والتركيب	١٠٠٩	لتأليف ولا نشر
١١٣٣	الثورة الثانية	١٠١٢	التمويه البارد
١١٣٨	المجلس التأسيسي	١٠١٤	البدع الضارة
١١٤٠	سياسة سباقين	١٠١٥	أخلاق وزير
١١٤٣	ارثيس القوتلي	١٠١٧	علو همة
١١٤٩	اشورة الثالثة	١٠١٨	صاحب غريب
١١٥٣	ذرة نفس	١٠١٩	الرئيس المهووس
١١٥٤	فلة ثبات	١٠٢٠	موجزات
١١٥٥	السينما	١٠٤٠	سقوط المجاين
١١٥٦	اصلاح الصحف	١٠٤٢	المفتربون الشاميون
١١٥٨	مؤامرة دينية	١٠٤٣	داء الانسكال
١١٥٩	خلال في الادارة	١٠٤٤	كتب الجنالات
١١٦٠	الدعایات الحديثة	١٠٤٤	نحن والقومية
١١٦٢	كتائب الفداء	١٠٤٦	الفترة
١١٦٣	القووة على العلماء	١٠٤٧	الاخلاص للدين
١١٦٤	مصر والنهضة العلمية	١٠٤٨	الحجاب والسفور
١١٦٧	نظارات	١٠٤٩	الماضي والحاضر
١١٩٢	ملكة الاشاء	١٠٧٠	فسط العرب من حضارة أوروبا

ص		ص	
١٢٤٠	المعدون في الأرض	١١٩٤	الرجوع إلى الصواب
١٢٤١	عنابة المستعربين	١١٩٥	حرية الكلام
١	الباكستان والهندستان	١١٩٦	الحكومة الناجية
١٢٤٣	الجمهورية عندنا	١٢٠٤	عزة العلماء
١٢٤٠	الأحكام العرفية	١٢٠٥	لباس الرأس والبدن
١٢٤٦	مؤلمات	١٢٠٦	الشعر الرمزي
١٢٥٨	ساستة الشرق	١٢٠٦	جريدة لا تغقر
١٢٥٩	الحنيليات الفارة	١٢٠٧	عاطل ومعلم
١٢٦٠	أغراض السياسيين	١٢٠٨	الطيب والخبيث
١٢٦١	جمع مصر	١٢٠٩	اجتماعيات
١٢٦٢	الصحافة العربية	١٢٢١	علم لا ينفع
١٢٦٣	أرباب الاستبداد	١٢٢١	واجب المؤرخ
١٢٦٤	الفلاح أخرق	١٢٢٣	المصلحات الجديدة
١٢٦٦	تأليف الملك	١٢٢٤	تقايد
١٢٦٨	أمالي	١٢٢٩	مجالس الثلاثاء
١٢٩١	أدعيا.. الوطنية	١٢٣١	وزارة تسليمة
١٢٩٣	الوزراء المترجلون	١٢٣٢	سخافة دولة
١٢٩٤	من عيوب المجتمع	١٢٣٣	العلامة جار الله
١٢٩٤	خواطر	١٢٣٤	الفالب والمغلوب
١٣١٠	النافدون والنافقون	١٢٣٥	أعظم اللغات انتشاراً
١٣١٥	محمد رسول الله	١٢٣٦	سكان الأرض
١٣١٧	وصف الشیوخ	١٢٣٧	صنع المدينة
١٣١٧	النبيغ في إسبانيا	١٢٣٨	تقسيم سوريا
١٣١٨	الاستعمار المقوت	١٢٣٩	الدعوة الصهيونية
			دعائنا ودعاية غيرنا

